عبدالله بن محمد بن خميس

من أحاديث السمر

الجزء الأول

قصص واقعية من قلب الجزيرة العربية

الطبعة الثانية
الطبعة الثالثة
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

مقدمة

قد يظن البعض أن مايقرؤونه عن العرب في جزيرتهم في الجاهلية وصدر الاسلام من قصص تتحدث عن: الكرم، والشجاعة، والمروءة، والنخوة، وحسن الجوار، ومكارم الأخلاق.. هي انتفاضات ذهنية، ووعي وقتي صاحب القبول الذي خصت به هذه الأمة في دور ازدهارها ومجدها التاريخى العظيم على ماصحب ذلك من مبالغات ودعوى من قبل المدونين أنفسهم.. وتلك — في نظر هذا البعض — فترة يقظة وعى، وازدهار جد.. أما مابعدها من الزمن وذويه فهى أدوار تفتقد تلك الجوانب وتنأى عنها بعيدا، ولايمكن أن نعطى تلك الصفات لأمة واتتها هزة وعي في فترة من الفترات، ثم فارقتها.. فان الأمة ذات الأصالة والعراقة هى التي تلتزم بصفاتها، وتحتفظ بخصائصها، وتبقى ولودا منجبة أبد الدهر لا تؤثر فيها الأحداث، ولا تذيب أصالتها الهزات.. وأين هذا بالنسبة لأمة العرب في قلب جزيرتها مهدها الأول ومرتكز أرومتها، لقد بقوا يجترون التاريخ، و يعيشون على الماضى، و ينبثون عظام الأموات، و يقولون: كنا وكنا، ولايقولون: هانحن.. يصدق عليهم قول شاعرهم:

ألهى بني تغلبٍ عن كل مكرمة قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثوم
يروونها أبداً مُذ كان أولُهم ياللرِجال لفخرٍ غير مسئوم؟!

فلماذا لايكون ديدنهم أبدا قول الآخر:

لسنا وان أحسابُنا كَرُمَت يوماً على الأحساب نَتَّكِلُ
نبني كما كانت أوائلُنا تَبني ونفعل فوق مافعَلوا؟!

هذا مايقوله أعداء العرب اليوم، أو مايقوله من لم يعرف حقيقة العرب وواقعهم، ولقد صاحب ذلك وساعده انطواء العرب في جزيرتهم قرونا متعاقبة، أعقبت انكماش دولتهم في حواضرها في دمشق وبغداد والقاهرة، واختلال الأمن واضطرابه في هذه الجزيرة، مما مزق أوصالهم، وأدال دولة وحدتهم، وأسكن ريحهم، وساعد على تفشى هذه الأمراض الجهل المطبق، وانعدام تدوين واقعهم، ومايعيشونه من مآثر ومفاخر.. فمن أين لهم والحال على ماذكرنا أن ينث عنهم خبر، أو يسير لهم ذكر، أو يسجل لهم تاريخ؟!..

والا فانّهم أمة ذات أصالة، وجنس ذو محتد، فطروا على مكارم الأخلاق، وطبعوا على المروءة والشمم والغيرة، وامتزجت دماؤهم بالشجاعة والنخوة والكرم والعفة والأمانة.. ولو لم يكونوا كذلك لكان لهذه الأحداث التي ابلغت سكينهم العظم، وأكلت

الرطب واليابس.. لكان لهذه الهزات التي تنهش لحومهم، وتمتص دماءهم.. كان لهذا ولهذا ما له من وقع سيء يذيب هذه الأمة في غيرها، و يسلكها في عداد الأمم البائدة، ولكن أصالتها ومحتدها وزكاء عنصرها جعلها تستأنف حياتها حرة كريمة قوية، أمة بعد أمة، وجيلا بعد جيل.. فلم تكن الأمة العربية ــ وهذه خصائصها ــ الانموذجا في الجنس البشرى أصيلا.. اختارها الله عنصرا لخاتم رسله، واختار لغتها لسانا لكتابه، واختار أرضها مقرا لشعائره ومشاعره.. ففيها البيان المبين، وفيها الحماية والنصرة، وفيها الزكاء والذكاء..

لقد كنت وأنا أستعرض هذه القصص، وأتلقفها في نوادى السمر، وضمن متابعاتى للتراث العربى.. أعجب ولاينتهى عجبى من هؤلاء القوم، يتسابقون في مجال الشرف، و يتنافسون في ميدان المجد، و يتبارون في مراقى السؤدد، و يأتون بالعجائب والغرائب.. و يدفعون النفوس لها ثمنا، والأموال لها قرابين، و يتلقون المصاعب والأهوال.. لايثنيهم مرقى صعب، ولايقعد بهم خطب مهول.. يحبون فيشفهم الحب، و يطويهم الوله، و يبرح بهم الشوق، و يتنفسونه حنينا وأنينا، وغزلا دافقا، وشعرا متوجعا، وربما أودى بهم الحب، وقتلهم الغرام.. نفوس صافية، ومشاعر رقيقة، وخواطر سر يعة مبتدرة.. إلى بساطة، ومواتاة، وخفة أرواح..

و يعـادون فيبلغ العداء أشده، وتهراق الدماء، وتزار المقابر.. وبكلمة لطيفة، أو مدحة مسموعة، أو وجاهة أو وساطة.. يتناسون كل شيء، ويهبونه للشرف والمجد وحسن الاحدوثة..

و ينخون فتدفعهم النخوة إلى الجاه حينا، وإلى المال حينا، وإلى الروح وحشاشة النفس أحيانا..

لاأريد في هذه المقدمة أن أسرد خصائصهم، ومواهبهم، بقدر ماأردت أن أشير إلى بعض مافى هذه المجموعة القصصية من نماذج تلامس هذه الخصائص وتشير إليها، وترمز إلى مدٍ من العطاء، وفيض من الخصب..

وسوف تجد ــ قارئى الكريم ــ وأنت تقرأ هذا النموذج النزر من قصصهم مايزيدك بهذه الأمة فخرا، ومايهبك اعتزازا..

لقد كنت ولا أزال كلفا بهذا اللون من آثارنا منذ الصغر.. فكانت الذاكرة تختزن منه.. وكنت نشرت قسما منه في مجلة الجزيرة التي كنت أصدرها، نشرتها تباعا تحت هذا العنوان **(قصص من البادية)**، وكان ممن عوّلت عليهم، وأخذت عنهم، هؤلاء الرواة : عبد العزيز بن فايز رحمه الله، وأخوه ناصر بن فايز ــ أبو على ــ، ومنديل بن محمد الفهيد، وعلى بن فهد السكران، ومحمد بن صقر السيارى ــ رحمه الله ــ ورضيمان بن حسين.. وغيرهم..

ولما عزمت على نشر هذه المجموعة اصطفيت منها مايمكن أن يكون فيه أسوة أوقدوة، وماعسى أن تفتح ناشئتنا أعينها عليه من مآثر آبائهم وأجدادهم، ليكون لهم بهم الشبه، وليدركوا أين مكانة سلفهم في مكارم الأخلاق، وعلو الهمة، وزاكي الخصائص.. ولتبقى هذه الآثار المجيدة مدّونة حية في متناول الهواة والمريدين، ولقد حرصت على أن أكتبها بأسلوب سهل ميسر، ليكون فهمها في متناول كل قارىء، وجعلت القصة وسطا بين الأسهاب والايجاز ليسهل استيعابها، وتَشُد القارىء إليها من غير سأم ولاكد ذهن.. وأسميتها **(أحاديث السمر)**، ليكون اسما على مسماه، ومبنى وافق معناه، وأخذا من قول العربي حينما سئل : أى شيء يطيب لك؟! قال: أحاديث السمر، تحت ضوء القمر، على الكثبان العفر..

ولم أرد أن أخص قبيلة بعينها بهذه القصص أو أهمل الأخرى، وإنما التقطت منها ماواتى اختيارى، واندرج تحت شرطى، وكم في قبائل العرب وأروماتهم من فضائل وعقائل، لم يصل إليها علمى، ولم يدركها فهمى عسى أن أحقق في الأجزاء الآتية من هذه السلسلة (ان شاء اللّه) ما أنا به حفى وبالحصول عليه كلف.. وعسى أن يخصنى الرواة في وطننا الكبير بشواردهم وفرائدهم في هذا المجال، وفاء لأمتهم، وبرا بأدبهم، وخدمة لتراثهم، ونشراً لمآثر قومهم ومفاخرهم.. وإنهم ان شاء اللّه لفاعلون..

وكلمة شكر أخيرة أسديها لمن وضعوا محصولهم من هذه الجواهر الغوالي بين يدى، فأخذت منها وتركت، وعلى رأسهم الراوية الكبير منديل بن محمد آل فهيد، فلهم وله منى ومن بنى قومهم عاطر الشكر وجزيل الثناء.

الرياض

١٣٩٧هـ

عبد الله بن محمد بن خميس

مقدمة الطبعة الثانية

لم أكن أتوقع حينما وصل هذا الكتاب إلى يد القارىء في طبعته الأولى أن يلقى من الرواج والقبول هذا القدر الذي لقيه رغم رداءة طبعته ورغم انني لم احتفل باخراجه وتحقيقه والتعليق عليه.. فلقد نفدت طبعته في وقت قصير مما جعلني أرجىء ماعزمت عليه من المضي في اخراج الجزء الثاني.

وأفضل اعادة طبع الجزء الأول مصححاً منقحاً معلقا على بعض غوامضه ومستغلق عاميه.. تجاوبا مع هذا القبول الذي لقيه وهذا النقد الدقيق العميق الذي استقبل به باقلام دكاترة فضلاء وأساتذة أجلاء..

ولذلك مدلول أعمق وأعرق وهو مايشد امتنا إلى ماضيها المجيد وينزع بها إلى أصلها وسمو قدرتها وعلو مكانتها وربط حلقات ماضيها بحاضرها ومستقبلها.. فهذه ظاهرة فأل وبادرة طموح وتطلع ومؤشر وعي ونضج..

فما كتاب **(من أحاديث السمر)** وهو يستعرض نماذج من مجد أمة الإسلام والعرب فى أصالتها ومكارم أخلاقها ووفائها

وبرها وعاطفتها الجياشة بحب الخير.. إلخ الالفتة متواضعة تعرض ماتيسر لها عرضه من قصص واقعية هادفة في اسلوب مبسط ميسر لاطويلة مملة ولاقصيرة مخلة لاتخلو من عرض مشوق وجمل نابضة متألقة يتعانق فيها الشبه والنظير ويتناغم فيها الشاهد والمثل ويؤكدها ويؤيدها القصيدة تأتي شاهدة والقرينة تأتي محققة..

ولاأزعم أنها بيضة الحقب ولاالدرة اليتيمة فما زال الكتاب بحاجة إلى نقد وصاحبه بحاجة إلى تقويم وإذا كان من حق القارىء أن يستقبل فيشجع وينث الخير ويأخذ بعضد الكاتب.. فمن حقه أيضا ومن حق الكاتب عليه أن يذكره إذا نسي وينبهه إذا وهم ويقومه إذا اعوج.. ليكون الفكر بين كاتب هذه خطته وقارىء هذا شأنه متدرجا صعدا ومتسنما مقعدا يزاحم الأفكار العالمية مدلاً متأبيا. فهل نحن هكذا؟ أرجو وآمل

عبد الله بن محمد بن خميس

١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م

مَثل وَقصَّة

يـاجُـريْس ؟!

(عـدوان الهـربيد) من السويد من شمر، شاعر مجيد، وبر بأخيه وعشيرته، محافظ على الرحـم ومـوال لها، ولكنه لقى بخلاف ماصنع من أمثال مايصنعه الأنذال قليلو الوفاء، المتنكرون للمبادىء والمثل، وهم كثير لاكثرهم اللّه..

كـان لـعدوان هذا أخ يكبره، وكان يعزه ويغليه، ويحفظ له حق الأخـوّة وواجـب الـرحم.. فتوفى الأخ الكبير، وخلف ابنا اسـمـه جريس.. خـلـفه صغيراً جداً.. فأرادت أمه أن تتزوج، وأن تـذهب بولدها للزوج الجديد.. فخشى عدوان على ابن أخيه من الـعـيـلـة وسـوء الـتربية، فاختار أن يتزوج أمه من أجل أن يبقى ابن أخيه في حجره، ويحظى بعطفه، ورعايته، وعنايته..

فتم ذلك، وظل عـمـه يـربـيـه أحسن تربية، ويخصه بعطفه وبـلـطـفه، ويرعاه الرعاية التامة.. ولما بلغ مبلغ الرجال، وشب عـن الـطـوق، وأصـبـح عـمـه في سن لاتمكنه من الكد والكدح ومـلاحـقـة رزقه.. تنكر له جريس، وقلب له ظهر المجن، وجعل يقابله بالخشونة والغلظة والجفاء.. فحاول العم أن يحتمل مايقابله

به ابن أخيه من الصفاقة وقلة اللياقة والعقوق.. فلم يطق فواجهه عمه بهذه القصيدة:

يـاجريس يامَشْكَاى شَاكَنْ واشَاكِيك ... أشُوفَها مِن يَمّ الاصحاب ضَاقَه

ياجريس أخذت أمك على شَان تَالْيك ... مَامِغْجِبَنْ زَيْنَه وَلاهِي عِشَاقَه

عمّك ولو بِى تَنْشِدَه(١) كان يَنْبَيك ... وَش حَقْ مَن رَبَّاك طِفْل حُوَاقَه(٢)

ياما على متِنى تَعَقْبت بيدَيك ... تَنْقَل كما تَنْقَل خَطَاة العَلاقَة

وياما بِعَدْلِات الشّبَايا نَعَشّيك ... وَاعطيك مع زُوْد الخَزِيْزَه(٣) لِحَاقَه

باربَاعِي لي ثار حِسّه(٤) يشوّيك(٥) ... في ليلة ذَوْق العَشا به شِفَاقَه(٦)

لِنّا الذِى بدقُون رَبْعك ظَهر فيك ... وأظن في نَبْت اللِّحِى(٧) افْتِراَقه

واليوم اَشُوفك يوم كَبْرت عَلابِيْك ... جمعت مع خبث الطبايع نِزَاقَه

ولَعاد بالدنيَا صديقك يُخَلّيك ... مامِنْ وَرَى عُوْج النّصَايِب صَدَاقَه

ياجريسِ مالى بالآدانى واقاصيك ... لأهَلْ فُوقى مِخزَم مِنَ دِقَاقِه

سَبْع العُوَذ ياجريس خَلنْ وَاَخَلّيك ... ياجريسَ مابِغْيَال ألاخوان فَاقَه

تَيْس يَحِطّه وَال الاقدار بِيْدَيْك ... أحْلَى من الشّرْشُوح(٨) عند الرّفَاقَه

---

(١) تنشده : تسأله

(٢) حواقة : فضلة رخيصة

(٣) الخزيزه : الأعطية المفضلة

(٤) حسه : صوته

(٥) يشوّيك : يخصك بالشوية وهي قطعة اللحم المشوية

(٦) شفاقة : طرقة

(٧) اللحى : جمع لحية

(٨) الشرشوح : هجمة الابل

والزمن يأتي بالعجائب، وكما أخبر المصطفى عليه السلام بقوله:

«لايأتى على الناس زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم». فحينما سمع هذه القصيدة رجل من أهل بقعاء (أسعدى) قال: أين أنت ياعدوان الهربيد.. تمادى هذا الجيل بما هو شر من ذلك، أما أنا ياصاحب بقعاء فأقول:

ياليت بالدنيا صدِيقك يَخَلِّيك	وكَفَاك شَرْه ماتَبِى له صداقه
مِيْر البَلالِي جَنّب الحَق نَاصِيْك	تُوْمِي رِكَابَه ماعليها غْلاَقَه
دَلّى يبيعك بالمكاتب ويشريك	ويَحِظ دون اللّه علوم دِقَاقَه

خَلُوْجُ[1] ابن رُوْمِي .. !

مما ذهب مثلا على ألسنة الشعراء والرواة (خلوج ابن رومى).. وابن رومى هذا ممن ترك البداوة، واستقر في الاحساء.. ولكن حب الابل لايزال يلاحقه و يأخذ بمجامع لبه.. فكل ناقة يراها تعجبه وتستأثر بحبه، يبتاعها، ويجعلها لديه في حظيرة بمزرعته، و يتخول هذه الابل بز ياراته يقضى عندها بعض وقته..

ومرة دخل على هذه الابل في حظيرتها، ومعه ابن له صغير يحبه جدا، وهو أيضا متعلق بحب أبيه، فشعور المحبة بينهما متبادل.. فقرب الطفل من احدى الابل، فرمحته برجلها، ولم يقع خفها الا بين عينيه، فجعلت رأسه غثاء ومات في حينه.. فحمل ولده حز ينا، أسيفا، وأصابه عليه حزن شديد..

وفي الصباح غدا إلى الناقة التى رمحت ولده، فأخذ ولدها أمامها وعقله، وأهوى إليه بالسكين، فانثال دمه مذبوحا وهى تنظر.. فجعلت تعول بحنينها وتفرك كبدها بالارض، وأخلجت

---

(١) الخلوج : الناقة يموت ولدها فيشتد تأثرها عليه.

وجعلت لا تذوق مطعوما مدة حتى نسيته.. ولما لقحت ونتجت، وبلغ حوارها مبلغ الذي قبله جاء وفعل به مافعل بأخيه، فعاودها شرها، واستأنفها حزنها، وأقلقت من حولها بكثرة حنينها وأنينها.. ثم نسيت.. ولقحت الثالثة، ولما بلغ مبلغ ماقبله أقبل عليه بسكينه، ولما رأته احتضنت حوارها وبركت عليه، وسالت نفسها فوقه، ولما كشطوا جلدها، وأخرجوا كبدها وجدوها ذائبة مفتتة من شدة الحزن.. ولقد ركب الشعراء هذه القصيدة يمثلون بها.. ومنهم فهاد بن مسعر العاصمى من قحطان.. أقام في الاحساء مدة لبعض الحاجة، فتذكر أهله وقومه، واشتاق البرارى والفلوات فقال:

ياونةٍ وَنَيْتَها ياابن نَصَّار	ماوَنَّها مِثْلى خَلَوْج ابن رُومى
كِنِّى مِن الفَرْقَا على كِيْر بَيْطار	شُبُوْبِه آرْطَا والسَّتَاد[1] مِهَمُوْم
صدرى كِما نِجرٍ زُغْولٍ وجَضَّار	نفسه على مَهْوَاه نَفْسٍ مِحَمُوْمَ
مِن عِقْب مَانى قِنْبٍ صرت كِنْبَار[2]	وسبحان من لهِ في عِبيده حُكُوْم
يَاوِيْنَهُم رَبْعِى هَل الكَيْف والكَار	اللّى عليْهم دَارجاتٍ عْلُومى
ولانزلنا منزِلٍ فيه نُوَّار	ذا مُقْبلٍ يَمَّى وهذا يقوَم
مَزِحي عليهم مايَجى فيه تِنْكَار	ماحدٍ يبَرِّق في مَلاوِي عْلُومى

(١) الستاد : الصانع الحاذق

(٢) القنب والكنبار : مادتان تصنع منها الحبال والاول أفضل من الثاني

لايذْهَبِ العُرْفُ .. !

كانت الشمس تبعث أشعتها الدافئة الى الوجود، وقد استيقظ كل شيء في الحى، واختلطت الأصوات: من مناد، ومن مجيب، وتصهال خيل، خلال ذاك رغاء.

وكان صاحبنا يجلس في صدر البيت، وقد اتخذ من الرحل له تكأة، وامتد أمامه رواق البيت المسبطر وكأنما هو في ايوان كسرى، يلقى نظره، فيرى تلك الهجمات، من الابل والقطعان من الغنم وقد انقادت في سلسلتها المتلاحقة، وقطارها الطويل، فيزيد فخرا، واعتزازا، يشتد منه الضغط، على محزمه الملىء ـــ بالفشك [1] ـــ ..

ولم تطل جلسة صاحبنا حتى أقبل عليه ابنه ووحيده ـــ فالح ـــ طويلا، قويما كعود الأسل، فصبحه بالخير، ودَعا له بالجنة، ثم جلس إلى أحد الأقتاب، المبثوثة على جوانب الرواق.. وبعد أن أخذا بأطراف الأحاديث، دخلت ربة البيت بقصعة، تنبعث منها أشهى رائحة، ويخرج أطيب عبير، مما يدل على مهارة في الصنعة، وخبرة في طهو هذا اللون المرغوب من

(١) الخراطيش : العيارات النارية

المطعم، وتعود مرة أخرى بقدح كاد اللبن أن يغرقه، فيتناولان ماطاب لهم من الطعام، وبين كل لقمة وأخرى يعبان من ذلك القدح، وينظران الشمس، فيعرفان أن وقت الصيد قد حان، وأن ساعة القنص قد أزفت، فيعمد الوالد إلى حمل الصقر، أما فالح فقد انطلق إلى الكلب، الذى طال انتظاره، ونفد صبره، يتجلى ذلك في تحريك ذيله وتلاحق حركاته..

ثم بدآ رحلتهما : يقص عليه والده شيئا من مغامراته في جمع هذه الثروة الواسعة تارة، وتارة يروى له طرق ختل الصيد، وانتهاز غرته، وكيف أن الصباح الباكر أوان ذلك وفرصته، ويعرج على الصباح، فيقول ان الصباح تقسم فيه الأرزاق، وتوزع البركات.. وتتشعب أمامهما طرق الحديث، وتمتد أوديته.. ولكن أرنبا تنفج من جحرها، فينطلق أثرها الكلب ويختطفها، أما الصقر، فقد حل الوالد برقعه، فأخذ يحرك جناحيه، ويتطاول برأسه، استئذانا وتأهبا، اذ رأى على بعد حبارى تدرج في روضة هنالك، وكأنها لم تعلم به، أو استهترت بوجوده فحلق في جو السماء، ثم انقض عليها لتكون فريسة بين مخالبه..

أما فالح فقد راح يرقب الكلب وكيف انساب بين الصخور والشجر انسياب الحية الرقطاء، يطرد أرنبا أخرى حتى اصطادها، واستمر القنص حتى ساعة متأخرة من النهار.. حيث عادا إلى

الحي وقد احتملا عددا من الحبارى والأرانب..

... و يأتي الرعاة، فيحدثون سيدهم بما شاهدوه في رحلتهم اليومية، و بعد أن يوهن الليل، يأوى كل إلى فراشه..

على هذا النهج الرتيب، وفي ظلال هذه النعمة الوارفة، والثروة الطائلة: من ابل وغنم ور ياش، و بين احضان هذين الوالدين نشأ فالح غرا، يجهل صروف الدهر، وتقلبات الأيام..

ولكن الصفو لابد وأن يتكدر، والجمع لابد وأن يتشتت، فقد اخترمت يد المنون ثالث هذا الوكر، وعميده بعد أن ترك لابنه ووالدته نعما واسعة طيبة وذكرى حسنة نعما بها، وتقلبا في بحبوحتها، ولكن الولد كان يشعر بخمول ذكر، فما كانت السمعة التي تبوأها والده، والمكانة التي احتلها بالسهل تحصيلها، وماكان المركز الاجتماعى بين رجال الحى باليسير ادراكه... وكان فالح يسمر في الليل مع بعض رجال الحى ـــ وعلى ضوء القمر يحلو السمر ـــ وكان هؤلاء يستولون على المجلس بما يعرضونه، من روائع ذكر ياتهم، وغر يب مغامراتهم، أما هو فكان نصيبه من ذلك قليلا، وما كان يرضى بهذا الوضع وهو ابن «نوار»، وماكان من الذين يقنعون بميسور عيشهم.. ولكنه كان شابا طموحا، لابد وأن يقوم بعمل يذكر، ولابد وأن يكون له بالتاريخ نصيب... وقد صارح والدته بهذه الرغبة الأكيدة فرفضت، ولكنه استطاع أن يقنعها، وهنا أعد لوازم السفر وشد

الرحل، وسافر على بركة اللّه.. وعلى مورد من الموارد أناخ راحلته، وأوقد النار.. فلما صارت جمرا يلتهب شقها، وألقى القرص فيها، وبينما هو يحش النار، وينتظر نضج مافيها، خاليا بنفسه.. مستسلما لأفكاره وهواجسه وآماله.. لايمر على سمعه الا مكاء الطير، وصفير الرياح، هنالك انبعث ليعلو نشزا حوله لينظر مايحيط به، واذا بخيط من الغبار يحيط به من بعيد.. واذا خلفه شخوص تبدو تارة وتختفى أخرى، وسرعان ماتكشف عن نعم يملأ الفضاء وخيل ورجل.. انه حى من الاعراب يريد هذا المنهل الذي يقيم عليه فالح، وسيكون هو وراحلته طعمة سائغة لمن سبق اليه من هؤلاء اذا لم ينج بنفسه، ويجعل من الفرار مطية نجاته، ولكنه سوف يُرى ولاشك حينما يفارق كثبان الماء ومخابئه، ومن ثم تدركه الخيل فتجعل منه غنيمة باردة، ولكن لماذا لايميل إلى كهف هنالك تستر فمه سدرة تخفيه هو وراحلته عن أعين الناظرين، ويظل في مخبئه حتى يريم القوم عن الماء، فرأى أن هذه هى الوسيلة المجدية لانقاذه، وهكذا عمد الى تنفيذ فكرته، أما القوم فسرعان ماملأوا محيط المنهل، وضج حوله الثغاء والرغاء والصهيل والنداء، وبُنيت الخيام، وأوقدت النيران، وحلبت النوق، وسقى القوم حتى ضربوا بعطن، وانعقدت النوادى وأديرت كؤس القهوة، وقد بدا الليل يرخى جلابيبه، وانتشرت نيران الحى الحلول كأنها الأنجم في صفحة السماء..

أما صاحبنا فكان الجوع ضجيعه والخوف ملازمه، والدنيا تضيق وتضيق في عينيه، حتى لييأس من النجاة، ثم يعود ويستذكر ماكان يقص عليه والده، وماكان شيوخ قبيلته يروونه في نواديهم، ويتباهون به في مجتمعاتهم من المغامرات والتضحياتْ، والفتك والاقدام، يستذكر هذا فتعود اليه قوة نفسه وشدة معنويته، وهكذا حتى خمدت النيران وهمدت الأصوات، وغاب قير ليلته العاشرة، ولم يعد يسمع سوى حنين بعض الفصلان أو نباح بعض الكلاب، وهنا دارت في رأسه فكر وآراء.. أيركب الليل مطية أمينة، وينأى بنفسه عن الخطر؟، أم يظل في مكمنه حتى يرحل القوم، ومن ثم يتزود بالماء، وينبش قرصه الذى ألقى عليه التراب حينما هم بالاختباء، فيقتات ويشرب أم ماذا؟.. ولكن فكرة جديدة قفزت الى رأسه، ودعته لأن يغامر ويكتب في صفحة حياته مايشارك به القصاص، والمغامرين، لماذا لاينسل الى حيث ترك قرصه المدفون وينبشه ويستسقى من الماء.. ومن ثم يذهب لطيته؟، ولكن موقد ناره الذى دفن فيه قرصه قد ضربت عليه خيمة هناك.. رأى حولها نسوة محتشمات كريمات، يحف بخيمتهن من الهيبة والوقار مايزيد في تعقيد مشكلته، ويحول دون بلوغ هدفه، إلا أنه صمم على أن ينفذ فكرته، ومن ثم انسل الى الخيمة حيث عرف طريقه.. قبل أن يضرب الظلام رواقه.. فدنا.. ودنا حتى رفع جانب الخيمة.. ودخل لتكون أول مصادفة

يلقاها.. بعد أن ضرب بيده فيما حوله، هى أن تقع على قدم (صيتة) الغادة البكر.. ابنة شيخ القبيلة والتى لم تمتد يد قبلها على قدمها.. ففزعت مرعوبة لهول ماداهمها.. وأمسكت بيد اللامس ونهرته وهددته.. فهمهم.. وغمغم.. وكاد ينعقد لسانه للمفاجأة التى لم تكنْ في الحسبان.. ولكنه استطاع أن يعيد قوته، ويملك أعصابه ليهمس الى (صيتة) بالحكاية كاملة، و يدلل على صحة مايقول، بقرصه المختبىء تحت قدميها.. وهنا ينبشه و يريها اياه.. فسكن روعها، وهدأت أعصابها، وأخذت تفكر في الطريقة التي تنقذ بها هذا اللاجىء المضطر.. وكان أول شىء يهمه هو الماء.. الماء الذى بفقده انعقد لسانه وحمله ذلك على المغامرة.. فكان ماأحس به من (صيتة) من رأفة ورحمة حمله ليطلب إليها أن تسقيه ماء.. ولكنها أشارت الى دلو معلقة في جانب الخيمة أن يأخذها و يذهب ليسقى نفسه، ومن ثم يذهب لسبيله، فأخذ الدلو، وذهب الى البئر، ولكن سوء حظه ابى إلا أن تنفلت منه الدلو لتستقر في قعر البئر.. و يبقى على شفيره صفر اليدين، فحمله الظمأ والتشبث بالحياة أن يعود الى (صيتة) فيخبرها الخبر.. فما كان منها وهى الحرة الكريمة الوفية الأمينة إلا أن اضطرت الى أخذ بعض حبال الأقتاب والطنب، وذهبت به لتحدره في البئر ليخرج الدلو.. وبعد أن استقر في قاع البئر كان القدر يخبىء لصيتة ماليس في الحسبان.. لقد انزلقت رجلها فهوت الى حيث فالح في قعر

البئر.. وكانت الصدمة المروعة والصعقة الهائلة، والمشكلة التى انتقلت من دور التهمة والاحتمال الى ذور الخيانة والخنا، لقد دارت الفكر في رأسى كل من فالح وصيتة وجعلا يضربان أخماسا بأسداس.. ماذا تكون النتيجة؟ ماذا يفعل بهما؟.. كيف يعزى أمرهما؟.. هل هناك أمر محتمل غير القتل؟.. انه هو الأمر الأقرب الى الحقيقة..

وبينما هما كذلك يلتجىء كل منهما الى جانب من جوانب البئر ضحلة الماء، مجوفة الجوانب.. بينما هما كذلك اذا ـ بمرجان ـ مملوك سيد القوم أبى صيتة يأتى الى البئر قبيل الفجر ليملأ أحواض الماء قبل الصباح.. وهنا أحس بأصوات خافتة وتلوم وأنين في جوف البئر فجعل يقبل و يدبر و يفكر و يقدر.. ولم ير بدا من اطلاع سيده على القصة ويخبره بأن الصوت صوت رجل وامرأة.. فكان اخشى مايخشاه على ابنته (صيتة) ذات الجمال والكمال ومطمح أنظار الشبان وموضع اهتمامهم.. فذهب من توه الى الخيمة، وطفق يفتش عن (صيتة) ولكن عبثا يحاول.. فانطلق الى البئر ليسمع صوت ابنته وبجانبها رجل جمعها هذا الجب المشئوم.. فحوقل وجمجم.. فكانت العاطفة الأبوية والرحمة الطبيعية تلحان عليه بانقاذ (صيتة) من هذه الهوة التي تردت فيها، ولكن النخوة العربية وخشية العار وعلك الناس لألسنتهم بأن فلانة كان منها كذا يوم

كذا، وسنة قصة فلانة مع فلان.. الخ.. لا.. ان عرضه وشرفه أهم عنده من العاطفة ومن رحمة ابنته.. يامرجان.. قف هنا وامنع سائر الحى من ورود هذه البئر بعينها.. لأن سيده قد حجزها له وحده.. واذا سقى القوم وارتحلوا فليجمع ماحوله من شجر وثمام ونحوه و يلقه عليها في البئر، حتى اذا ظن كفاية هذا الشجر لاحراقهما يوقد فيه نارا و يلحق بالقوم.. ففعل مرجان ماأوصى به سيده.. ولما ارتحل القوم جعل ينفذ فكرة سيده في القاء الشجر والحطب عليها، وكلما قذف بحزمة عليها جعلا منها مرتفعا يعلوان عليه حتى استطاع فالح أن يقفز من البئر، و يبتدر راحلة مرجان، ويجرد سيفه، و يعدو نحوه و يضربه به ليلقى حتفه من توه.. و يذهبان لطيتها، ليتزوجها فالح و يكون منها زوجة بارة كريمة منجبة.. وعاشا جميعا في وئام وحب ووفاء أعواماً متلاحقة، كاد أن ينسيها خلالها القصة المذهلة النادرة.. ولكن لأمر ما.. كان والد (صيتة) وأخوتها يمرون بحى فالح مسافرين ويستضيفونه.. وقد تحرك قلب (صيتة) لهذه الأصوات وهذه الركاب التى ليست بغريبة عليها.. وهنا رفعت جانب الخيمة قليلا لتنظر.. وماذا تنظر؟.. انه والدها واخوانها.. فاختلجت واضطرب احساسها، واحمرت وجنتاها ونادت فالحا لتقول له: ان هؤلاء هم أبوها واخوانها فما الحيلة؟.. وما العمل؟.. اننى لااستطيع أن أعيش بعد اليوم وقد رأيت من تلاحق السنين بينى وبينهم.. وهم أحب الناس الّي.. فقال: هونى عليك فسوف

تـكـون النتيجة سارة إن شاء الله.. ومن ثم أمر ساقى القهوة أن يـتـفـقـد كئوسها بعد سكبها، وقد أضمر أن يلقى بكأس في حجر والد (صيتة) حتى اذا تفقد الساقى الكئوس وجد الكأس المفقود في حـجـر الـوالـد.. وهكذا يفعل ليجد والد صيتة أنه محرج بهذه المـفـاجـأة غير الحـسـنـة، ولـكـن فالحا أراد أن يخفف مما علق في نـفـس والد(صيتة)بما أضمر ان تكون نتيجته هى مفتاح ماأراد.. لـقـد قـال فـالـح لـضـيوفه: ان الدنيا لتأتى بالعجائب والغرائب، وتـرمـى بما لايكون في الحسبان ومالايدور بالأذهان، ولأدلل على ذلـك بـقـصـة وقـعـت لى أنا.. ثم يورد قصته كاملة مع (صيتة) والوالد والأخوة منصتون.. وكأن كل فقرة من كلامه تحل طلسما مـعـمـى عليهم الى أن وصل إلى نهاية القصة.. وهنا التفت كل مـن الأب وأولاده الـى الآخـر في ذهـول واسـتـسلام، و بينا هم كـذلـك اذا بـصـيـتـة تـرتـمـى بأحضان والدها وتنشج، و ينقلب البيت كله نشيجا و بكاء.. ومن ثم تعارفوا.. وعاشوا جميعا حياة جديدة بعد يأس وحزن وغم!!..

من يَفْعِلِ الخيرَ لايعدم جَوَازِيَه   لايذهب العرفُ بين الله والناس

الزَّوْل زُوْله .. والحَلاَيا حَلاَيَاه[1] .. !

كان بنو لام يسكنون قلب نجد، ومركز ثقلهم بالعارض، وكانت لهم صولة وجولة وسلطان.. لاينازعون السلطة، ولايزاحمون القوة.. وكان رئيسهم يدعى وديد بن عروج.. شجاعا، فارسا، وزعيما لايزاحم في الزعامة، له ناقة ذلول لاتجارى في أصالتها، وجدها وأحتمالها، وكانت دائما لاتحمل الشحم من كثرة مايجهدها في مغازيه.. فهى أبداً طليح، وصاحبها ماآب من سفر الا وأزعجه أمر الى سفر بالبين يزمعه، ومات ولمّا يقض من أدراك دنياه وطرا.. فارتاحت الذلول، وسمنت، وحملت الشحم.. فأصبحت جمالية يشك في انها تلك الناحلة المقوسة.. فخلفه أخوه على زوجته وذلوله..

وفي ليلة جعلت الذلول تعبث بالابل، وتريغ هذه، وتعض الأخرى، وهكذا.. فأرسل الأخ الزوجة لتعقل الذلول.. فلما جاءتها أنكرتها المرأة مما بنى عليها من الشحم، وتلبد عليها من الوبر، فظنتها جملا.. فعادت اليه وقالت: ليس هذه بالذلول، انه جمل.. فقال: بلى انها هى، فعودى فاعقليها.. فلما عادت وجدتها

(١) الزول : الشخص. والحلايا : الصفات يعنى كأنه في شخصه وصفاته اخوه.

هى، فبكت وأسبلت الدموع على الذى كان يطوبها بكثرة أسفاره، و يقوسها بكثرة غاراته واقباله وادباره..

والعربيات يفخرن بأزواج الشجاعة، و يرفعن رؤوسهن بذوى الزعامة والرياسة والخطر.. وبعد أن فرغت من البكاء أفرغت مافى نفسها بهذه القصيدة:

ياعارفين وَدَنِيد ياوَجْد رُوْحَاه   ياليت مارَزَّوْا عليه النِّثَايل
لاَوى ابن عمى(١) كل ماجيْت أبانساه   الى تَذَكَّرْنى مع الذَّوْد حايل
لاَوَى ابن عمى كل عذراتَمَناه   علية تَزْفات الصَّبايَا غَلاَيل
لاوى ابن عمي تَطْرَب الهِجْنِ لِغْنَاه   يامازَغج فوقه بحامى القُوَايل
لاوى ابن عمى تَنْثر السَّمِن يمناه   على صحون كِنَّهنْ النَّثايل(٢)
أخذت أخوه أبْغى عوض ذَاك مِنْ ذَاه   البيت واحد من رِفاع الحَمَايل(٣)
الزَّوْل زُوْلَه وَالحَلاَيا حَلاَيَاه   والفِعْل ماهو فعل وافى الخَصَايل

وأردفت بقصيدة أخرى، قالت منها:

يافَاطِري ياماجري لك من العنى   مع دَرْبك العَيْرات نَشَّت لُحُومُها
غدا عنك نَوَّاس العِدى مِرْدى النّضَا   يجرهَا مع مانَبَا من حُزُوْمُها
غَدَا عَنْك وَارَثْ في مكانِه زُلاَبة   يَرْوِعه بالظلمآ تَلْيلى نُجُومَها

(١) لاوى ابن عمى : كلمة تحسر وشكوى
(٢) النثايل : جمع نثيل : وهي حفير البئر وتربته
(٣) الحمايل : جمع حمولة : وهي الاسرة

ياما حَزِيتى جِل ذُوْدٍ من العِدى   أضحى عليه الغَزْو يَفرَق سُهُومَها

ويَامَا يُثَوَّرَعندِ وجهك من الدَّخَن   معارك تَدْنى للارواح يومها

عليك مِقدِم لابِةٍ شاع ذِكْرِه   حَامِى تَوَالِيْها مُقَدَّى يَمُومَها

ولما سمع الأخ زوجها الأخير ماسمع منها من ذم أضمر لها سوءا، ولكنها أوقدت في نفسه الغيرة، وألهبت في قلبه الشجاعة، وكانت قصائدها هذه مهمازا له لم يطق بعده البقاء.. فتجهز للغزو مع قومه، وظل يكسب و يبعث بكسبه، ولم يعد شهورا حتى أرهق نفسه، وأرهق من معه، وأخيرا عاد، ولما أقبل على الحى تدهورت الذلول من الاعياء، وقعدت.. فأقبل ماشيا، وقال للمرأة: اذهبى دَرِّجِيْها حتى تصل.. فأنكرتها حتى عادت صغيرة منكمشة هزلى، فطاب للمرأة مارأت وماوصل اليها من الغنائم، فغنّت:

ثوّرَ من العَارِض رُكَيْبٍ يَهيفى   يَتْلُون ابن عَرَوْج مقْدِم بَنى لاَم

ياما انقطع في سَاقته من عَسَيْفٍ   ومن فَاطرٍ تاخِذ عَلى الجيْش قِدَّام

عِقْب الشَّحَم ومَلاَفَخهِ للرَّذِيفى   قامَت تظَولِع مثل مَرْهُوْص الاقدام

حِرٍ شَهَر من مَاكره[1] له رَفيْف   طَلْعَه بعيد من وَرَى نِقْرة الشام

زَهَابَهُم[2] حَب القَرَايا نَظِيْفى   وسلاحهم دُهُم الفَرَنْجى والازْوام

---

(١) ماكره : وكنه وموضع عشه

(٢) زهابهم : طعامهم في السفر

ولما سمع هذه القصيدة زال مافي نفسه، وتناسى ماكان منها أولا، وقال:

أنا ابن عـرّوج وهـذى سُوَاتى[1]	موصل سمان الهجن شِئ مايَجنّه
خمسين يوما وَالنّظا مقفيَات	مع مِثلهن وهَن علَى وَجْهِهنّه
نَمشى النهار وليلنا مانَبَات	كم ذَوْدَ مِضلاَح مُنيْسٍ[2] خَذَنّه
من ظن فينا الطيب شَافَه[3] ثَبَات	واللّى هَقَى[4] فينا الردى ضَاع ظنه
وكم مِن صَبّى عَشقَة للبنَات	عِقب التّغجُرُف بَدّل الضّحك وَنّه
إستَاخَذ المذْهُوب عَاف الحياة	هو مادَرَى ان الهجن بى يُوْصلّنه
مِن فوق هِجْنٍ مِن فَحَلْهِن خوَات	غَيْب الصّبَايَا الخَافية يَظْهرَنّه

وهكذا تكون المرأة العربية مهمازا للشجاعة، وملهبة لقلوب الرجال.. ووراء كل عظيم امرأة.

(١) سواة : صفة
(٢) منيس : بعيد عن ايدى الناس
(٣) شافه : رآه
(٤) هقى : ظن

عَطِيّة غُبَيْنِي..!

تعيش على ألسنة الأجيال أمثال شاردة، يتناقلونها خلفا عن سلف، ويتمثل بها من يعرف قصتها ومن لايعرفها من أجل شيوعها وذيوعها، وهكذا الأمثال العربية.. فقل أن يوجد مثل لاقصة له فيبقى المثل سائرا على ألسنتهم، ولايبحث عن أسبابه إلا بعض الخواص، وسوف نتعرض في هذه المجموعة القصصية (ان شاء اللّه) لما وقع لنا من أمثال نعرف قصصها..

هذا المثل المطرد على ألسنة الناس (عطية غبيني)، والغبين كانوا يسكنون أواسط نجد، وكان لهم شأن آنذاك على عهد بن عريعر.. وكان حمدان بن غبين له حصان مفوه، ومشهور لدى عرب ذلك الزمن، يَسبق ولايُسبق، فارع الجسم، منتصب العنق، لايكاد الرجل الطويل يتناول ناصيته.. والخيل النادرة الجيدة في ذلك الزمان ذخر وفخر لأهلها.. وكانت امارة ابن عريعر آنذاك في شرق الجزيرة ووسطها على أشدها، وكان ذا سطوة ومهابة لدى العرب.. فتناقلت الأخبار له ذكر هذا الحصان، وفوه لديه ومن شأنه أن يجمع في اسطبله مرابط الخيل الأصيلة وبيوتاتها النادرة يأخذها من أربابها على شكل جزاء أو

تأديب، أو بابتياعها، أو بتسليط اللصوص على نهبها..

لقد تجمع يوما لديه بعض لصوص الخيل و(حافتها)[1]، فقال: من يأتني بحصان حمدان الغبينى (شقير) (حيافة)[1] فله علّى مائة ناقة.. وكان هذا جعلا مغريا جدا، لم يسبق أن جعله ابن عر يعر لأى جواد قبله .. فقام واحد من المجلس، وقال: أنا.. فقال له ابن عر يعر: اذهب وسنرى.. فذهب الرجل، وكان حاذقا، خفيفا، متمرسا في شئون الحياة.. فوفد على حمدان بن غبين في زى ضيف، وبقى لديه ثلاث ليال.. ثم قال له: أنا رجل مطلوب في بلادى ثأر، جئت أبحث لى عن عمل حول الشيخ في خدمته ومندو بيته ولوازمه.. وسيجد منى ان شاء الله مايرضيه.. فقال له حمدان: مرحبا بك، وعهد اليه ببعض شأنه.. ولما رأى رجولته وحذقه وامانته ونجاحه في أعماله أطلق في يده كل أعماله.. وكل حين يزداد جوهرا جديدا، ونجاحا وانتاجا.. هذا وعينه دائما على الحصان منتظرا غرة أو غفلة أو سهوا.. ليفرّ به.. ولكن صاحبه متحفظا عليه جدا (غيته)[2] بجانب البيت، وقفل سلسلته دائما في جيبه، واذا جاء وقت سقيه لايسقيه الا هو. و يعيده الى مربطه، و يتأكد من توثيقه.. وهكذا سنة كاملة لم تحن فرصة واحدة ليهتبلها هذا الرجل فيحظى ببغيته.. ولما يئس وأدرك أنه لافائدة من طول المكث والحالة هذه.. قال

(١) الحيافة : سرقة الإبل ونحوها من مضارب البادية.

(٢) الغية : رباط الحصان.

لصاحب البيت انى استأذنك للعودة الى ديارى، فالقضية التى تغربت من أجلها زال سببها.. فتأثر صاحب البيت، وقال: اننا رغبنا فيك وأحببناك، وذهابك عنا يشق علينا، ولكن قل لى بربك ماالهدف الحقيقى من تغربك؟.. قال: أوتعفينى من غضبك وأكون في ذمتك.. قال: نعم لك هذا. قال: هذا العام كله وأنا في محاولة ملحة لنهب حصانك.. فالجعل الذى جعله ابن عريعر لمن يأتى به مغر جدا، ولكننى أخفقت، وهذا من سوء حظى، والآن أنا أودعك.. قال صاحب البيت امكث يومين فلدى لك مفاجأة.. فأمر الحذّاء أن يحذو الحصان، وأن يجهز له مايلزم لرحلة طويلة شاقة.. ثم قال للضيف: هذا هو الحصان.. اذهب به الى الأمير ابن عريعر فهو عطية له منى بدلا من أن يستعمل طريقة النهب، فهو أسمى من ذلك.. فأخذه هذا متعجبا من كرم ابن غبين وسمو مروءته وعلو همته، وذهب بالحصان الى ابن عريعر وأخبره بكل ماصار.. ولكن ابن عريعر أبى أن يقبل الحصان على شكل هبة، وأصر أن يعود الى صاحبه، فعاد به وقال له: يسلم عليك الأمير، و يقول أنه لايقبله على شكل هبة، وأرجعنى اليك به.. فقال حمدان: (هذه أعطية غبينى) لاترد.. عد به مرة أخرى اليه، وقل له هذه الجملة فان قبله فبها، وان لم يقبله فسوف أقتل الحصان لامحالة، فاننا لانرجع في هبتنا..

فذهبت مثلا : أعطية غبينى..

الفَرْخ لايُغْوِيك ؟!

للشباب رونقه، ودالته، ونضارته، وجاذبيته.. خصوصا عند الغانيات، فشرخ الشباب عندهن عجيب، وأحلى الرجال عندهن من كانت خدوده تشبه خدودهن.. والا فليس له من ودّهن نصيب..

كان أحدهم زعيما يدل بزعامته، وفارسا لايشق له غبار، وكريما وسريا، ولكن الشيب قد وخطه، والسنين قد جعدت بشرته، وغضنت وجهه.. فاصطحب في سفره شابا في غضارة شبابه، وعنفوان فتوته، يكاد الدم ينفر من خديه، وتتمثل الفتنة في ملامحه.. فلما جد بهما السير، وأقبلا على حى حلول، قال الأمير لصاحبه الشاب: كأننى ببنات هذا الحى الآن سوف تتركز نظراتهن فيك، وتحظى منهن بالابتسامة الداعبة، والنظرة الراغبة، والمشية الخاطرة.. بينما أنا سوف تقتحمنى الأبصار، ويغفلنى النظار، وينسين من أنا، ومافضلى رئيسا، وفارسا، وجوادا..

قال الشاب: ان خصالك هذه سوف تشفع لك، فلننظر ماذا يكون؟.. وما أن أناخت بهما الركاب، وتقدما الى مكان القهوة

حتى برزت احداهن ــ وكان صاحب البيت غير موجود ــ فقالت للأمير: خذ الفأس وكسر الحطب، وأوقد النار، واعمل القهوة لسيدك، فسمع الأمير وأطاع، وأخذ الفأس، وكسر الحطب، وأوقد النار.. وجعل يعمل القهوة، وبقى الشاب كما شاءت هذه، متكأ حتى خلصت القهوة، وجعل يقدمها للشاب، وهو ينشد:

يازَيْن يَاللّى في ذِرَاعِك نَقَاريْش(١) — الحكم حكمُ الله وحُكْمُك على الرَّاس
إنْ شيْتِنِى(٢) حَشَّاش(٣) سَيْدِ الحَوَاشيْش — وإنْ شيتَنِى حَطّاب(٤) قرّبْ لِيَ الفَاس
وإنْ شيتَنى خَيّال فَازوِى المَرَاييش(٥) — أنْـنى وَرَاهُم يَوْم الأزْيَاق يبَّاس
والفَرخْ لاَيَغْويك في صَفَّة الرَيْش — طَيْر الحَبَاري يازَيْش العَيْن قِرْنَاس(٦)

وهكذا يكون السيد مسودا في حكم الجمال، وتلعب نظراتهن، ويستولى ودهن على أهله..

آلةُ العيش صِحّةٌ وشَبَابٌ — فإذا وَلَيَّا عن المَرءِ وَلّى

---

(١) نقاريش : ماتزين به النساء أيديهن من وشم
(٢) شيتنى : مخففة من شئتني
(٣) الحشاش : قاطع الحشيش وهو ماتأكله البهائم
(٤) حطاب : من يجمع الحطب
(٥) المراييش : الرماح يوضع تحت نصالها الريش
(٦) الفرخ : الصقر ابن عامه ومانسل ريشه بعد بخلاف القرناس. وأريش العين: كأن هدب عينها الريش لكثافته وطوله

إذبحوا ذبّاح الكلب..!

ظل قلب جزيرة العرب مايقرب من تسعة قرون، وهو في حال من الفوضى واضطراب الأمن لامزيد عليها، فمن بعد أن تقلص نفوذ الدولة العباسية، وغلبت الخلافة على أمرها في القرن الثالث الهجري انفرط عقد الأمن.. وأصبحت القوة هى الحاكم المطاع في هذه المناطق، فكل من يملكها فله السيادة والقيادة.. واذاً فلا غرابة أن تستأسد النفوس، ويمتلكها شعور نحو الآخرين أنهم لن يتركوا حقا رحمة أومروءة، وانما يتركونه خشية فقط..

لهذا لم يكن الشيخ حينما اعتدى أحدهم على كلبه وذبحه، ليستقر له قرار أو يهدأ له بال حتى يقتل قاتل الكلب.. لقد نادى أبناءه فور قتل الكلب أن اقتلوا قاتله، فكبر في نفوسهم أن يقتلوا رجلا في كلب، فسكت الشيخ على مضض..

وفي يوم كانت ابلهم على الماء فصدها رجل آخر، وضربها في وجوهها، وطردها بحجة أن الورد له، فتكدروا وتأثروا وأخبروا الشيخ، فلم يزد على أن قال: اذبحوا ذبّاح الكلب.. فقالوا: وماعلاقة هذه بهذه.. أنت شيخ هرم قد اهتز معقولك، وشاخت أعصابك.. فسكت..

وفي يوم آخر جاء راعى الابل مشجوج الوجه، ينزف دمه فتأثروا له أيضا، أخبروا أباهم، فلم يزد على أن قال: اذبحوا ذباح الكلب.. وكان العرب يعتقدون ــ وهو اعتقاد له مدلوله وحقيقته ــ يعتقدون أن الخؤلة لها دخل كبير في انجاب الولد.. وكان لهذا الشيخ ابن من امرأة ثانية، أهلها أهل شجاعة وهيبة وسطوة، لايدانى حماهم، ولايعبث بشرفهم.. وقد كبر الولد وشب عن الطوق، ولحق بأبيه واخوانه، فكان أول عمل قام به هو ذبح ذبّاح الكلب، وبعده جاء من صد النياق، ومن ضرب الراعى مستغفرين تائبين.. وبعده حذر القوم حماهم، وتحاموا الخطأ عليهم.. واستشعروا قول الشاعر:

اذا لم تكُن ذِئْبا على الأرض أطْلَسا كَثِيْر الأذى بالت عليك الثَّعَالِب

ولكن الاسلام جاء بما هو خير من هذا، بما هو أصدق فلسفة، وأنجع علاجا، قال: (ولا تستوى الحسنة ولاالسيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ومايلقّاه إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ باللّه انه هو السميع العليم...). «صدق اللّه العظيم».

رُمْح الجُمَيْلات في فَرَسِهم..!

مثل من الأمثال الشائعة على ألسنة الناس، لكل أمر يقع لسببه فرد أو جماعة من نفسه على نفسه، فلا يطالب فيه بمقاضاة دم أو مال..

وأصله أن رجلا شجاعا، فارسا، له صفة ومنزلة عند قومه وغيرهم في قلب الجزيرة أو في جنوبها.. قيل أنه من القبيلة المشهورة التغلبية، التي كانت تسكن الهدار من بلاد الدواسر الآن، وكان لها ذكر وشهرة ومكانة، ولها قصائد شعبية تاريخية مشهورة – ليس هذا مكان ذكرها – ومنهم الأسرتان الكريمتان آل صباح حكام الكويت، وآل خليفة حكام البحرين..

هذا الشجاع اسمه فيصل الجميلى.. تغرب عن قومه لأمر ما، وطالت غربته، وتزوج وأنجب، وكبر أولاده وبلغوا مبلغ الرجال.. ثم تذكر بلاده وأهله وعشيرته، ومتقلب صباه، ومضطرب فتوته.. فحن الى ذلك واشتاقه، وأخذت فكرة العودة تراوده، وجاذبية وطنه تلح عليه..

مـامِن غَرِيْبٍ ولو أبدى تجَلّده   الا تَـذَكّـرَ بـعـد الغربةِ الوَطَنا

وأخيرا جمع أولاده وأخبرهم بعزمه، وأجمعوا الرأى على المسير، فساروا نحو بلادهم.. وحينما أقبلوا على قومهم فرحين بعد طول غيبة، ومستبشرين بلم شمل بعد طول زمن.. ركبوا خيولهم واستبقوا مضرب الحى، وماعلموا أن أحياء العرب بواقعهم المؤلم من كثرة الغارات، والفتن، والسلب، والنهب.. يسابقون المغير، ويبادرون المقبل قبل أن يستكنهوا كنهه، أو يعرفوا حقيقته لأن المثل عندهم يقول: (العدوة لمن عدا بها).. فقابلوا المغيرين بصيحات الحرب، ورماح تهز، وسيوف تجرد، ونخوات تنطلق.. وكان أول رمح يطلق في خاصرة فرس كبير من أبناء فيصل الجميلى.. ولكن سرعان ماأدركوا أنهم أصدقاء، بل أنهم من صميمهم، فتراجعوا، وتسالموا، وقالوا: (رمح الجميلات في فرسهم).. فذهبت مثلا.

لَبَنَك .. ياطَيِّبَ اللبن . .

يرجعُون أخلاق المرء وجبلاّته ومَثُله الى لَبَنِه.. أن كان زكيا وأصيلا وجيدا فهو كذلك، وان كان بضده فهو بضده.. كما يرجعون كثيرا من تصرفات المرء وسلوكه.. الى صنعته التى يزاولها في حياته، فتجد لها أثرا فيما يصدر عنه، يدركه المتتبع و يستشفه الحاذق.

فهذا شمرى من جماعة دهام الجربا ممن هم يعيشون في أرض العراق، ألجأته ظروفه لأن يكون قاطع طر يق.. ينهب، و يسلب، و يقتل، و يوقف الطرق، ويمنع المارة.. وقد اشتهر باجرامه، وعرف بفتكه و بطشه.. فاحتالت عليه حكومة العراق حتى وقع في يدها، وشكّلت له مجلس محاكمة ليصدر فيه الحكم المناسب لهذه الجرائم الخطيرة.

انعقد المجلس، وأخذ في التحقيق معه، وهو يعترف بكل شيء بدون غمغمة أو موار بة.. فما دام أنه معروف بهذا السلوك لدى الجميع، فلا داعى لأن يخفف من عقابه.. فواحد من فعاله الكثيرة يستحق عليه الاعدام، فما بالك بها كلها.. واذاً فلا داعى أن يلطف من عقابه، أو يخفى شيئا.. لينال التعذيب

ليقر.. وحينما أحصوا الجرائم واذا بها عبء ثقيل وذنب كبير.. فماذا ياترى يكون الحكم عليه؟! أيقتل؟!. ان القتل المعتاد قليل في حقه.. ولكن ليجعل في مفرمة ليفرم بها.. هذا مايقوله أحد المُحكّمِين، أما الآخر فقال يسجر التنور حتى تلتهب جنباته، ويلقى فيه.. فيقول هذا المجرم للأول حينما حكم عليه بالفرم: لبنك ياطيب اللبن. ويعيد العبارة بنصها لمن حكم عليه بالاحراق في التنور: لبنك ياطيب اللبن. أما الثالث فقال: أنالاأرى أن يحرق ولايفرم.. فهذا مجرم. والاجرام مرض، ولابد أن له أسبابا.. فما يدرينا لو أن هذا العنصر اذا صرفت شجاعته وفتوته في الخير أن يبدع، ويكون عضوا بارزا في المجتمع.. أرى أن نحبسه ونستأني به حتى يتبين لنا من أمره مستقبلا مايتبين.. فلم يزد المجرم أمام هذا الحكم أن قال قولته المأثورة: لبنك ياطيب اللبن.. فأعادوه الى سجنه، ورفعوا خبره الى الحاكم، وانه لم يتأثر، أو يهتز، أو يتغير شعوره، أو يخف من الموت، أو يغير عباراته أمام هذه الأحكام المختلفة.. بل كلها يقابلها: لبنك ياطيب اللبن.. فقال الحاكم: ان أمر هذا لعجيب. فاستدعاه وسأله عن أمره، فأقر له/بكل شيء، ثم سأله عن أسباب تكرير هذه العبارة فقال: ان تصرف هؤلاء المحكمين فى أمرى يرجع أولا الى عنصرهم ومحتدهم أى الى لبنهم.. فكل يحكم حسب عنصره. وثانيا نوعية العقاب عندهم تفيدنى أن الأول ابن جزار.. فأول ماتبادر الى ذهنه المفرمة، والثانى ابن خباز، فأول

ماتبادر الى ذهنه التنور.. أما الثالث فهو ابن حاكم لايقصد من الحكم على المجرم التشفى والبطش، وانما يطلب له المعالجة، فلعله يشفى فيكون عنصرا فعالا في مصلحة وطنه وأمته.. فكل من هؤلاء الثلاثة يصدر عن أصله وصنعته..

وبالبحث عن هؤلاء وجد الأول ابن جزار، والثانى ابن خباز، والثالث ابن حاكم.. فعفى الحاكم عن هذا المجرم، وأسند اليه عملا لديه ليستفيد من فراسته، وتجربته، وقوته..

وهكذا : لبنك .. ياطيب اللبن !!

لَقَطَة غُلَيْس .. !

اللقطة مايوجد ساقطا فيلتقط من مال أو متاع أو غيره.. و(غليس) هذا الذى أضيف الى اللقطة.. شر ير مشئوم.. ذهب من أهله لطلب السلب والنهب، والبحث عن الجريمة.. فوجد من هم على شاكلته، فكوّنوا عصابة تلتمس الغرات، وتتبع الغفلات. أغاروا يوما على عرب فشعروا بهم وخفوا للفتك بهم، ففتكوا وأبادوهم، وظل رمق قليل في غليس، ومكث في مكان المعركة ثلاثة أيام يقاسى جراحه، و يعانى الآمه، ويحثوا التراب على الجوارح التى يراها حوله تنهش لحوم رفاقه.. واذا بظعن يقبل فيه رجل وامرأته وابلهم وماشيتهم، فعرجوا على مكان المعركة، ووجدوا هذا حيا، فرقوا له ورحموه، وأرادوا أن يعملوا فيه خيرا، و ينالوا بسببه أجرا، و يبذروا فيه معروفا.. فحملوه وظلوا يداوون جراحه، و يطعمونه خير طعام، و يعطفون عليه كل العطف حتى برىء واستكمل قواه.

وفي غيبة من صاحب البيت راود زوجته عن نفسها، فماطلته لكى تتخلص منه بأسلوب مناسب.. ولما قدم زوجها أخبرته الخبر. وجعلت تتفاهم معه على الطر يقة التى تسرحه بسلام،

حيث عملا الخير أولا، ولايريدان أن يكدراه ثانيا. وكان طرف من هذه المناقشة يصل الى أذنه، فظن أنهما يدبران أمرا لاغتياله، فابطن سوءا.. ولما رقد صاحب البيت تسلل الى بندقيته فأفرغها في رأس صاحب البيت، وقامت امرأته فزعة مرعوبة، وامتطت صهوة الفرس، وهامت على وجهها في ظلام الليل وحتى الظهر من اليوم الآخر، حيث وجدت فريقا تلجأ اليهم، فسقطت على الأرض فغمى عليها، ولما أفاقت أخبرتهم بكامل القصة، ووصفت لهم هذا الرجل بأوصافه الخَلْقِيّة ، وعلاماته الفارقة.. وكان ابن لهم شرير جاءهم خبره أنه قتل مع من قتل من اللصوص في المكان الفلانى، كان يحمل هذه الأوصاف تماما، فلعله كان مصابا ولم يمت ففعل هذه الجريمة.

قال الشيخ أبو العائلة: ان هذه الأوصاف تنطبق كل الانطباق على ابننا فلان، فاثنان منكم ينطلقان على فرسيهما، ويتعرفان على هذا الشرير.. فاذا وجدتماه فلانا الذى ينطبق النعت عليه فاقتلاه، وأتيانى بالابل وسائر المتاع لأهدىء روع هذه المرأة، وأعيد اليها شيئا مما فقدته.. وفعلاً ذهبا فوجداه أخاهما فقتلاه، واستاقا الابل وحملا المتاع وسلمها الشيخ للمرأة، وبقيت لديهم في جوار عزيز، واطمئنان وأمن.

وهكذا يقضى على الجريمة في وسط لاتسوده غير عاطفة الخير، ولا يحكمه الا تعالى النفوس عن الرذيلة، وحبها لشيوع الفضيلة..

واستشهد بعضهم على هذه القصة بهذه الأبيات:

الطيّب[1] مايَنْبَذر بالهَيْس[2]	يَجْزَاك بالعَكْس بافْعَالَه
علّي وَرْدَت سُوَاة[3] عُلَيْس	باللّي من المَغْرَكَة شَالَه[4]
عِقْب الجَمَايِل[5] وَمَره ابليسْ	جَازَاه بالبَوْق[6] وَاغْتَالَه

---

(١) الطيب هنا بمعنى الجود

(٢) الهيس : اللئيم

(٣) سواة : مثل

(٤) شاله : حمله

(٥) الجمايل : فعل الجميل مرة بعد مرة

(٦) البوق : الخيانة

يَدٌ تُقْطَع فِي الحق لَيْسَت عَضْبَاء .. !

وصايا الآباء للأبناء وصايا مأثورة.. يمحض بها الأب ابنه خلاصة تجاربه، وعصارة ذهنه، وحصاد عمره.. وأى شيء سوف يضن به الأب على ولده وفلذة كبده، خصوصا اذا كان الابن بارا ونجيبا. اما إذا كان بهلوانا.. فالوصايا فيه خسارة واجهاد النفس معه بوار.

لقد نشأ عمرو في حجر والده الثرى وأمه الحنون، نشأ مدللا غضا بضا، يكاد فضيض الماء يخدش جلده، وخطرات النسيم تجرح خده.. ليس لهما سواه.. ومن اولى منه بالدلال (والدلع)؟!. كبر الشاب. وبلغ مبلغ الرجال طولا وعرضا وجسامة ووسامة.. ولكن العقل والتربية ودروس الزمن بعيده عنه.. عرض عليه والده أن يزوجه فرضى، وقال: أنا أختار بنفسى من تصلح لى.. فقال الأب: وليكن هذا، ولكن نصيحتى اليك أن لا تنكح إلا بكرا. من أسرة ذات شرف ونبل.. فمضى الولد يبحث عن رفيقة عشه وشريكة عيشه، فراقت له دمنة خضراء، جمالها فاره، ومظهرها مغر، ولكنها فضلة زوج ونبتة عطن.. فأخبر والده بما اختار، وأخفى عنه كل

الأسرار.. فوافق والده، وجرى الزواج.. وبعد مدة أحس الوالد بالضعف، وأنهكته الشيخوخة، وأدرك أن متاعه من الدنيا قليل.. فاحضر الزوجة ليوصيها، وقال لها إن ابنه لايزال غرا لم تحكمه التجارب، وعشبة غار لم تلوحها السمائم، فاذا أطلق يده في هذه الثروة التي ترين فسوف لاتبقى لكما، ولكن سوف أضع القسم الأكبر منها هنا.. وأشار الى مكان أعده تحت الأرض وسط احدى الحجرات.. فاذا قضيت وطرى من الدنيا، وفارقت الحياة ونفد مافى يده، فأعطيه من هذه الثروة بقدر، وشحى عليه لكي يدرك مرارة الحاجة، فيقدر قيمة المال.. واذا رشد في تصرفه، واستقام في انفاقه فأعطيه ماله.. قال هذا ولم تمض أيام حتى ذهب لسبيله في الدار الآخرة.. وظل الولد يعبث كعادته.. أما المرأة فغلب عليها عنصرها الخبيث، وطبعها المنحرف.. فانعقدت صلتها بغير الشاب، وأعطته خالص لبها، وكامل حبها، وجعلت تنفحه مابين حين وآخر بنفحاتها السخية وأعطياتها الحاتمية.. من مال الشيخ الطيب والفتى الغر.

ومضت الأيام فنفد مافى يد الغلام.. فشكا لها حاله، ولكن شكوى الجريح الى العقبان والرخم.. قالت أضرب في الأرض، وابحث عن رزقك كغيرك، وهذا نتيجة لما كسبت يدك من تصرف أحمق.. فكبر عليه وهو ابن النعمة المدلل أن ينخرط في سلك العمل، وقد كان وكان.. فاختار أن يسافر الى بلاد بعيدة يطلب فيها رزقه أهون عليه وأبقى على ماء وجهه.. فسافر،

وهنـالك في البلد الذى سافر اليه عرفه صديق لوالده، كان على جانـب مـن الحكمة والرأى وحسن التصرف.. فأكرمه.. فقال: بماذا أوصاك به والدك، قال: أوصانى أن أتزوج ببكر ذات بيت شر يف، ومحتـد نظيف، فعصيته ووقعت فيما وقعت.. فهز هذا رأسه، وقـال: سـوف أتـصـرف مـعـك تصرفا تطالبنى به صداقة أبـيك ووفائى له.. فأعمل كل ماأقوله لك بحذافيره، ولا تبق منه شيئـا.. فـتـخـتـل الخـطـة، و يفسد العمل.. قال: الأمر اليك. فذهـب هـذا الـشيخ وأفضى الى ابنته بما افضى، وأوصاها بأن تـعـمـل بمـا أوصـاها به جميعه.. فقالت سمعا وطاعة.. وعاد الى ابن صديقه، وقال: سوف ازوجك بابنتى، وسوف أطلى جسدها كـلـه بـالـسـواد، وأخـبـرهـا بـأن تـكون صماء بكماء لا تتكلم الا بـالاشـارة، ولا تـكـلـم الا بها.. وعد بها الى بلادك، ولتكن امة ابـتـعـتـهـا لخدمة زوجتك، واتركها في البيت تستشف كل مافيه، وتـأخـذ دقـائـق أخـبـاره، ومـايجـرى فيه بدقة.. فان الفتاة ذكية جـدا، ولمـاحـة، وسـوف لايـطـول بها الزمن حتى تدرك الحقيقة.. واياك اياك أن تقربها حتى تعود الّى.

فتم زواجـه منهـا، وأخـذهـا حـسـب الخطة المرسومة، وقدم بها بـلاده، وقـال لزوجته: انه لم ينفتح له باب عمل بعد، ووجدت هـذه الأمـة الـبكماء رخيصة فاشتر يتها لخدمتك.. ظلت الفتاة في الدار تخدم بالاشارة وتجهد في العمل.. ولم يطل الزمن حتى رأت الـعـشير يجـيء في الغفلات، و يقضى وطره و يذهب فيها، ورأت

أين تدخل المرأة، وتكشف الباب السرى من حجرة الخزينة، وتخرج بها صرراً وبدرا.

وفى غفلة من غفلات صاحبة المنزل أفضت الى الولد بعلاقة المرأة بالرجل وبمكان المال، وأشارت عليه أن يعلن بيع البيت، ويقرر السفر الى بلاد آخر.. فانها أى المرأة سوف تمتنع عن السفر معه، وسوف تشير على صاحبها أن يشترى البيت بما غلا من الثمن، من أجل المال المخزون فيه. أخذ وصية الفتاة.. وقال للمرأة: اننى عازم على مفارقة هذا البلد، وسوف أبيع دارى.. فماذا ترين؟!. فقالت المرأة: انى لست معك، سوف ابقى في بلادى، فقال: الأمر اليك، وأعلن عن بيع البيت.. فانكفأ اليه أهل الرغبة في ابتياعه.. وكلما أعطوا فيه مبلغا جاء عشير المرأة فضاعف المبلغ، حتى ابتاعه باضعاف قيمته، واستلم ثمنه منه، وفي ظلمة الليل أحضر الركاب والبغال، ونقل المال ومتاع البيت، وترك الدار للأخسرين أعمالا..

وأثناء الطريق أمر الفتاة بأن تغسل سوادها، وتتهيأ لبعض وظائف الزوجية.. فأنكرت عليه هذا، وقالت: أذكر وصية أبي، فقال: لابد مما ليس منه بد.. فقضى الأمر.

ولما قدم على الشيخ صاحب الخطة الحكيمة يبشّره بنجاح الخطة مائة في المائة، وكل شيء تم على مايرام، ماعدا أن نفسه غلبته فقضى من الفتاة وطره.. قال الشيخ هذا الأمر لاأطيقه،

ولايمكن أن أغفره لك، هذا جزاؤه قطع يدك لامحالة، فقال: (يد تقطع في الحق ليست عضباء).. فأمر أن يخرج يده، فقالت الفتاة لايكون هذا بل يدى أنا.. فاننى فتاة ولايعيبنى قطع يدى، أما أنت فيعيبك هذا و يزرى بك.. وماشعر والدها الاو يد رخصة بضة كأن أصابعها أساريع ظبى، أو مساويك أسحل تنحدر عليه مع النافذة.. فامتنع عن قطعها.. وأقسم له باللّه أنه لم يسر الى الفتاة بشىء من هذا، ولكن لطيب محتدها، وزكاء عنصرها فعلت مافعلت .. وهكذا يكون اختيار شريكة الحياة شرطا أساسيا للنجاح.. (و يد تقطع في الحق ليست عضباء)؟!.



أمانة في هتيم .. ؟!

في بلادنا قبائل عربية غمطت حقها وجارت النظرة نحوها لالشيء إلا انهم يزعمون أنها مغموزة النسب ولا تنزع في مجموعها الى أمة عربية معترف بها.. ونحن لانشك في عروبتها لسانا وتكوينا وفضلا ولانجد في عاداتها وتقاليدها وسلوكها ومكارم أخلاقها مايقعد بها عن الصفات المميزة للعرب. ومن هذه القبائل قبيلة هتيم المعروفة واذا كان التفاضل بين الناس يقع من ناحية الدين (ان أكرمكم عند الله اتقاكم) أو في ناحية السمت والحفاظ ومكارم الأخلاق (ولم أجد الانسان الا ابن سعيه) وهذه لانجدها متخلفة في هؤلاء.. مما سبب هذا الغمط وهذه النظرة الجائرة مادام هذا الجنس من البشر متفرعا من دوحة واحدة ومن عنصر واحد؟!.

لعل العلم والوعى والنظرة الرحبة الواعية تقضى على هذه الظواهر النشاز في مجتمع قوامه الدين ورابطته الخلق وهدفه تكامل هذه الأمة وتكافلها... اقدم بهذه المقدمة الموجزة أمام قصة بطلها من هتيم هو (على بن صالح الهتيمي) مر بمضاربهم في البادية قافلة لأهل القصيم كبيرهم (على بن حمدان) من (الخبراء) فأصيبت احدى رواحلهم بمرض اقعدها عن معانقة

الصحاح فتركوها لدى رئيس القوم (على بن صالح الهتيمى) على أمل أن تبرأ فيرسل بها الى بلادهم أو تهلك فيأكل القوم لحمها.. ولكنها هلكت وأكل الحى لحمها واحتفظ الأمير الهتيمى بجلدها ليبيعه بريال ويشترى به حولية من الضأن ويضعها ضمن غنمه.. لتلد وتلد وينمو نسلها حتى اصبحت غنما كثيرة جدا ولكن الجوائح التى تصيب مواشى البادية أحيانا اصابتها ولم يبق منها إلا قلة فاستأنفت نموها ووفرة تناسلها لتعود كما كانت أو أكثر مما كانت فينتهز (على بن صالح الهتيمى) صاحب هذه الأمانة فرصة كثرتها ووفرتها فيقبل بها (نحو على بن حمدان) صاحب الراحلة الهالكة ماعدا شاتين منها تركها في غنمه تفاؤلا بها وتبركاً، فلم يشك (على بن حمدان) في أن هذا الهتيمى ضيف له جاء بهذه الغنم ليبيعها في القصيم ولكن كيف تباع هذه الغنم الكثيرة بسخالها وبهمها الكثير دفعة واحدة أن البدوى لايبيع من غنمه الا بقدر حاجته من ذكورها والمسنات فيها وحولياتها.. الخ، ان لهذه الغنم وصاحبها قصة..

ولم يلبث قليلا حتى سأله ليستظهر جلية خبره ولكن كانت المفاجأة في جواب الهتيمى الذى قال أنها غنمك:

علي الحمدان : أشكرك وليبارك الله لك فيها

الهتيمى : أقول لك: غنمك بحق لأنها غنمى سوف أهبها لك.

الحمدان : لم أعلم لى غنما قط لدى أحد.

الهتيمى : هذه غنمك التى لا تعلمها.

الحمدان : كيف ؟

الهتيمى : ألم تكن في سنة كذا قد تركت راحلة من رواحلك مريضة عند حي من هتيم كبيرهم (على بن صالح الهتيمى) على أن يعيدوها اذا سلمت أو يأكلوا لحمها اذا هلكت.

الحمدان : بلى فماذا فعل الله بها؟

الهتيمى : انها هلكت !

الحمدان : وماذا بعد الهلاك ؟!

الهتيمى : ألم يكن جلد الناقة سلعة تحرص النساء البدويات على الحصول عليها ليجزأ ويدبغ فتكون منه العياب والغبط والمزادات والدلاء.. الخ
لقد بعت جلد راحلتك بريال واحد واشتريت به نعجة ووضع الله البركة في هذه النعجة فتناسلت حتى ملأت الجو غنما ولكنها اجتيحت الا أقلها ولم تزل البركة تلاحقها حتى اصبحت كما ترى وتركت منها نعجتين في غنمى تفاؤلا.

الحمدان : اننى لأكاد أصدق. ولكن ألم تكن قد ربيتها ونميتها وحطتها بعنايتك ورعايتك فما الذى يخصنى بها دونك ؟!

الهتيمى : هى أمانة عندى غير مشروطة بشرط فما الذى يبيح لى أن أقول هذا لى وهذا لك؟!

الحمدان : بلى وهذا أقل ماتكافأ به على امانتك وموقفك المثالى النادر.

وبعد لاي وتردد من الهتيمى نصفت الغنم نصفين ذهب الهتيمى بنصفها وبقى لحمدان النصف الآخر.

فرحبا بالهتيمى واضرابه نماذج في الصدق والامانة ومخافة الله. وليعد ذلك السلوك الاسلامى الطاهر يسود مجتمعنا ويزكيه ويحفظه من الغوائل والدخائل.

الحبيبي .. والدعيمي

صديقان حميمان.. الأول كان يسكن الخرج من منطقة اليمامة، والثانى كان يسكن عمان.. وكان الحبيبى يزور صديقه في عمان كل عام، و يلقى منه الحفاوة والاكرام، ويمكث عنده فترة كلها استذكار للماضى ومنادمة وملاطفة.. ففرق الموت بينهما مات الحبيبى، وكان له ابن على نصيب كبير من الجمال، عاش في نعمة أبيه، وشب مترفا متنعما.. وقد أوصاه أبوه قبل موته أن يبر بصديقه الدعيمى، وأن يبقى الصلة التى كانت بينه وبينه مستمرة، وأن يزوره كل عام، و يقدم له من الهدايا والتحف ماكان أبوه يقدمه له.. ففعل الابن.. ولما قدم على الدعيمى لأول مرة أكرمه وبالغ في اكرامه، وأنزله في جناح من داره، وعهد الى بعض خدمه بتعهده وخدمته..

ولقد وقعت عين ابنة الدعيمى على هذا الشاب الوسيم ماجد الحبيبى، فشغفها حبا، وجعلت تراقب حركاته وسكناته ولم تزدد الا غراما وهياما.. وفي ليلة مضى هزيعها الأول جاءته متسللة وارتمت في حضنه، فلم يشعر الا وهذه الظبية الفاتنة والفتنة السافرة ملتصقة به، وكانت من الجمال والفتنة على نصيب

كبير.. فبادلها حبا بحب، وغراما بغرام، وولها بوله.. غير أنه لم يكشف لها ثوبا، ولم يدخل معها في ريبة باتفاق بينهما.. وهكذا استمر الوضع ليالى.. ولكن الشاب خشى الفضيحة وقدر الموقف ومافيه من حرج مع والد الفتاة الذى أدخله بيته، وبسط له في الاكرام، ثم هو أيضا صديق والده، وهذه أيضا لها مدلولها ومعناها.. فاستأذن الشيخ وسافر الى بلاده دون أن تعلم الفتاة.. فأصابها الفزع، وبرح بها الوجد، وبقيت طريحة الفراش.. إلا أن الشاب حينما وصل بلاده بعث الى الفتاة برسالة شعرية مع صديق له يدعى (طوقا)، وأعلمه بأن يقف خلف الدار تجاه نافذة تطل منها الفتاة دائما، وحينما تراه فليلوح لها بالرسالة، وسوف تبعث من يأخذها.. وفعلا طبق طوق ماأمره به ماجد، فأرسلت الفتاة خادما لأخذ الخطاب، وبعد أن عاد به وقع في يد والد الفتاة فقرأه، ولم يجد به ريبة تخدش عفة الفتاة، أو تغمز كرامة الشيخ، فقال للخادم: أعطه سيدتك ولا تعلم أننى قد اطلعت عليه، واذا أخذت رده لتسمله لمندوب ماجد فأعطنيه أطلع عليه قبل أن تسلمه.. فأخذت الفتاة الرسالة وقرأتها ورددتها، وأذالت ساخن الدمع على مالاقته وماتلاقيه.. فأعدت الرد شعرا باكيا مثل شعر ماجد أو يفوقه، وناولته الخادم فعاد به بعد مدة، واطلع والد الفتاة عليه، فرق الشيخ لهذا الالف العف، وهذا الوجد المتمكن. فأعطى الخادم الرسالة، وقال : سلمها لمندوب ماجد (طوق)، وقل له يتصل

بى.. ولما سلمها اليه أخبره برغبة الشيخ، وفعلا اتصل به فأعطاه رسالة لماجد، مضمونها أن يتوجه حالا ليزوجه الفتاة، وحينما عاد الرسول ووقعت الرسالة في يد ماجد بادر بالسفر.. فقدم على الدعيمى، وفي يومه ذلك عقد له النكاح على الفتاة، ودخل بها.. وفي الصباح وجدا جثتين هامدتين متلاصقتين..

وهكذا يفعل الحب مايفعل، و يفتك العشق ببنيه، فهو حاكم غير عادل، وسلطان غير راحم..

فان كنت ذا لب فلا تقربنه ..

فغير بعيد أن يصيبك حده..

أما قصيدة ماجد التى بعث بها الى الفتاة، فهى:

يـاطَـوْق يَـاقَـازى على كُوْر ضَامِرَ　　تَبُوْج الفَيَافِي نَاحِلاتٍ خَدَايِمَه[1]

لأسِرْتَها يَـاطَـوْق عَشْرٍ كَوَامِل　　وطَالَغت من قَصْر الدُّعَيمى عَلاَيِمَه

سَلّمْ على قصر الدعيمى ومَن به　　أجَاوِيْد[2] مَادَاسوا[3] بِنَا قَطْ لاَيِمَه

سَلّم عدد ماهَلْ وَبْل من السما　　أو مالَعَى القِمْري بلَيلٍ ورَايِمه

تَرَى حِبَّهم ياطَوْق كالنَّقْر بالصَّفَا　　وَنَقْرِ الصَّفامِهيِّب تَمْحَى رَسَايِمَه[4]

---

(١) طوق : منادى، قازى: مترحل، كور ضامر : قتب ناقة ضامر، خدايمه : خفافها.

(٢) لاسرتها : اذا سرت عليها.

(٣) اجاو يد : اجواد

(٤) داسوا : وطأوا

نَفْرَ الصَّفَالوهَبَّتِ الريحَ ماآنْجَلَى ولوجَا الحَيا ماخَرَّبِ المَا عَلاَيِمَه

وأما قصيدة الفتاة ، فهى :

ياطَوْق وان جْيت الحَبِيْبِى مَاجِد وهـو بـالمـعَـادِي بَـيَـنَّـاتٍ وَسَايِمَـه

مَن هَاب وُرُدَالـمَاصَدَر مِنه ماآرتَوَى ولـو كـان بالما شَـارِعَاتٍ كَـظَايِمَـه

وَمَـن كـثَّـر التَّـصْدِيْد عَمَّـن يَـوَدّه على غير بغض مِـخْطِرٍ مَا يُلاَيِمَه[1]

ومن ظل يَزْجى بالعَسَى باتِ بالعَسَى تَـلْهِـيه غاراتِ الـصِّـبا عـن وَلاَيِـمَه

عَـشَـقْتَه وأنا اللّى كل شيخ يقولِ لى لأَواهِنِـى بـالـعُـمْـر مَـن هِـي تُـلاَيِـمَه

وَمْـلايِـمـى وَلَـد الـحَـبِـيْـبِى جَـنَّـة ولا جَـنَّـة الدنيا لِـحَى بِدَايِمَـه[2]

كـم لـيـلـةٍ بِتْـنَـا ولا بـات بيـنِـنـا حِذا الخَيْط مَحتِيِّ بالايدى نَظَايِمَه[3]

رِيْحِـه على جَنْبِـى وطَارِيْه في فَمِي ورُوْيَـاه تُـوْقـظْنِى ولو كنتِ نَايِمه

أقُوْم وأنا اُطْهَـر مـن حَـمَامَات مَكَّة والا فِـرِطٍ تَـلْوَى بالأيْدى حَزَايِمَه

(١) ترى حبهم : إن حبهم مهيب : ليست رسايمة علاقاته

(٢) التصديد : الصدود، مخطر : حري

(٣) ملايمى : ملاءمتى، لحي : لكائن

(٤) حذا : الا، الخيط محتي : برم المرأة وهو ماتتخذه على وسطها تحت الملابس الداخلية من سير مبرم أو نحوه

مـرُوْءةَ .. ووطَنيَّـة ؟!

في سنين قريبة كنا نعرفها، وفي في وضع كان يقاسيه سكان قلب الجزيرة من شظف العيش، وخشونته، ومرارة الحياة ونصبها.. كان رجالها يذهبون لطلب رزقهم في مناكب الأرض، حيث الأنهار الجارية، وضفافها في العراق والشام.. وحيث مصائد اللؤلؤ في الخليج العربى.. يطلبون رزقهم هنالك، فيصيب من يصيب، ويخطىء من يخطىء.. والذى لايخطىء لايسوّغ له وضعه، ولا تساعفه مروءته أن يعود خالى الجراب، بينما صحبه قد أدركوا ماأدركوا، فان عليه واجبات وحقوقا لابد أن يؤديها.

وهذه المرة كان الاخفاق من نصيب محمد البحيرى من أهل (المذنب).. فلقد بذل المستطاع في الحصول على ماحصل عليه صحبه، ولكنه لم يسعفه النصيب، ورأى صحبه يجمعون أمرهم، ويتأهبون للسفر لبلادهم، ويبتاعون مايبتاعونه.. أما هو فاستولت عليه الهموم، وخيم عليه الحزن، وجعل يسامر أحزانه، ويرافق همومه.. ولكنه فزع الى الشعر ليحمل رفقته ودفقات قلبه، ولو اعج حزنه الى أهله وعشيرته ومواطنيه، فقال:

يأراكِبيْن أكْوَار هِجْنٍ هَفَا هِيْف — هَنيِّكُم يامِبْعِديْنٍ عن الهُوْر[1]

يامِنَ يُوَدِّيْنِي من السِّيْف لِلرِّيْف — نَجْدٍ هَوَاى وكل من طاع لي شُوْر[2]

سَوَّاى بى البَرْغُوْث شَيء زَعَانِيْف — مَن شَاف حالى قال ذى حال مَجْدُوْر[3]

لى دِيْرةٍ بين الخُشُوْم المَهادِيْف — مُرَيْقِب العَيْفَار والحَزم والقُوْر[4]

دار لَنا هى عِزَّنا غَايَةِ الكَيْف — ياما بها من خيِّرٍ وَافِي شْبُوْر[5]

رِجَالٍ تَعِزْ الجَار وتُكْرِّم الضَّيْف — على الشّكَالَة لَيْ هَبَا كِلْ مثْبُوْر[6]

ياما بها مِنْ لابِساتِ المَشانِيْف — غِرِ المَذَابح فيهن الزَّيْن مَنْثُوْر[7]

جَمَالِهن مالامَحَنْ به ولاشِيْف — ورِجَالِهن هُمْ سِتْرَهن دُونِهن سُوْر[8]

وَجْدِى عليهم وَجْد رَاعِى مَوَالِيْف — حِيْرَانَها وَقْم الثمانين مَقْهُوْر[9]

جَاهَا عَقيْدٍ رَدَّف الجَيْش تَرْدِيْف — عَطَا لِهنْ مابين حَزْمٍ وَعِنْقُوْر[10]

أو وَجْد رَاعِي حَوْطَتيْنٍ مَهَادِيْف — يَفْجَر عليهن طَلْعِةِ الشمسِ بَنْهُوْر

صَبَّحْهِن الحَاكِم بقَوْمٍ زَعَانِيْف — خَلاً نَمَاهِن كِنَّه الجَوْخ مَنْثُوْر

---

(١) اكوار : اقتاب، هفاهيف: خفاف، الهور : ساحل البحر أو النهر

(٢) يوديني : يحملني، الشور : الرأى

(٣) سوى بى : عمل بى، زعانيف: تباريح، مجدور: مصاب بالجدرى

(٤) ديرة : بلاد: خشوم : انوف جبال،

(٥) غاية الكيف : غاية الانس، الخير : الخيار، وافى شبور: طويل الاصابع وفي التعبير كناية

(٦) الشكالة : المروءة

(٧) لابسات المشانيف : لابسات الحلى
غر المذابح : غر النحور

(٨) لامحن به : لم يبدينه ، دونهن سور : اى حمى

(٩) المواليف : الابل المتآلفة، حيرانها اولادها، مقهور: محبوسة عن امهاتها.

(١٠) عقيد : قائد، ردف الجيش : نوق كل ذلول فوقها اثنان، عطالها: جاء لها: عنقور هضبة عالية.

(١١) حوطتين مهاديف : حديقتين من النخل تنوء بثمرتها، نهور انهار

(١٢) قوم زعانيف : قوم حردة . كانها الجوخ المنثور: القى ثمرها الأحمر بالارض كانه الجوخ

حمل هذه القصيدة رفقته، وتخلف عنهم يهوى قلبه الى مصاحبتهم، ويحن و يئن على فراقهم.. وحينما وصلوا وقرأ القصيدة أهله ومواطنوه جزعوا لحاله، ورقوا لواقعه، وهزتهم هذه القصيدة وحركت شغاف قلوبهم.. فبادروا بجمع المال، حتى أصبح لديهم حصيلة جيدة، تغنيه عن البرغوث، والهور، ومسامرة الغر بة، وهم فراق الأهل.. فبعثوا به اليه، وعاد قر ير عين طيب نفس.. وهكذا يكون الرجال البررة بمواطنيهم الذين تهزهم الحمية، وتحركهم الوطنية، و يستجيبون لنداء الضمير الحى، والنفس الزكية..

اذا هززت فاهزز كريما، واذا عرضت ماء وجهك فاعرضه على ذى مروءة.

بِرٌّ .. ووفَــاء ..

بـر الـوالـديـن لـدى عـرب الـباديـة فـضـيلة يلتزمونها، ومبدأ يأخذون به، وسنة حسنة من سنن العرب، اتخذوها خلقا، ودرجو عليها مسلكا.. فهنا قصة شيخ وقور تقدمت به السن، واتخذ العصا سندا له في قيامه وقعوده وسيره. وله ابن بار، ولكنه كثير الاسفار في شئون حياته.. واذا أزمع السفر عهد بوالده إلى النساء أن يحفظن غيبته فيه، و يكرمنه، و يأخذن بخاطره.. ولكنهن يكن بضد ذلك، يغفلن أو يتغافلن عنه، و يتركنه يقاسى من الضعف والتعب، كما يقاسى من خدمة نفسه والقيام بشأنه، وقد طمع أن ينتهين عن معاملتهن السيئة بدون أن يفضى بالأمر الى ولده، ولكنهن بقين على ما كن عليه، واذا حضر الابن احتفين بالشيخ وأخذن في اكرامه وخدمته.

وضاق ذرعا بمعاملتهن، ولما قدم ولده أسمعه هذه الأبيات:

ألا يَاوْلِدِى وان غِبْت عَنِّى جَفَنِّى   خَبِيثَات نَقَّاضَات عَهْد الوَثَايِق
يَابُوْك زَوَّدِتِ المَواطِى بثَالث   وغَديْت كِنَّى في قَليْبٍ مُوَايِق[1]

---

(١) زودت المواطى بثالث : كناية عن نقل العصا، موايق : مطل

أبِيْك تُوْصِى بى لِحَيَّ يرُوْف بى　　　حَفِيٍّ الى مايَلْحَق العُمْر عَايِق

فتكدر صفو الابن، وضاق به العيش أن تصل الحال بوالده الى هذا المستوى، فأخذ على نفسه أن لايفارق والده، وأن يوقف نفسه على خدمته، وترك الأسفار وانصرف الى قضاء بعض حق الأبوّة.. وقال:

عَلامِك كِفِيْتَ النار ضَيَّقْت خَاطِرِى　　　بِقَوْلَتْك كِنِّى في قليب مَوُايِق

مادَمْتَ حَيٍّ لك على راس مَرْقَب[1]　　　طَوِيْل الذَّرَى عَشر على كل وَايِق

دَيَّنْتِنى دَيْنٍ وأنا مِيْسِرٍ بِه　　　وكل فتى مايُوْفِي الدين بَايِق

(١) على رأس مرقب : يعني لاتخف من شيء. بايق : خائن

عَوَّاد .. وعُبَيْـد !

جمعت بينهما صداقة رابطتها المروءة والألفة، ومجالس الأدب والأنس، ومسامرة أخبار الرجال واستذكار الجود والأجواد.. يتنازعان دفة الحديث، و يدلى كل منهما بما اختزنته الذاكرة، وما استجاده من محفوظه، و يلتقى في ناديهما مَنْ حولهما من الرجال والشباب.

أحدهما حضرى صاحب نخل وزرع، مزرعته مأرز للقصاد وملتقى للرواد، ينال الناس منها و ينيل، ويجدون بها متفيئا ومتنزها.. ويجد الضيف، وابن السبيل، والمار، والعابر بغيتهم ومستراحهم.

أما الآخر فبدوى صاحب ابل، يتبعها في الربيع، و يرتاد لها مساقط الغيث ومنابت الشجر، و يقنى منها و ينيل، و يبيح لبنها للقريب والبعيد، والمار، وعابر السبيل.. أما في القيظ فيكون جارا لصديقه الحضرى، يسقيها من ماء حديقته، و يعلفها بما زاد عن حاجته، واذا ذهبت حرارة الصيف، وطلبت الابل التمادى في المراعى حمل من لدن رفيقه مايقيته ومن معه من تمر و بُر.. وهكذا الثقة بينهما موجودة، والكلفة مرفوعة.

وقد تتابعت على الحضرى سنون عجاف أثقل كاهله دينها، وأخذ الغريم بتلابيبه، واضطره الى بيع النخل عليه سدادا لدينه، إلا عشر نخلات استثناها، وادعى انها ملك لصاحبه البدوى.. وهكذا يتم البيع، وينتقل الحضرى الى بيت وسط القرية، ويظل كاسف البال، مكسور الخاطر.. فينقل الخبر الى صاحبه البدوى ليقبل مسرعا، ويشفع بحكم عشر النخلات التى له في هذه المزرعة، ويسلم كامل القيمة الى غريم صاحبه الحضرى، بعد أن باع من ابله ماباع، واستخرج من مدخره مااستخرج.. كل هذا وصاحبه الحضرى لايعلم ولم يشعر الا بصاحبه البدوى يأتيه في داره بالقرية، متجاهلا ماكان بالنسبة لصاحب المزرعة.. ولما قص عليه القصص أخرج ورقة المبايعة مع الغريم، وسلمها له، وقال: هاهو ملكك يعود اليك.. فارجع اليه مسرورا، ولاتكن من أمرك في ضيق، ولا من حياتك في تعب.. وتذكر أن لك صديقا لايدخر عنك مدخرا، ولايحب أن ينالك سوء.

وهنا قيل :

يَاحِبَّنِى لاهل الوَفَا والأَجَاوِيْد   لَوهُم من اهل الشَّرق والاالشمال(١)
خَطْوَى الولد يَضبر كما يَضبر الحَيْد   يَشِيْل شَيْل مَثَقَّلاَت الجِمَال(٢)

---

(١) الاجاويد : الاجواد.

(٢) خطوى الولد : بعض الاولاد، الحيد : الصخرة، يشيل : يحمل

وَاحْدٍ مَحَاصِيْلَه لِرَبْعِه مَنَاقِيْد	يَضْرِب على دَرْبِ الرَّدَى مايُبَالِي (١)
رِفْقَاتَهم رَفْقَات حَاجَة وتَقْلِيْد	بَذْرٍ بهم كِنَّة بِصَبْخَا هَيَال (٢)
وِدَّكْ تُرَافِق مِثْل عوَّاد وعبيد	يُضْرَب بِهم وصفٍ لأتْلَى التَّوَالى (٣)
باع النخل بالدَّيْن هو والمَعَاوِيْد	وظَهَر مُفَلِّس من جميع الحَلاَلَ (٤)
مِشتَثْني عشر نخلات من الغِيْد	قال: لَرفيْق قد فَزَع لى بِغَالى (٥)
وفَزَع رَفِيْقه مِرْ ذِي الكِنَّس العِيْد	والدَّيِن سَاقَه بالوَفَا والكَمَال (٦)
رَدَّه على مِلْكه بِلَيَّا تَحَادِيْد	ذى رُفْقَةِ اللَّزْمَات بين الرجال (٧)
مَهُوْب مِن يَدْرِقَ رَفِيْقَه كَمَا الصَّيْد	مُضْوَة زَمَان و يَنْكر الفِعْل تَالى (٨)
سَبَّابَةِ المُقْفي لِئَامٍ حَوَاسِيْد	اللّه عَسَاهُم لِلْفَنَى والزَّوَال (٩)

وماأكثرهم لاكثرهم الله، وماأحقرهم وأحط نفوسهم.. يصادقونك من أجل السلطة التي تملكها أو المال، و يتملقونك و يتزلفون لديك.. وماأسرع مايتنكرون لك و ينفضّون عنك.. ألاَ بعدا لهم وسحقا..!!

---

(١) مناقيد : مخازى، درب الردى: طريق العيب
(٢) رفقاتهم : صحباتهم ، كنه: كأنه ، صبخا : سبخة
(٣) ودك : شأنك: التوالى : الأواخر
(٤) المعاو يد : الابل يسنى عليها
(٥) الغيد: النخل
(٦) مر ذى الكنس العيد: متعب المجن السمان
(٧) بليا تحاديد: بدون قيد أوشرط، اللزمات : الالتزامات
(٨) مهوب : ليس، يدرق : يختل، كما الصيد: كما يختل الصيد.
(٩) سبابة المقفى : من السباب، المقفى : المدبر، حواسيد حساد

كَلِمة شَرَف ..

أعطى فازع بن شرار والد الفارس المشهور جهز بن شرار أحد شيوخ مطير بنى عبدالله بن غطفان.. أعطى رجلا من قومه وعدا بأن الفرس الفلانية سوف تكون تحتك في الغزو القادم، ولما قرب موعد الغزو واذا بفرس ابنه جهز قد قتلت.. وبقى الشيخ متحيرا بين أن يفى بوعده لمن وعده الفرس، وبين أن يعطيها لابنه الشجاع الفارس، الذى يعد عن عدد كبير من الرجال بدلا من أن يتخلف عن قومه، وهم به وبفروسيته أحوج.. ولكن الوفاء بالوعد، والوقوف عند الكلمة لايعادلها شيء عند العرب الخلص الأوفياء، فقال الشيخ لابنه لاأستطيع أن أخل بوعدى مهما كانت الظروف، فأنت بين أمرين: اما أن تقنع من وعدته الفرس، وهو المدعو (كديميس)، وتصلح معه على ماتصلحان.. وأما أن تتخلف ولاضير في التخلف.. فذهب جهز الى كديميس، وحاول أن يقنعه بأن يعطيه الفرس ولو بشرط قسم من الكسب، أو مبلغ معلوم من المال.. فأبى وقال هذه الفرس سوف لايغزو عليها الا أنا، الا أن كان أبوك قد أخلف وعده.. قال جهز: لو أن والدى عنده تفكير في اخلاف وعده لما جئت أطلبك.. فأصر كديميس على قوله: وقعد جهز عن الغزو،

وكانوا عازمين الغزو على (حرب).. وحينما أحضروا ركابهم.. صعد جهز رأس جبل يطل على طريقهم الذى سوف يسلكونه، وبعد قليل مرت به الهجن والخيل منقادة تنهب الطريق، فغنى:

يَومِ اشهَجَنِّي نَابِيَاتِ النَّسَانِيْس ... الموت عندى والحياة مُتَسَاوِي

عسى فَقِيْدَة قُوْم فَازع (كُديْميس) ... يَضرِبَ برمح بين الاضلاع هَاوِى(١)

تَكْفُوْنَ يَالبيْضَان هم والدَّهَالِيْس ... تَلَقَّفَوا له عِندكم في المَطَاوى(٢)

أمّا آنت يامثَّال ولاانت يَانعَيْس ... حَيْث انَّكُم قِدَّامَهم بِالحَرَاوِى(٣)

حيث انكم فِرِّيْس وعِيّال فرِّيْس ... أهل مِهَار الخيل ماانتم شَوَاوِى(٤)

والبيضان هم والدهاليس بطنان من حرب، ونعيس هو نعيس بن دهيليس من الفردة من الحرب، ومثّال هو مثال بن غنمين من أمرائهم.. وليس هؤلاء بحاجة الى من يندبهم.. فهم أهل الشجاعة والفروسية.. كيف والغزو سوف يهاجمهم في عقر دورهم، و يصر على أخذ ابلهم، واستباحة دارهم.

فاستجاب الله دعاء جهز، وأصبح الفارسان نعيس ومثال عند حسن ظنه.. وفوق ذلك.. ضربا كديميسا بحربة نفذه سنانها

(١) فقيدة : من يفقد من هؤلاء القوم. هاوى : غائر

(٢) تكفون : نخوة تلقفوا : انتظروا

(٣) الحراوى : مظنة اللقاء

(٤) فريس : فرسان. شواوى : رعاة غنم

وسابقه الأرض، ليبقى كالشلو معلقا بين زج الرمح وحربته مفارقا الحياة، فتركوه معفرا وأخذوا فرسه.. ولما حمل الرواة اليهم قصيدة جهز وثناءه عليهم.. قالوا هو أحق بها وأهلها.. وبعثوا بالفرس اليه.

وهكذا يتبادلون الجود ويتنافسون في الشيم والشمم، وتلك من أخلاقهم ومبادئهم.

كَـرَم ورَجُوْلة

الكثير منا يعرف الشاعر الموهوب (نمْر بن عدوان الصخرى)، من قصائده الرائعة.. وطول باعه في الشعر النبطى، ولكن القليل يجهل أن وراء هذا الملهم، موحية له، وقديما قيل (فتش عن المرأة)، فقد كانت زوجته (وضحا) مثال المرأة العربية، من حيث عراقة الأصل، وكمال الخَلَق والخُلق معا، وقد عاشت معه سبعة أعوام مرت كالحلم العابر.

الى أن هجع الناس في أمسية ثانى يوم في عيد الفطر، وكان الشاعر وحليلته يتناجيان، واذا به يتذكر فجأة.. فرسه الأثيرة عنده من خيله، فسألها عما اذا قد اعطتها طعامها، ولما لم تكن متعودة على أن تقول له(لا).. فقد ردت بنعم، وان كانت تشك في صحة جوابها.

وما أن اطمأنت الى أنه قد أغفى، حتى انسلت من جانبه في خفة ومهارة، وذهبت الى الفرس، لتلقى اليها الطعام، وبينما كانت بجانبها، استيقظ (نمر) على صهيل الفرس، ورأى في الغبش بياض ساق زوجته، فتخيله لصا يريد استلاب فرسه،

فسدد رمحه اليه وكانت فجيعته العظمى، حين تهاوى الشبح، يردد بصوته الرقيق اسم الحبيب القاتل!.

نهض على الفور، وسجّى جسد زوجته الغالية، وأيقظ أبنه (عقابا) وأوصاه بحراسة المضرب، ثم امتطى صهوة جواده، قاصدا أصهاره وهو وجل مضطرب، ووصلهم في الهزيع الأخير من الليل، حيران آسفا ينعى اليهم الف روحه، و يسلم لهم نفسه ليقضوا فيه مايشاءون.

رحب به حموه الشيخ في بشاشة ولطف.. واستدعى أشباله الستة، ليكلف أربعة منهم بدفن شقيقتهم وتشييع جثمانها، و يأمر الخامس باستدعاء (المأذون) ليعقد لـ(نمر) على ابنته الأخرى، و يوعز للسادس بأن يذبح خروفا لضيفه، ويهيء له عشاء عاجلا.. و يتم ذلك في هدوء اعتيادى.. قل أن يوجد مثله حتى في الأساطير.

و يبنى (نمر) بزوجته الجديدة، ولكن.. شتّان.. شتّان.. فهو لم ينس مطلقا.. سالبة فؤاده(وضحا) التى ألهمته، حتى وهى ميتة، روائع المراثي التى لا تزال تتردد على كل لسان.

فِعْل الجَمِيل

على المنهل المسمى (شرمة) من مياه الروسان من عتيبة جماعة ابن جامع في شرق نجد، كان أمير الروسان حسين بن جامع وجماعته يقطنون هذا الماء، وعليه جاورهم الشيخ قاسى بن عضيب القحطانى من آل حشر شيوخ آل عاصم من قحطان، ومعه محسن بن فتنان من جماعته.. فأغير عليهم على هذا المنهل، وحصلت معركة كسرت فيها ساق قاسى بن عضيب، وأخذ قسم من ابله وصدوا المغيرين، وبقى معهم قسم كبير من ابلهم.. وظل قاسى بن عضيب لديهم كسيرا مدة تسعين ليلة يحتفون به، وكل ليلة يذبح له ذبيحة.. وحينما برىء وأراد أن يذهب الى قومه، هو وأولاده ومن معه، جمعوا له ابلا عن الابل التى أخذت له.. ودفعوها اليه ففارقهم، وأخذ يقول:

واللّه لولا الرَّبْع والربع نيَّة ... مايَنْزَعِج مَظْهُورَنا حَادِرِين[1]
واللّه يافَرْقى حُسَيْنٍ عَلَيَّهْ ... الا أنَّها ظلما من الظالمين[2]
وَدِّي بهم لو كان قَوْمٍ لِظيَّه ... أحبهم حيث أنهم طيبين[3]

---

(١) الربع : الرفقة. نية: التزام. مظهورها : مركوبها. حادرين: منحدرين.
(٢) فرقى : مفارقة ، عليه : علّى. ظلما : ظلم
(٣) ودي بهم : أودهم. قوم لظية : اعداء الداء،

ثم أغار قوم من قحطان على الروسان فأخذوا منهم ابلا.. ولما علم الشيخ قاسي سعى في رد ابل الروسان اليهم، وفعلا ردها، وبقيت ناقة لشخص يدعى العوهلى من الروسان لم يعلم من هى في يده من قحطان.. وأخيرا اهتدى اليها، فأخذها ممن هى عنده، وبعث بها الى صاحبها العوهلى، ومعها هذه القصيدة:

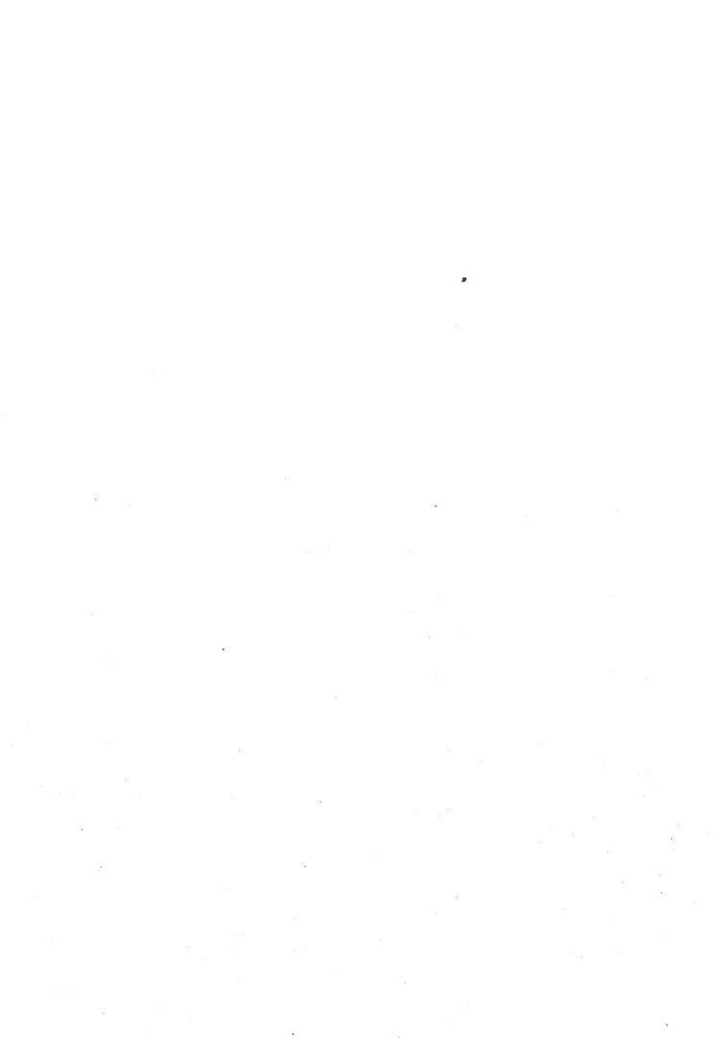
أبشر بها يالعَوْهَلِي جَات مِدَّاه | غِفْلٍ ولاجِرَّت عليها الوُسُوم
لاتَخسبِ ان مِقطَان(شِرْمَة)بِنسَاه | ولانَسَينا طيِّبَات العُلُوم[1]
تسعين ليلة كل ليلٍ على شَاة | والسَّاق مابين العَوَاد محَزُوم[2]
أنتم هل المعروف والطِّيْب نَجْزَاه | نَجْزَا العُلُوم الطَّيِّبة بالسُّلُوم[3]
تَستَاهلُون المَدْح يوم المُشَارَاة | واخص أخو نورة قَوِى العُزُوم[4]
يَوم المَلاَقى بَيِّنٍ ضَرْب شَلْفَاه | على العَدُو والاالرَّفيْق مَحَشُوم[5]
حُسَيْن بن جَامِع تَرى العِلْمَ يَنْصَاه | شَيخ شُجَاع ومن رجَال قُرُوم[6]
ورَبْعِه هل آلبلْهاصَنَادِيد وَدْهَاه | إن جَاَ نهارٍ فيه حَظٍ يَقُوم[7]

(١) طيبات العلوم : الفعال الطيبة
(٢) على شاه : تذبح لهم اكراما. الساق محزوم : مشدود كسره.
(٣) السلوم : العادات.
(٤) تستاهلون : تستحقون المشاراة : المجازاة.
(٥) الملاقاة : لقاء العدو، شلفاه: رمحه. محشوم : مكرم .
(٦) العلم ينصاه : يرجع الأمر اليه. قروم : شجعان.
(٧) هل البلها : نخوتهم حظ يقوم : نصر مبين .

قَـصِـيْرَهـم في عـالـى العِز تَلْقَاه مَـضيُون عـن لفح الهَوَى والسَّمُوْم[1]
والـجُـوْد منهـم لـو جَـزَيْنَاه بَاثْنَاه وِحـنَّـا وَفَـيْـنـا بِـاتِّبَاع الرَّسُـوْم[2]

(١) قصيرهم : جارهم. مصيون : مَصان مرفوع قدره.
(٢) باثناه : بمثليه. حنا : نحن. الرسوم العادات

نخـــوة



خَلَف بن دُعَيْجا..!

قمة في الكرم، والشمم، والوفاء، والنخوة، ومكارم الأخلاق.. له في هذا قصص نادرة، ومواقف متأبّية الا على مثله، فهو مثال نادر في جيله، ونموذج يذكرنا بأعلام العرب الذين نتلقى أخبارهم وآثارهم التى تشبه الأساطير.

نشأ خلف بن دعيجا في قبيلته الشرارات ملء السمع والبصر، ونبه ذكره، وطار صيته.. مما جعل زعماء العرب في جهته تنافس وتلتمس له مغمزا، أو تجد له هناة.. من ذلك أن أحد الجربان من شيوخ شمر الكبار.. سمع بأن ابن دعيجا يقطن في أرض جرداء في زمن الربيع، لاأثر فيها للحطب، ولاللحجارة مما سوف يحرجه اذا حل به ضيف.. فمن أين يجد الحطب لطهى ذبيحته؟!.. ومن أين يجد الحجارة لنصب قدوره عليها؟!. وجدها الجربا فرصة للاحراج.. وكان في غزو كبير يبلغون المئات، فحل ضيفا على ابن دعيجا بكامل غزوه.. فبادر ابن دعيجا باحضار ثلاث جزر كوم وذبحها في الحال، وكشط جلودها عن أسنمتها، ووضعها في القدور، وأوقد عليها من يابس العشب وقليل العرفج حتى ذابت، ثم غمس مالديه من الخام في

ذوب هذه الأسنمة من الودك، وعمد الى رؤوس الجزر ونصبها أثافي للقدور، وأوقد عليها بالخام المشبع بالودك.. وهكذا حتى قدم لهم طعامهم، وبسط لهم في قراهم.. و يأبى الله الا أن يعين الكريم و ينجى الشجاع.

ولم يكن هذا الجانب المشرف من جوانب شخصية ابن دعيجا هو أبرز جوانبها.. بل انه عرف بالنخوة، وضرب به المثل فيها، واستغلها فيه من شغفهم الوجد وأضناهم الحب وبرح بهم الغرام... أحبوا وحال بينهم وبين من أحبوا سلطان الحجر، وعوائد القبيلة، لأن المحبوبة حجرها ابن عمها القريب لنفسه وحرمها على من سواه الا برضاه، ولو كانت لا تريده، ولو كان فارق السن كبيرا، ولو كان فارق المستوى أكبر.. ولكن هؤلاء المحرومين يجدون في ابن دعيجا متنفسا، ويجدون في احراجه وسيلة تبلغهم مآربهم، أما بالمال، أو بالجاه، أو بالشعر، أو بأية وسيلة تدنيه وتوصله الى مأربه.

نزل به (عيادة بن رخيص الشمرى).. فبثه مابه، وشكى وأمعن في الشكوى، وشفع ذلك بشعر، قال فيه:

يَارَاكِبٍ حَمْرَا تَسُوْج الحِبَالِى   كَم ذَيَّرت مِنْ رَايِعٍ عند جَرَّان
تَلْفِي خَلَف قل يَاخَلَف مَن غَدَالى   فَكَّاك رَبْعَه يوم رَوْغَاتِ الأذْهَان

لَعَل مَايَجْرِي لك اللّى جَرَى لِي هَمّ عن المَطْعُوم والنَّوْم قِزّان[1]
تقطعت كل العرى والمدالي افزع لنا ياشوق ميّاح الأردان[2]

فأجابه خلف بقوله

عَيَّاد فإنْ اللّى جَرَى لك جَرَى لِي شَرِبْت شَفْق وَرُحْت عَيَّادِ ظَمْيَان
لَوبى سِبَاحَة دَوْبِى اشبَح لِحَالِي لاشَكْ انا باللّى حَوَالىَّ بَلْشَان[3]
إصبرِ وَمَضّ أيَّامَها والليالى كم قَالَةٍ كَبْرَت وَخَيْر آمْرَها هَان[4]
مِيَر اصْتَبَر لايَخْتَلِف بِك مَحَالِى لَمَّا تَجِيْك الدايرة مثْل ذَا الْوَان[5]
بَاوْلادَ مِكْلِب فوق حِيْلٍ جِلاَلِى وَلآلِى بِكُم غيراز يَش العَيْن غِرْضَان[6]

ولم يزل يلاحق قضيته حتى أدرك له محبوبته.

أما محيسن السرحانى، فقد أحب احدى بنات الرولة حبا مبرحا، وعلق بها فلم يستطع قلبه أن يسلوها.. فلاذ بابن دعيجا، وجعل بيته مستقرا له.. فحاول ابن دعيجا أن يقنع محيسنا بأن هذه البنت ليست من قبيلته، وليس له عليهم دالة، وأبوها أمير قبيلته، ومن أين له أن يدركها.. وهاهو بيتى،

(١) قزان : اقلقني.
(٢) العرى والمدالى : الدلي واوذامها
(٣) دوبى : جهدى. بلشان : منشغل
(٤) قالة : أزمة.
(٥) ذا الوان : ذا الان.
(٦) حيل جلال : هجن سمان

وابلى، وولدى، وبندقيتى عطية لك منى فاعفنى من ذلك.. ولكن هذا العاشق (محيسنا) أصر على أن يجعل نخوته برقبته، وأن لايبرح الأرض حتى يدركها له.. وقال:

يارَاكبٍ حَمْرَا مِن النيْ تَبْنِى — ومَزْدُوْد مِن غَير الدُفُوفِ السَّنام(١)
تَرْعَى زَهَر نَوَّارٍ بَرْقٍ جَذْبنى — مِرْبَاعها مابينَ شرق وشام(٢)
وعيونها جَمْر الغَضَا يَلْتهْنى — والاسراج مُرَوْطِنيْن الكَلاَم(٣)
تَلْفِى لبيتٍ كنّه الحَيْد مَبْنَى — رَاعِيْه قَطاع الفرَج والمَظَامِى(٤)
لايا(خَلَف)يَكْفِيْك هَمٍ رَكبْنِى — حِيْثَك على الشِّدات رَجْلٍ تُحَامِى
غِش العراق اللّه يَجِيْرك ضَرَبْنى — وَقّام يَتْساوَق مع مَفَاصِل عِظامى
عَلى حِبِيْبٍ بالمَودة سَلَبْنِى — سَلْبَة عَبَاةٍ في يِدَيْن الحَرَامِ(٥)

فرد عليه خلف بهذه القصيدة:

قِيْفَان من صدر الفِهِيْم انْهَذّبن — لولو ومَرجان مَلاَوى كَلامى(٦)
يَارَاكبِ اللّى لِلْبَلَد ماجِلْبنَى — قَطْم الفُحُوْذ مُعَرَّبَات الأسَامى
مَالافِتَنْ عِند أول الذَّوْد لإبْنِى — ومالافِتَن للحَشُو يوم الفطَام(٧)

(١) النى : شحم السنام ، الدفوف: جمع دف وهو ماتحت الغارب من الناقة
(٢) نوار : زهر العشب
(٣) جمر الغضا : يشبه احرار عيون الناقة بجمر الغضا. مروطنين الكلام : الافرنج
(٤) كانه الحيد : كأنه الجبل، قطاع الفرج والمظامى: قطاع الموامى القاحلة
(٥) يدين الحرام : اللص
(٦) قيفان : قوافى. انهذبنى : انثالن . ملاوى كلامى : فحواه وقصده.
(٧) مالافتن : ماعاجن لاولادهن وهي كناية عن عدم حملهن. الذود: القطعة من النياق. الحشو : صغار الابل.

مِن نَسْل هِرْش بالهَدَدْ له يَجْبن   يُطْلَق عَلَيْهن يوم كل يَنَام (١)

ومَاقَيِّظَنْ يَرْعَن رُمَام وتِبْنَ   ولاصَفَّرَن قاع الجُوى والوَخَام (٢)

مِرْبَاعِهِن(فَيْحَان)ثُمَّ اقْتلبْنِ   يَرْعَن زَهَر نَوَّار عِشْب الوَسَام (٣)

يَلفن على اللّى مِن رُبُوعِى نَدْبنِى   يـاجايبيْن العِلم دِمْتُم وِدَام (٤)

إن كان ذَودِى لِلحُبيِّب يُجَبنِ   دُونَك نِيَاقِى قدْ لَهنْ بالتَّمام (٥)

دُوْنَك قْعُوْدالبيت والبيت وابنى   وبى قِلة العِقْلا عَليْنا حَرَام (٦)

مع بندق لَفَظات فَمْها يَصَبْنى   وهـا على الضِّد المُناحِر مَرَامِى

البِيْض قَبْلك يامُحَيْسِن سَلَبْن   سَلْب الهَوَى لِرهَيِّفَاتِ الخِيَام (٧)

والبيض جعل البيض مايِرْتَخِبنى   هَوِّيهَنْ يَرْمَى عليه التَّهَام (٨)

يَصِلّنى بالبِير مَن لاجَذْبنِى   صَلّ الرِّشا مِن فَوْق هِدْف المَقَام (٩)

محيسن على حوض المنايا عَقَبْنِى   حَثْرَب على جَمِّي قليْل الرَّحامِى (١٠)

لزم محيسن بيت ابن دعيجا، وآلى أن لايفارقه حتى يدرك له

---

(١) هرش : فحل النياق. الهدد : اطلاق الفحل في النياق

(٢) قيظن : قاظن. رمام وتبن: ردىء العلف. الجو الوخام: الارض الموبوءة

(٣) اقتلبن : عادن. الوسام : نوء الوسمي وهو اجود الانواع

(٤) يلفن : يصلن. اللي : الذى . ندبنى: أهاب بي. جايبين العلم: يامن اتوابه

(٥) ذودى : قطعة نياقي. للحبيب : للمحب. قد لهن : سرهن.

(٦) قعود : الفتى من الابل. وبي قلة العقلا : لاالتفت الى رجوعهن بعد.

(٧) البيض : بيض النساء، رهيفات الخيام: خفيفاتها.

(٨) هويهن : المغرم بهن. التهام : التهم.

(٩) يَصلّني : يحدرني. هدف المقام : منحنيات الاعواد تنصب للمحالة يجذب عليها الماء

(١٠) حثرب على جمي : كدر علي الماء. قليل الرحام : الرحمة له أو عليه

محبوبته، مما اضطر ابن دعيجا لأن يذهب الى قبيلة محبوبة محيسن، و يبقى فيهم أجيرا متنكرا يرتقب الفرص، و يدير الحيل لعله يدرك فرصة يدرك بها بغيته.

وفي هذه الأثناء أغير على هذا الحى الذى هو فيهم — حى الرولة — فبرز شجعان الحى للدفاع عن أنفسهم وماهم ومحارمهم، و برز من بينهم شجاع فاتك لايشق له غبار، يجتال الخيل اجتيالا، مما جعله سببا في نصرهم، وصد العدو المغير عنهم، فجعل بعضهم يسأل بعضا من ياترى هذا الفارس الذى برز هذا البروز، وفعل هذا الفعل؟.. واذا به خلف ابن دعيجا فارس مفوه يعرفه الفرسان.. فاجتمعوا حوله وجعلوا يسألونه.. مالذى أتى بك؟، وماسبب انحداره بنفسه ليكون أجيرا.. فأخبرهم الخبر، وقال:

انا بَلَوْن الناس وأنا تَبَلْويْت ... وصارت عَليّه من كبار البَلاَوِى[3]

ذا لى ثلاثمية وخمسين مَضّيْت ... وانا بسببها عند أهلها فِدَاوِى[4]

يفيد أنه أخذ ثلاثمائة وخمسين يوما أجيرا عند أهل محبوبة محيسن من أجل النخوة.. فابتدر شيوخ الرولة، وطلبوا البنت من أبيها بالجاه.. فأدركوها وحملوها مع قيمها ومع ابن دعيج الى

بلون : بلوني. تبلويت : اصبت ببلوى متكررة. البلاوى : المصائب

فداوى : قائم بعملهم.

حيث أهله، وحيث يجاور محيسن عندهم.. ولما وصلوا وجدوا محيسنا قد قتله الحب وفارق الحياة منذ أيام، فأرجعوا البنت الى أهلها.. وظلت قصتها قصة نخوة عجيبة غر يبة، تضاف الى مآثر ابن دعيجا وأخباره الجميلة.

وهكذا يفعلون في سبيل النخوة، والعادات الكريمة، والشيم، ومكارم الأخلاق.

ما أَشْبَهَ هذه بتلك !

فجعت في والدها حينما ركزت في جوفه قناة تريحيب بن شرى فارس قبيلة مطير على الاطلاق، وأحد شجعان العرب المشهورين.. فظلت تقاسى آلامها، وتناجى همومها، وتباريح جواها، ترقب اليوم الذى تعرف أمثاله عن قبيلتها عتيبة حينما يحفزها طلب ثأر، أو ذب عن حريم أو طلب لطمع.. فترى منهم مايبرد غليلها، ويطفىء أوامها، ويأخذ بثأرها.

ولأمر ماتحالفت قبيلتا قحطان ومطير ضد قبيلة عتيبة، ونزلتا ماء ــ العوينند ــ المعروف قرب قرية (البرة)، وكان ذلك حوالى ١٣٢٠هـ، فأقبلت قبيلة عتيبة بخيلها ورجلها مريدة شجب هذا الحلف فعلا لاقولا، وتمزيق شمل هذا الاجتماع خشية من أن تهاجم في عقر دارها، وتطعن على غرة من أمرها، ولقد ذل قوم هوجموا في عقر دورهم.

وفي سهل (المروتة) حيث يريدون مهاجمة عدوهم صباحا، كانت ــ رثعاء ــ ابنة القتيل في الغزاة مع غيرها ــ من النسوة اللاتى يصحبن رجالهن في الغزو شأن نساء العرب، وكانت فرحة ومشفقة.. فرحة بتجريد قومها حملتهم على عدوهم

وفيهم قاتل أبيها ليثأروا لها و يشفوا غليلها.. ومشفقة من أن هذا الفارس الصنديد الذى قتل أباها سوف تكون له من الغد ضحايا كثيرة، ثم يخرج ظافرا منصورا فتزداد كمدا الى كمدها وغيظا الى غيظها، ولئن ظفرت برأسه قبيلة عتيبة فلسوف يكون لها النصر لامحالة، لأن جيش قومه به يصول، وعليه يعتمد، ومن ذا الذى سوف يغنى غناه أو يسد ثغرته؟!.

هذا ماحاك في نفس ـــ رثعاء ـــ يومها، فلما انعقدت جلسة قومها حول نيرانهم، وأخذوا في احتساء القهوة، واستعراض خطط الغد كانت رثعاء تمر بحلقهم وتتوسم في وجوههم بغيتها وكأنما هى تبحث عن ضالة.. وهنالك وقفت أمام احدى الحلق وأبصرته مفتول الساعدين، عريض المنكبين، أسمر اللون، ربعة تغطى عاتقيه لمة انحدرت من هامة كبيرة استدار فيها وجهه الممتلىء، وعيناه اللتان لاتخلوان من عمش ضئيل لم يطفىء من بريقهما أو يطفىء فيهما سمة الحرارة والنفوذ، ويزين هذه الأوصاف كلماته القليلة المؤدبة، واشاراته الحية المؤثرة مع تاريخ له مجيد في ميادين الكر والفر، ومآثر كانت تعرف لـ(فاجر السلات) لاتخفى على المتوسمين.. أضف الى هذا مايشد عضده من اخوانه وبنى عمه الذين هم ردء له في كره وفره، ثم مايخوضون عليه هذه الميادين من جياد عرفت بالأصالة والعراقة وانحدار نسبها الحمدانى مع نسب آل السلات خلفا عن سلف..

وقفت رثعاء هنالك.. استوقفتها هذه الأوصاف الحسية، وماكانت تسمعه من الأوصاف المعنوية فلم تتركها نفسها تريم عن هذا الموقف، وبعد تفكير ليس بطويل اذ بها تنزع خمارها الذى كان قبل يستر ذوائب كأحسن ماتكون الذوائب وأجملها، يستر حروجه كأنه فلقة قمر، ويستقر هذا الخمار في رقبة فاجر السلات هذا الذى أخذت بصفاته، ورأت فيه الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يثأر لها.. واستقر الخمار في رقبته، وتعلقت فيه بكلتا يديها أمام ناديه المزدحم، وآلت على نفسها ألا تفكه حتى يقطع لها وعدا ثابتا بالثأر لها، ففزع القوم لاليخلصوا صاحبهم من ظبى الليلة، ولكن من أسد الغد.. وعبثا حاولوا حتى قطع لها عهدا على نفسه أن شمس الغد لاتغرب الا وقد فارق هو أو قرنه الحياة.. فقبلت رأسه وانصرفت بكثير من أمل، وقليل من اشفاق.. أما (فاجر) فكان لايعرف قرنه (تريحيبا) معرفة تميزه عن سائر الفرسان ليكون همه وحده، وليس الأمر أمر توسم في وجوه الرجال ليأخذ من يشاء ويدع من يشاء.. وكيف يصنع اذن؟!.. ولكن ابطال قومه ممن عرف ــ تريحيبا ــ أعطوه علامته الفارقة التى لايمكن أن يشتبه فيها، قالوا له: أنه أول فارس أمام الخيل اذا أقبلت، وآخر فارس خلفها اذا أدبرت، ولن يكون أحد غيره بهذه الصفة.. فبات (فاجر) وقد أيقن بأن الموت منه قاب قوسين أو أدنى. ويلتقى الفريقان صباحا، وتعقد سنابك الخيل عثيرا أظلمت منه أرض المعركة، واذا

بتريحيب علما مفردا أمام الخيل المقبلة، وباصطدامها مع خيل عتيبة وجولاتها في الميدان نكصت فرسه لتجرهم خلفها، ولتكر عليهم مرة أخرى شأن قتال الفرسان في الكر والفر، وحينما ظل تريحيب خلف الخيل المدبرة وحده انقض عليه (فاجر) انقضاض العقاب، فأهوى كل منهما على صاحبه بالرمح فأخطأه، وكان فاجر أسرع اختراطا لسيفه من صاحبه، فضربه ضربة شقته نصفين، وكان النصر يومذاك لعتيبة فشفت رثعاء نفسها وقرت عينها بصاحبها، وطابت نفسا بحسن اختيارها وصدق نبوءتها.

ولاأرى صاحبة المعتصم الا كذلك حينما نادت بأعلى صوتها: وامعتصماه.. وهى في أرض الروم، وبينها وبين المعتصم مسيرة أيام وليالى، ولكنها تعلم من نادت وأين سيبلغ صدى صوتها.. ولما بلغ المعتصم نبأ هذا الصوت، وكان قد رفع كأس الماء الى فيه ليشرب وضعها، وآلى على نفسه ألا يشرب حتى يثأر لها، وماشرب حتى ثأر لها، وشفى مافى نفسها ونفوس المسلمين هنالك من أعداء العرب والاسلام يوم (عمّورية) ويوم قال أبو تمام عصماءه التى لم يتنفس شاعر في فتح بمثلها ولاقريب منها، لأنها صورت حقيقة ووصفت واقعا.. ولسنا نلوم الشعراء اذا جاءت قصائدهم في المدح باردة ركيكة، مهما حاولوا أن يحشدوا لها من ألفاظ، ويبتكروا لها من معان، لأنها تتخيل شيئا ينبغى أن يكون لاماقد كان.

قال أبو تمام عند هذه النقطة:

لَبَّيْتَ صَوتا زَبَطْريا هَرَقْتَ له ... كأس الكرى ورُضَابَ الخُرَّدِ العُرُبِ

عَدَاكَ حَرُ الثُغُورِ المُسْتَضَامَةِ عن ... بَرْدِ الثُغُورِ وعن سَلْسَالِها الحَصِبَ

أجبته مُعْلِناً بالسيف مُنْصَلِتاً ... ولو أجَبْتَ بغير السيف لم تُجَب

ماأشبه تلك بهذه، وماأحوج بنات العرب في اسرائيل الى معتصم ثان يهريق كأس الكرى ورضاب الخرد العرب، ويستجيب لأنات الخفرات اللواتى جعلهن اليهود دمى بعدما قتلوا رجالهن، واستباحوا أرضهن لاكمثل صاحبةالمعتصم التى فزعت من السجن فقط، فأين من يستجيب لمن ابتلين في أعراضهن ورجالهن وديارهن؟.

عجبا لقومى والعدو بدارهم ... كيف استطابوا اللهو والألعابا

بكت مطير فارسها وأذالت عليه ساخن الدمع وعظيم الأسى، ومنهم الشيخ متعب ابن جبرين أخو تريحيب لأمه، قال من قصيدة يرثيه بها:

يَاهْل الرَّمَكْ زِيْدَوا لهن في البَرِيْره ... نَبِـي نُدَوِّر فوقَّهنه تُرَيْحِيْب[1]

لابَدَ من يومٍ مُنَيْسٍ نَذَيْرِه ... عَسَامَة أكبر من خُشُوم العَرَاقِيْب[2]

---

(١) الرمك : الخيل. البر يرة : الاكرام. ندور فوقهنه: نبحث على ظهورهن

(٢) منيس : مبعد المسافة: غباره. خشوم العراقيب: انوف الرمال

يـالَـيْـتَـنـى لوكان مافيه خَيْره   حَضَرْتُهمْ يَومَ السَّبايَا جَنَاديْب (١)

حضرتَهم من فوق حَمْرا ظَهيْرَه   واللّه لَعَشِّى جابع النَّسر والذِّيْب (٢)

رَبْعِى مُطَيْر ان شَبْ لِلحَرْبِ نَيْره   أيْمَانُهُم تُوْرد سُهُوْم مَعَاطيْب (٣)

لَوْمى على اللّى يَحْتُمُون الجَرِيْرَة   مارَبِّعَوَا لَه دَابِجيْن المغَالِيْب (٤)

فأجابه (عَسْكَر الغَنَّامِى) الروقى بقوله:

يَاراكبٍ من فوق دَمْثِ الحَصِيْرَة   مارَقَّعَوْا في خُفَّها بالجَوَاذِيْب (٥)

مَلْفَاك(ابن جبْرِيْن)زَبْنِ الكَسيْرة   عِيْدِ الرِّكّاب مُدَوِّرَات المَعَازِيْب (٦)

لـه عـادةٍ يَـفْهَق شَبَاةِ المِغِيْرة   لِى لاق هَوْش مُعَجِّليْن التَّرَاكِيْب (٧)

إن كـانفي بَـالِـك هُـرُوْج كـثـيـرة   رد البَرَا ياتى مع أول مَنَادِيْب (٨)

كِبْ المحَامِى دُوْن رَاعِى الجزيرة   خَلْ المُحَامِى دون زملِ الرَّعابِيْب (٩)

عَيَّنْت مُطْلَق زَبْنِ راعِى العَثِيْرة   تَـذَكَّرَه قِدَّام تَظرِى تُرْيِحِيْب (١٠)

مَغْك الخَبَر فينا ومَغْكِ السَّرِيْرة   مُخْطٍ ولالك من ورانا مَطَالِيْب (١١)

---

(١) مافيه خيره : ليس فيه خير. السبايا جناديب: الخيل متتابعة

(٢) حمرا ظهيره: فرس حمرا مشرفة القوام. لعشي: لازم العشاء للنسر والذيب.

(٣) ربعي مطير : قومي مطير. نيره : شعلة. سهوم معاطيب: سهام صائبة.

(٤) لومي : ملامي. يحتمون الجريرة : يحمون المؤخرة. ربعوا له : عادوا له.

(٥) دمث الحصيرة : لين المركب. مارقعوا في خفها بالجواذيب : لم يصبها الحفا في خفها ليرقعوه بالخرازيز.

(٦) ملفاك : منتهى قصدك. الكسيرة : المكسورة في الحرب، عيد الركاب : مكرم الركاب.

(٧) يفهق : يردع شباة المغيرة. حد الاعداء المغيرين. لي لاق هوش : اذا اشتبك القتال.

(٨) هروج : كلام. رد البرا: اعلن الحرب، المناديب : الرسل.

(٩) كب المحامى: اترك الدفاع. زمل الرعابيب : جمال النساء.

(١٠) عينت مطلق : رأيته. زبن راعي العثيرة : منقذ صاحب الفرس الضعيفة. قدام : قبل.

(١١) فينا : بنا. مخط : مخطىء. مطاليب : مطالب.

مِـتْـمَـكَّنٍ مِن عـنـدنـا ولك دِيْرَة ... بَايْمَن(بَدَنَ)و(الحُمْر)و(ام المَغَارِيْب) (١)

لـولا العـوار اللّى عَـليْكـم مُدَيْره ... مـاذُوْن نـاصَلْكُم على الفِطّر الشَيْب (٢)

لِى بَكَّـر الـوَسْـمـى وَهَلْهَـل غَثِـيْره ... وهَلَّتَ مقَادِيْمِه على(أم المَشَاعِيْب) (٣)

آيَـاتـنـا يُـودع رَفـيْـقَـه جِـحِـيْرَه ... والاتَـوَلّـى بـه ظُعُـونه هَـوَارِيْـب (٤)

مـايَمْتَنِيْنا كُوْد عَدْمِ البَصِيْره ... صَـفْقَـاتـنـا تَرعب قلوب الأَجَانِيْب (٥)

كَم شيخ قُوْمٍ قِد هَدَمْنَا حَجِيْره ... عـليه بيـض يَشْـلَحَـنْ الأساليْب (٦)

عَليْك مِنَّايا بن جِبْرِيْن جَيْرَه ... نَجى لكـم في عَاليات المَرَاقيْب (٧)

للخَيـل بالضِّـفْرَان مِثـلَ السِّعِيْرة ... وفَرَادِفِ العَيْرَات شِهْب المَحَاقيْب (٨)

لِـى لاح بَرَّاقِ الحَيَا صُوْب ديْره ... زرْنَاه بـالعُفـر امَّهَاتِ الدَّبَادِيْب (٩)

وَان نَاشِـنا الَطّرْقى نُشَوِّق نَظِيْره ... نَجَـهر عيـونه بالرماح المَغَالِيْب (١٠)

باطـرافـنـا يَشْـدَنَ شَهَارَى العَمْيرة ... لِى خُوْشَرَن باطرافنا بالأَدَاعِيْب (١١)

وان جَـرَّنَـا(مَـشْعَانٍ)راع الجَزِيْرة ... الشيـخ مِرْذِى شَايِبَات المَحَاقِيْب

---

(١) متمكن : نازح. بدن والحمر وأم المغاريب: اعلام أمكنة.

(٢) العوار : الموانع السلمية. مادون ناصلكم: لنصلنكم. الفطر الشيب: الهجن.

(٣) الوسمى : مطر الوسمي. غثيرة : مطره. هلت مقاديمه: انتشرت بوادره.

(٤) اياتنا: أينا يودع رفيقه جحيرة: يترك صاحبه مختبئا. هواريب : هوارب.

(٥) مايمتنينا : مايتمنانا. عدم البصيرة : قليل الرأى. صفقاتنا : هجماتنا. الاجانيب : البعيدين.

(٦) هدمنا حجيره: هدمنا بيته. يشلحن الاساليب: النساء يشققن عليه الثياب.

(٧) جيرة : جوار. المراقيب : القمم.

(٨) الضفران : الفرسان. السعيرة : النار الملتهبة. مردف العيرات: الهجن تحمل الكات مثنى. شهب المحاقيب: شهب محل حبال القتب المؤخرة.

(٩) كب المحامى : اترك الدفاع. زمل الرعابيب : جمال النساء.

(١٠) ناشنا الطرقى : زارنا الضيف. نشوق نظيره : نطربه نجهر عيونه نُعْشيها

(١١) يشدن : يشبهن. شهارى العميرة : حيرهم. خوشرن : رتعن. الاداعيب : روافد الشعاب.

ياما انْقَطَع في سَاقِتِه من فَطِيْره ومن بَكْرةٍ غِبَّ السَّرَى تَضْرِس النِّيْب [1]

ياشَرَّنا لأهل الوجيهِ الشَّرِيْرَة وياطِيْبَنا لِلّي يَبى الطِّيْبَ للطِّيْب [2]

وياويل من هو في نَحَانا نَحِيْره الى رَكبنا فَوقَ شَيْبٍ شَلاَهِيْب [3]

ولابد من نَمْرَا عليكم مُغِيْره مِن(والِغَة)يَرْكب نَقَلْها على(الذِّيب) [4]

---

(١) فطيرة : ذلول قوية مسنة. تضرس النيب : تصرف انيابها.

(٢) ياشرنا : ماأكثر شرنا على الاعداء وماأكثر خيرنا للاصدقاء

(٣) في نحانا : في طرفنا. نحيرة : هدف. شيب شلاهيب : اصيلات المجن.

(٤) نمرا : كوكبة مغيرة ووالغة والذيب علما أمكنه. يقول ان هذه الغارة تغطي هذه الأمكنة كما يغطيها السيل.

رَقْوىَ .. وابن عَشْوَان .. وابن بطّاح .. !

رقوى فتاة من العبيات من مطير، توفى والدها ولم يخلف الا هى، وخلف لها ابلا كثيرة، منتقاة متسلسلة في الأصالة، متحدة في الفحل واللون والمنشأ. لما أحس والدها بقرب وفاته، والزمن زمن سلب ونهب وغارات وثارات.. خشى أن تؤخذ هذه الابل من بين يدى هذه الفتاة، اذا انشغل الناس بالدفاع عن أنفسهم، وعن أموالهم في الغارات المتكررة و ياما أكثرها.. ولما جاء يعوده الشجاع المعروف رفاعى بن عشوان أمير العبيات من مطير، قال ادن منى لأناجيك، فلما دنا منه خالف ذراعيه خلف رقبة رفاعى، وقال: انه ميت، ولكن رقوى وابلها أمانة من عنقى في عنقك.. فضرب رفاعى صدره، وقال: هى أمانة في عنقى. ونعم الأمين رفاعى!، فهو أهل لتحمل هذه الأمانة، وكفء لما حمل. مات أبو الفتاة، وفي يوم أغير عليهم، واشتغل كل بنفسه وبماله، واختطف المغيرون مااختطفوا من ابلهم، وأموالهم، وذهبوا.. و بعد تراجعهم واذا برقوى تجاذب أصواتها مأخوذة ابلها.. ففطن رفاعى لأمانته، وصاح بأعلى صوته.. ياأهل الجدعا ــ نخوة قومه العبيات ــ واذا بهم ينثالون عليه من كل حدب وصوب، قال: «أهل الجدعا ياصلب جدى.. أهل

الجدعا ياخزنتي.. أهل الجدعا ياذخرى.. أباعر رقوى أخذت، واللّه العظيم لو أن المأخوذ ابلى لما نخيتكم في اعادة المعركة من أجلها، ولكنها أمانة في عنقى، وعهد في رقبتى، فأعيدوها من أيدى القوم المغيرين». فكروا كأنهم الشياطين، ولم يلبثوا قليلا حتى أعادوها.. فطابَ نوم الشيخ ولذ عيشه.

وكان الفارس الشجاع الشاعر ابن بطاح من مشاهير العبيات، لديه بندقية اسمها (الجرعا) مشهورة، وقد فكر في بيعها لحاجة مسته، وفي ذلك اليوم فعل بها فعلا معجبا مطربا، فآلى على نفسه أن لايبيعها.. وقال قصيدة مفتخرا فيها ببندقيته وبقومه، وباستماتتهم من أجل صيحة رقوى، قال منها:

مـايَـنْـزِل الفِرْجَة رِجَال التَّرَابِيْع   اللّى تُزَيِّن بالمِجَالِسِ حِكَاها(1)

تَـهَـايَقَت ذِرْوَة وهَفَّت مع الرِّيْ   مَلْحَا تَهَايَف يَمْ حرَوَة تَمَاها(2)

لَخقَوا هَلِ الجَدْعَا بَاثَرْها مَفَازِيْع   كِلٍ رَحِم(رَقْوى)ويُوْحِى بِكَاها(3)

حَوِّلْتِ بِالجَرْ عَاوانا قَبْل آبَا آبِيْع   ومِن ضَرْبَها قَلْبِى سَعَى فى غَلاَها(4)

ذِبَحْتَ عَشْر مُبَعِّدَات المَفَازِيْع   عِنْد(اللّهَابَة)شَاهِدٍ لى جَبَاها(5)

مَانِي وُلد خِمْعٍ رَدِى المَنَاوِيْع   اللّى نِكَس في كَيْلِتّه مارَمَاها(6)

---

(1) الفرجة : الأرض الخالية. الترابيع : الروابع الردينة.

(2) تطاولت ذروة ناقته هفت مضت. تهايف تتجانف. حروة: مظنة. نماها : ولدها.

(3) اهل الجدعا : نخوتهم. باثرها مفاريع : في اثرها كاشفوا الرؤوس

(4) الجرعا : بندقيته.

(5) المفازيع : الغارة اثر القوم. جباها : جبتها.

(6) خمع : خامل : نكس : نكص. كيلته : ذخيرة بندقية.

عَقِيلْ .. النَّدى .. !

الشيخ عقيل بن صويط شيخ الضفيرْ معروف بكرمه، وعلو قدره، ومتانة محتده ونفوذه.. فهو من شيوخ العرب البارزين، ومن أعلامهم المعلمين.. ولاغرابة فآل صويط كذلكم عرفوا بما عرف به الأجواد، واشتهروا بالفعل الجميل، والمحتد الأصيل.

وعقيل هذا بما أوتى من بسطة في الرزق، ويد تنفقها في حقوق الجود.. مأرز للقصاد، ومقصد للرواد.. يأتونه فيعودون منه بجر الحقائب ممتلئي المزاد.. جاءه مهيد ولد بريك صاحب بقعا الأسعدى.. وهو سليل جود، ومعدن فضل، ووريث كرم، وهو أيضا من بيت شعر متوارث وبيان معروف.. ومن ينكر مالابيه من شعر جزل سارت به الركبان، وتغنى به لسان القوم.. بريك الأسعدى.

جاء مهيد هذا الى ابن صويط يشكو اليه دهرا قسا، ومتربة حلت، وحالا استحال فظل يقاسى العوز، ويقعد به الفقر عن مواقفه المعروفة، وأعماله المجيدة، وفوق ذلك كله فنخله الغيد التي يضرب المثل بها في جمالها وندرتها، أدركها الزمان، فهى مصفرة يعصر قلبه منظرها، وتؤذيه مشاهدتها.. ومن ثم ينيط

رجاءه به بعد اللّه غير عقيل، الذى بينه وبين أبيه (بريك) صداقة وأخوة.. فهذا يوم النفع وذلك أوان النجدة.. دخل مجلس عقيل، وهو غاص بالناس من بعيد ومن قريب، ومن كبير ومن صغير.. فشاهد فيا شاهد في مجلس عقيل محمدا الصليتى من الأسلم من شمر.. وحيث أن عقيلا لايعرف مهيدا ولد بريك هذا معرفة تامة، لذّ لمهيد أن يستشهد بالصليتى على صحة مايقول في شعره من عوز وحاجة.. والصليتى أيضا لايعرف مهيدا، ولكن حينا خصه من بين الناس بالذكر فهم الصليتى انها ــ نخوة، وانه موقف يجب أن ينصره فيه، وأن يكون عند حسن ظنه، وأن يقف الموقف الذى أراده منه هذا من بين فئات الناس الموجودين.. لقد قال مهيد شعرا جيدا يمدح فيه عقيلا، ويستعديه على الفقر، قال:

عَقِيْل النَّدَى وابن الندى مَاكَر الندى	رَاعِ الندى من يوم بان عَقِيل[1]
عقيل الذى ماجَابَن البيض مثله	ولاَظَنِّتِي مِثْلَه يكون مَثِيْل[2]
عقيل سيفه تقْل بَرَّاق مِزْنَة	كَم شَال مِن جِمْهَات من يَعِيْل[3]
عقيل تَلِم الخَيل من خوفِ فعْله	كِمايَجمع المـا وَادِي المسيْل
عقيل أنا أشكى لك من الدَّيْن ظَامَنِي	وَجَزَّان عن غَرْسٍ ذرَاه ظَلِيْل[4]

(١) ماكر الندى : عشه ومستقره. راع الندى : صاحبه.
(٢) جابن البيض مثله: النساء لم يأتين بمثله. ظنتى : ظنى
(٣) تقل براق مزنة : مثل بارق سحابة. كم شال : كم قطع من رأس عدو.
(٤) جزان : اقلقني. غرس : نخل.

جَـزّان عـن تـسـعين غِـيْـدا وَدِيَّة   كِـنّـه تُسَقَّى فوق شَط الـنيـل[1]

نُهُلِّي بِمَن جَاهِن ومن في جوارهن   وَنُـهَـلِّـى بـالـعَـانِى وكِل عَـمِيْل[2]

وأنا شَاهِدِى ولد الصَّلـيْتِي محمد   ولاأقـول قـول مِـاعـلـيـه دلـيـل

وحينما ختم شعره تكلم محمد الصليتى، وقال ان هذا الرجل ركبه دين كثير في مكارم الأخلاق والبذل، دون عرضه واحياء سنة سنها له آباؤه وأجداده من الجود والمعروف.. والأمير حفظه اللّه ـ يقصد عقيلا ـ أمواله وقف على ذوى الحاجة والعوز أمثال هذا، وأنا واثق أنك سوف تقضى دينه، وتسد عوزه بنفحة من نفحاتك السخية.. فاهتز عقيل لما سمع من الشعر، ولما عقب به الصليتى.. فنفح مهيدا نفحة قضت دينه، وطردت عنه الفقر مسافات بعيدة.

وهكذا يكون الرجال في نخوتهم ورجولتهم.. لقد سئل الصليتى بعدئذ: متى عرفت ولد بر يك؟، قال: واللّه لاأعرفه أبدا، ولكن الرجل خصنى بالذكر دون سائر الناس، فكنت عند حسن ظنه بى.. والذى يبخل بجاهه كالذى يبخل بماله.

---

(١) غيدا ودية : غرسة نخل جيدة. كنه: كأنه.

(٢) نهلي : نرحب بكل من زار هذه النخلات.

أَنْقَذَهـا.. أبو المَيْـخ .. ؟

°فاجأها وهى نائمة فقضى وطره منها.. لم تستطع المقاومة، ولم تقـو على صـده، وكانت عذراء، فلم يمنعه ذلك من فعل الجريمة، ولم يحل بـينـه وبين ارتـكـاب المأثم.. و ياليت الأمر وقف عند هذا الحـد، بـل لم تـلـبث أن أحست الجنين يركض خاصرتها.. وكـانـت قـد أخـفـت الأمر، وانطوت على مضض خشية السمعة السـيـئة، وقالة السوء، وفرح أهله. أما الآن فسوف يفضح سرها حـلـهـا، و يـقـع مـا كـانـت تحذره لامحـالـة.. وفوق هذا فانها قد سـكـتـت، ولم تخبر أهـلها بما حدث.. والسكوت عن هذه الجريمة جـريمة هى متهمة فيها بالرضا.. وماجزاؤها الا الموت من أهلها.. واذاً فـهـى في موقف حرج جدا. ماذا تصنع، ما المخرج؟!. هل غير أن تـأخذ جرعة من السم المميت لتر يح وتستر يح؟!!. هذا مـاعـزمت عليه.. وقبل أن تقدم على التنفيذ رأت أن تخلو بفلانة ــ احـدى عـجـائـز القبيلة ــ لتخبرها بحقيقة كل ماحصل، وبما عـزمـت عـلـيـه، وفعلا خلت بها، وأفصحت لها عن كل شىء.. ولـكنهـا لامتهـا كـثيرا على عزمها على الانتحار، وقالت: «سوف أرسـم لـك خـطـة تجدينها حلا لمشكلتك، انظرى في قومك الرجل الصـمـوت، المـؤدب، المجرب، ذا المروءة والنخوة.. وترقبى فرصة

تخلين به فيها، وأفضى اليه بسرك، واستصرخى نخوته.. فانه سوف ينقذك لامحالة». وفعلا رأت هذه الأوصاف تنطبق على الرجل كل الرجل (أبى الميخ) .. فألقت المشكلة في عنقه، وقالت عليك حلها.. فقال: أنا لها.. أنا لها.. !!.

وفي اليوم نفسه تقدُم لخطبة الفتاة من أبيها، فاستجاب لذلك، وبارك الخطبة، لأن الرجل كفء وأهل لها.. فقال أبو الميخ: انني مستعجل جدا من أجل أنني أعد لسفر.. فأنهى موضوع الاعداد للعرس في يومين، وفي اليوم الثالث دخل بها.. وبقيت في كنفه وحياطته كزوجة، ووضعت حملها ذكرا ظل في حجر أبى الميخ كولده.. ولما كبر جعل يعانق أبا الميخ اذا ذهب هنا أو هنالك.

ومرة صادفه صاحب الجرم أبو الغلام.. فلم يكتفِ بجرمه الأول، بل قال لأبى الميخ: كيف الطريق الذى أتيت معه أما وجدته سهلا.. هو في الظاهر يوهم الحاضرين أنها الطريق الحقيقية.. وفي الباطن يقصد أخذه بكارة أم الغلام.. فقال أبو الميخ: هو لم يكن سهلا، ولكنني سوف أعمل من أجله عملا يملأ مسامع الناس جميعا.. وفعلا سطا على صاحب الجريمة وقتله، ونجا بنفسه مختفيا حتى كبر الغلام، وبلغ مبلغ الرجال.. فبعثته أمه يسقى فرسه، ووجد اخوان أبيه وأولاده على الماء، فتشاجروا معه على أنه ولد أبى الميخ قاتل أبيهم، فقتلوه سدادا في دم

أخيهم، وماعلموا أنهم قتلوا الولد في دم أبيه!!.

وهكذا يشيع الخبر، و يعود أبو الميخ الى قومه وأهله وماله.. وتنتهى هذه المشكلة المستعصية.. بهذا الحل.. وتأبى نخوة أبى الميخ الا أن يقدم نفسه وأهله، وجميع مايملك في سبيل ماجعلته هذه الفتاة أهلا له.. وهكذا يفعل الرجال.

عَجْران بن شَرِفي .. وابنِ منْدِيْل

عـجـران بـن شـرفـي شاعر أعمى من قبيلة سبيع، ومع كونه أعـمـى فـهـو يعرف علامات الأرض، و يرمى بالبندق، و يركب الـذلـول، و يـفـعـل كـثـيـرا مما يفعله المبصرون.. وهو كريم، وله عـوائـد: لايـذبـح لـضـيـفـه الماعز، ولايقدم القهوة الا مصنوعة في ساعتها، لـه جـولات في مـدح أمـراء عـصـره من آل سعود وآل رشيد.. قتله عبد العز يز بن رشيد.

قـيل أنه كان جارا عند العجمان لسبب أغضبه على جماعته، والـعـجـمـان رجـال طـيـبـون، وجـيـرتهـم طيبة، يختارهم الشعراء والـفـرسـان للـمـجـاورة.. فـقـد جـاور فيهـم الـفـغم، وجاور فيهم عـجـران، وجاور فيهم حو يدى العاصمى، وابن منديل الخالدى، وغيرهم كثير.. وكلهم يحمدون الجوار، و يشيعون الثناء.

في الـوقـت الـذى كـان فيه عجران بن شرفي مجاورا عندهم كان أيضا ابن منديل مجاورا فيهم.. وذلك الزمن قائم على الغزو، والـكـسب، والنهب بين القبائل.. فَهَمَّ العجمان بغزو سبيع جماعة عـجـران.. و بـطـبـيـعة الحال سوف لايغزو معهم عجران جماعته، ولـكـن ابـن مـنـديـل الخـالدى عزم على الغزو معهم، وهو يعرف

فروسية سبيع، ومواقف شجاعتهم.. فنهاه عجران عن الغزو مع العجمان، وقال له: انى أخشى عليك من جماعتى تكون ضحية لهم، أو على الأقل يذهب جوادك وسلاحك غنيمة لهم.. فقال ابن منديل: أنا قد وعدت العجمان بالغزو معهم وأخشى أن يقولوا ذَلّ.. ولكن ان قدر الله على فرسى وسلاحى أن يؤخذا.: فأنت ياعجران كفيل بردهما علّي من جماعتك. فهما أمانة في عنقك.. قال عجران: تجعل فرسك وسلاحك أمانة في عنق رجل من قوم تغزوهم بفرسك وسلاحك، لتقاتلهم وتستولى على ابلهم؟!!، ان هذا لشيء عجيب!!. فقال هذا ماسمعت.

وغزا مع العجمان، وأعان الله سبيعاً عليهم.. فردوهم، وكسبوا من العجمان ماكسبوا، بما في ذلك فرس بن منديل وسلاحه.. فعاد راجلا مسلوب السلاح، وجاء الى عجران، وقال: أمانتك ياطيب الأمانة ونخاه.. فلم يكن من عجران الا أن أدركته حميّة الجوار والشيمة. فركب الى جماعته وأتى بفرس ابن منديل وسلاحه، وجعل يغنى:

يابو فهد دُوْكَ العيون أشهَرَنِّي وقلبِ الخَطَا كِنَّه على كِير شَبَّاب[1]

ظَنَّيْت في رَبْعِى ولاخَاب ظنى وأنا أحمد اللَّى يُودِع الظَّن ماخَاب[2]

تَجاوَضَنْ من حَزما يُوْنِسِنِّى من عِقْب ماحَطَّنّ بالجَو مِلْعَاب[3]

(١) دوك : انظر. قلب الخطا: قلب الشوم. كنه : كأنه. كير شباب: كير حداد.

(٢) ربعي : قومي. اللي : الذي. يودع : يجعل.

(٣) تجاوضن : فزت الخيل. يونسني : يحس. من عقب : من بعد. حطن: تركن. ملعاب : ميدان.

وَازْمَـاحِـنَـا بـمْـتُـوْنـهِـن عِـلّـقَن   في مَقْطَع الدَّفَة من الكتْف نِشَّاب(١)

يـوم أن(مـنْـدِيْـلٍ)عـليهـم يُـشِنِّى   مـامنهـم اللّى رَدَّهـا لابـن غَـصَّاب(٢)

عـلـيـه زَلْـبَـاتِ الـرُّمـك صنفن   هَلْها على عُوْج المَنَاصِيْب قِضَّاب(٣)

واظعـونهـم عقـب الطَـمَع حَـدَّرَتى   مـاينـزلـون الاقـمـر سَـبـع قِدَ غَـاب(٤)

وذِيْـدَانهـم عِـقْـب الطَّـنَا يَرْتَعَـني   مـابين حـمَّـار ومـابين حَـطَّـاب(٥)

---

(١) مقطع الدفة : متن الفرس. وكتفها.

(٢) يشني : ينخى. اللي ردها : الذى رجع بفرسه لينقذها.

(٣) زلبات الرمك :.صافنات الخيل. هلها: أهلها. عوج المناصيب : السيوف.

(٤) حدرن : ذهبن منحدرات هاربات. قمر سبع: ليلة السابعة من الشهر.

(٥) وذيدانهم : جمع ذود وهو القطعة من الابل. الطنا: الغيظ. حمار: راكب حمار. وحطاب: جامع حطب.

البَذْر في السّباخ .. !

ماأضيع المعروف حينما يضعه واضعه في لئيم لايقدره، و يبذره في سباخ، يحرق البذر، و يذهب جهده خسارا.. والمعروف حينما يبذله صاحبه في الأغلب لايبذله في طلب المكافأة، لا لأن يرد عليه المثل مثلين.. فهذا لايسمى صاحب معروف.. وانما صاحب المعروف الذى يبذله عن طيبة نفس، وكريم طبع، وأصالة خلق.. سواء بذله في سباخ، أو في ربوة ذات قرار ومعين.

و يتبين هذا من هذا حينما يعصف القدر بصاحب المعروف، و يبقى في حاجة الى العون والمساعدة من أية جهة كانت.. هنا يتبين الطيب من الخبيث.

هذا عبد الله بن جرى من قبيلة قحطان.. اتفق مع آخر، يدعى عبد الله بن فايز، لانسمى قبيلته فهو عار عليها.. اتفقا على أن يذهبا لاحدى امارات الخليج العربى لطلب الرزق هنالك، فذهبا. فأما بن جرى فدخل الجندية، ولم يزل يترقى في رتبها حتى أصبح ضابطا، عهد اليه بخفارة السجن العام.. وأما بن فايز فذهب لشأنه يزاول عملا لاندر يه.. وفي يوم من الأيام

عمل جريمة كبيرة فادخل السجن، ثم حكم عليه بالاعدام، وكان سجنه لدى صاحبه القحطانى، ولما قرب تنفيذ الحكم دخل عليه، وقال: يافلان انه ليس بيدى شيء أدافع به عنك من حيلة أو وسيلة، كل مافى الأمر اذا كنت تأمر على شيء من المال قليل أو كثير أدفعه لأهلك، أو تكلفنى بما تكلفنى به فاننى على أكمل الاستعداد.. فبكى ابن فايز، وعصر قلب صاحبه القحطانى بشدة النشيج، وظل ينخاه، و يتفغر أمامه، ويهيب به، و يذكره بمفاخر آبائه وأجداده، و يتوسل اليه أن يطلقه سرا، و يدّعى أنه هرب.. فظل القحطانى يتلوّم بين أمانته ومسئوليته من ناحية، و بين أن يرى صاحبه في الغد يشد وثاقه، و يساق الى السياف.. انهما مصيبتان، كلاهما مر.. ولكن قضية مسئوليته وأمانته تهون عند الأخرى.. فجاءه وقال له: استعد فانى مطلقك الليلة وليكن مايكون.. فناداه في الليل وأطلقه وتركه يذهب يسابق الريح ليلوذ في مناكب جبال الجزيرة، و يترك صاحبه الضابط يواجه مايواجه.

أما السلطات في بلادهم التي يقيمون فيها، فحينما علمت أن المحكوم عليه بالاعدام فر من السجن.. فلم تحتج القضية الى طويل تحقيق.. فان ضابط السجن هو رفيق المجرم يزوره دائما قبل الجريمة، وكذا السجناء يدركون أن الرجل يدعى منذ ليلتين و يطول غيابه، ثم يعود، وهكذا.. فأدين الضابط بجريمة تهريبه، وأودع مكانه في السجن ثمانى سنوات، كلهن عجاف.. وكان

يظن أن صاحبه سوف يعمل المستحيل مع قبيلته وقومه لتخليصه، ولكنه لم يفعل، ولم يحاول.. وبعد الثماني سنوات أطلق وسرح من الجندية، وصودر بيته بما فيه، وطرد الى السعودية.. فجاء اليها صفر اليدين، منهمك الحال من السجن، معدما لايملك مايقتات بهٌ.. فالتمس صاحبه فوجده، وقابله مقابلة باردة يندى لها الجبين، ويجف لها القلب. أبعد مافعلت من فعل قبيح، وماقام به صاحبك من عمل أنقذك به من حد السيف هذه مقابلتك؟.. ياللعار، وياللقلب الترابي الأجوف.. شاه وجهك وكبا جدك، ولاأكثر بنات حواء من مثلك.. ولكنهم — والأسف يحز في نفوسنا — كثير عرفناهم وجربناهم، فكانوا بئس من عرفنا ومن جربنا.. جلودا مملؤة غثاثة ورثاثة، وهياكل ملأها بارئها بالخبث والعفن والنذالة:

اذا لبسَ البياضَ فَعِدْلُ جِصٍ وان لبس السواد فَعِدلِ فَحْم

حينما علم قوم ابن فايز بالأمر والمقابلة المرذولة، التي قوبل بها القحطاني.. قاموا على قدم وساق لرد بعض الجميل.. فاستدعاه شيخهم، وأولم له وليمة كبيرة، وأخذه القوم بالحفاوة والاكرام.. وعند مغادرته وجد في مكانه صرة كبيرة جدا تعوضه عن بعض مافقد.. والخير لايزال في أهله.

طَرِيْقَ الجُلْعُودِيَّة .. !

أحد الطرق المعروفة المؤدية من شمالى نجد الى العراق سميت الجعلودية للقصة الآتية.. آل جلعود فريق من عنزة، معروفون بالشجاعة والفروسية.. ورئيسهم برجس بن جلعود.. في غرة منهم أغار عليهم العصلب أحد شيوخ الضفير، وأخذ جملة من ابلهم، وعاد الى قومه وبلاده بالعراق حول الشط، وعمل على دفن المناهل التى بينهم وبين نجد، وتغويرها حتى يأمنوا غارات بوادى نجد، وعندها أهمل قومه الضفير ابلهم من الحراسة الدائمة، وظلت ليس معها الارعاتها.. فعمل برجس بن جلعود رئيس الجلاعيد خطة لكى يصل ابلهم، ويأخذها انتقاما منهم حينما أخذوا ابل الجلاعيد، ورغبة في الطمع.. اذ الناس في ذلك الزمن قائمة حياتهم على مبدأ آخذ ومأخوذ.

الخطة التى دبرها ابن جعلود هى: أن يتبع ركاب غزوه كل واحدة بجمل محمل بالماء، حتى اذا انتصفوا في الطريق بعد ظمأ سقوا ركابهم حتى تروى، وتزودوا بالماء في القِرَب والمزادات وواصلوا سيرهم.. أما الجمال بمن عليها فتعود أدراجها، وتحمل ماء أيضا من أقرب منهل يليهم، ثم تعود لتقابلهم في نفس

المكان الذى عادت منه.. اذا عاد الغزو معطشين يجدون الماء أمامهم في منتصف الطريق.. وهكذا فعلوا وأغاروا على ابل الضفير التى ليس عندها الارعاتها، فأخذوها وانهزموا بها.

وأثناء الغارة وقعت مطية رفيق لهم شمرى في ترعة من ترع الشط، وكانت هذه الذلول تسمى (الريشا)، فأيس منها صاحبها، ولكنهم تحمسوا واجتمعوا فأخرجوها من الترعة، وقالوا: نحن أهل الريشا.. ومن ثم سموا بأهل الريشا نخوة لهم، ولم يعودوا ينتخون الا بها.. وعادوا أدراجهم مع نفس الطريق بابل الضفير، ووجدوا الماء أمامهم فسقوا الابل والركاب وتزودوا بالماء. ومن ثم سمى هذا الطريق بالجلعودية، مثلما سميت الطرق الأخرى المتجهة من نجد الى الخليج العربي.. كل طريق باسم خاص به ـــ لمناسبات مثل هذا يطول شرحها ـــ مثل طريق أم الرمم، والمنشرحة، والمبيحيص، والجودى، ومخيط، ومزاليج، وهكذا.

وكنخوة الجلاعيد بأهل الريشا، كذلك نخوة بطن من شمر بالحمير، ونخوة آل محيا الحناتيش من عتيبة بأهل الحردا، ونخوة الدوشان باخوان جوزا، ونخوة آل سعود، وأهل العارض بأهل العوجا.. وهكذا كلها لها قصص ومناسبات، وكانت سببا في وجودها وشيوعها.. ولولا خشية الاطالة لألمنا بمناسباتها.. ولكن سبيلنا في تدوين هذه القصص أن تكون سهلة، مختصرة، خفيفة.

بعد أن عاد الجلاعيد من غزوتهم منتصرين، قال رفيقهم الشمرى صاحب الريشا:

وِدّك الى خَاوْيِت مِثْل الجَلاعِيْد   قَطّاعِةِ الفِرْجَة لِطَرْشِ المُعَادِى[1]
جَابُوا حَلاَلِ القَوْم لِقْحَ ومَفَارِيْد   يَتْلُون(بَرْجَس)مِثْل طَيْرِ الهَدَاد[2]
قَدّوْا لهم دَرْب على الكِنَّسِ العِيْد   من(نجِدِ)لِيْن انحوا على الشَّط غَادى[3]
صَاحَوا هَلِ الرَّيْشا عِيَالِ مَوَارِيْد   مِن الثّبرَ جَرّوْها بِبطْن الشّدادَ[4]

(١) ودك الى خاويت : من شأنك تصحب، قطاعة الفرجة: قاطعي الموامي بالحزم والعزم. طرش المعادى : ابل الاعداء.
(٢) جلال القوم : مال الاعداء. لقح ومفاريد : لقحات وصغار. طير الهدد: صقر القنص.
(٣) قدوا لهم درب : شقوا لهم طريقا. الكنس العيد : المجن. لين: حتى الشط غادى وراء النهر.
(٤) اهل الريشا : نخوتهم. عيال مواريد: شبان وراد على الاعداء. الثبر : ترعة النهر . جروها : اخرجوها

يَاوِيْلها.. مِن قِلَّةِ رِجَالِهَا..!

مصائب الدنيا وأحداثها كثيرة. وكل أذاقته مرارة كأسها، وعلقت فيه مخالب فرسها:

طُبِعَت على كَدَرٍ وانت تُرِيْدُها   صَفْواً من الأقْذَارِ والأكدار
ومكلف الأيام ضِد طِبَاعِها   مُتَطَلِّب في الماء جَذْوَة نار

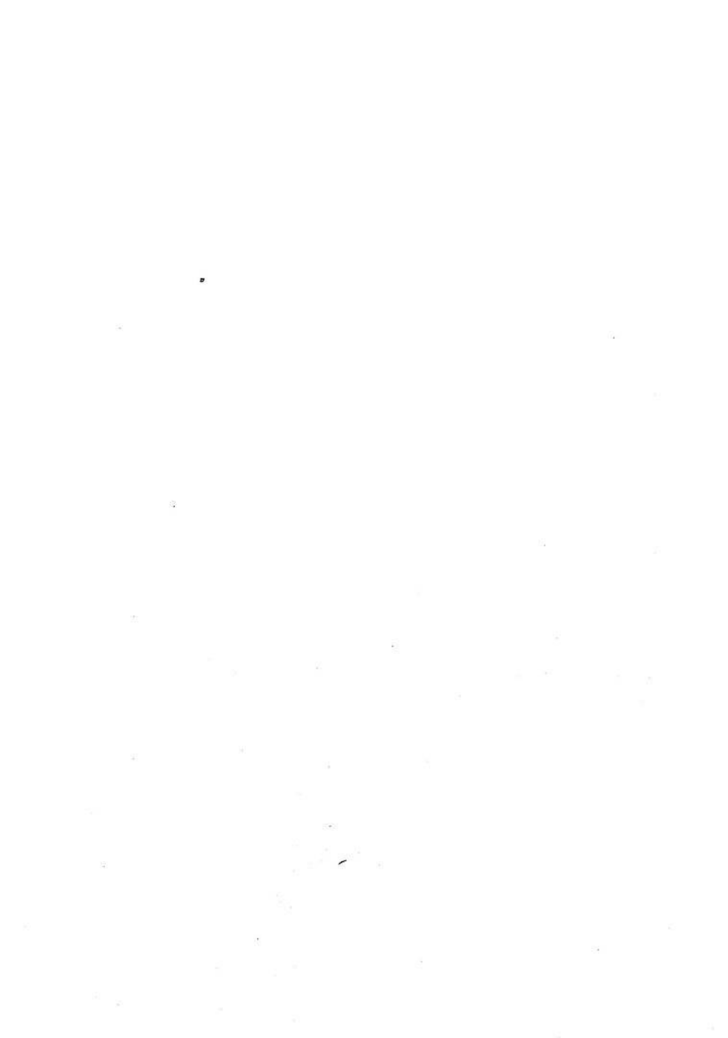
أحدهم تشاكس مع ابن عم له فقتله، وربأ القاتل بنفسه خوفا من القتل، والقاتل دائما خائف وذليل، وكل شيء يخيفه ويفزعه.. ذهب بعيدا عن داره وقومه، وانضوى الى غابة اثل بجانب قرية، اتخذ منها كوخا حقيرا مظلما، وجعل زوجته فيه، وظل يذهب هنا وهناك لطلب رزقه في معيشة ضنك ورزق مقدور.

ولم يزل غرماؤه يتنطسون أخباره، ويتتبعون آثاره، الى أن علموا أنه في هذا المكان.. فدخلوا الغابة عليه متسللين، ولما رأوا الكوخ كمنوا حوله يترقبون ساعة عودته ليقتضوه روحه، ويرجعوا من حيث أتوا.. وبينما هم كذلك اذا بشخص يأتي متسللا أيضا، ويلج على المرأة في كوخها بغية مطالبتها بعفافها، ولما

شعرت بقصده السيء.. صاحت بأعلى صوتها قائلة: ياويلها من قلة رجالها؟! ولم يطق غرماء زوجها أن يسمعوا هذا الصوت الحزين من عربية تطالب باهراق دم عفافها، هنا لم تجد من يشكيها أو يفزع لها.. فانطلقوا من مكمنهم وأنجدوها مسرعين، فقتلوا المعتدى، وأخذوا أخبار المرأة، وقالوا لها: كونى في استقبال زوجك، وأخبريه بما كان، وقولى له ان أصحاب الدم ههنا في الكوخ، وقد أعتقوا رقبتك بسبب هذه القصة، واكتفوا منك بالدية.. بشّريه بهذا، وليأت الينا آمنا غير خائف.. أما الرجل القتيل فسوف نقنع أهل القرية بواقع الأمر، وباعتدائه وسوف نتحمل ديته.

وهكذا ينسى العربى ثاراته وذحوله في سبيل الشرف، والمروءة، ومكارم الأخلاق، والنخوة الأصيلة المركبة في دمه طبعا وتكوينا.

شَمَمُ



نَتِيجة الإكْرَاه ..

نشأت وضحا الهتيمية بين أسرتها الموفورة العدد الكثيرة الرزق محتلة من أرض نجد سنامها ومن جبالها أمنعها وأغناها، فهي اذا أسهلت ففي رياض (القَصِيْم)، ومنبسط (الرُّمَة)، وسهول (السِّر).. واذا تحصنت ففي (أبانين) و(جبلة)، (وطُخْفَة) تروح وتغدو على مضاربها أذواد الابل، وقطعان الغنم، ويروح كل يوم قناصو العشيرة مثقلين بطرائد الظباء وعديد الأرانب وجون القطا، ومن ذا الذي يبارى القانص الهتيمى الملحم في حذقه ومهارته بالقنص؟!.. ويبدأ السمر على غليان القدور بلحوم الصيد وافعام الأوانى بالألبان، ومطارحة الأحاديث على كئوس القهوة واحتساء العبيل.. لذلك قل أن يحتاجوا الى شرب الماء.. واذا احتاجوا اليه كان في الربيع مما تحلبه المزن على محانى الأباطح، وفي الصيف مما تنضحه الجبال في منيعات القلات.

في هذا العيش وذلك المحيط نشأت وضحا بعد ان حباها بارئها من جمال الخلق، وروعة التكوين، وكمال الابداع ماهو المنتهى لجمال المخلوق، ووجدت في خفض عيشها وبلهنية رزقها ماوهبها من الأنوثة الطاغية، والحيوية العارمة، والشباب الغض

ماكانت به زينة النادى، وواسطة عقد غوانى العشيرة، ومطمح أنظار شبان الحى.. ولحى الله بعض التقاليد المجحفة، والعادات السيئة.. فحينما أصبحت وضحا تطمح ببصرها هنا وهناك لترى من هو من شباب العشيرة المبرزين أولى بامتلاك زمام هذا الجمال واقتياد هذه المهرة الشموس، واذا بابن عمها (فَالِح العِثْل) يعلن تحجيره عليها، ويسد الباب دون الاخرين، والتحجير في لغتهم المنع لأى شخص ليس من عمود نسبها أن يتزوجها، أو من هو أبعد ممن حجرها، ولو كان من عمود نسبها، ومن حدثته نفسه بتخطى هذا الحجر فليستعد للموت من يد من فرض الحجر.. فكانت بلية مؤلمة تنزل بوضحا، وكان الهم والغم يخيمان عليها، فهى لاتريد فالحا، ولاترى فيه ذلك الشاب المكتمل الذى تستطيع أن تشاركه الحياة وتتحقق فيه أحلامها وأمانيها.

ولكن أين وأنى لها الافراط من ربقة حجر فالح؟!! فانقادت الى الزواج به مكرهة ودخلت في عصمته وهى مكدودة النفس، معذبة الضمير، فوقع ماخافته وصدقت نبوءتها فيما تنبأته في فالح، فكان الزواج بالنسبة اليها غير موفق، وبدأت الدنيا في عينيها قاتمة مربدة، وظلت همومها تطاردها في كل لحظة من لحظات حياتها، وانحصر تفكيرها في البحث عن الحيلة التى تتخلص بها من فالح، ولم تر حيلة أنجح من أن تتمارض وتتخذ من دعوى المرض وسيلة تباعد بينها وبينه، فظلت تواصل

الأنين، وتتابع الآهات، وتكثر الشكوى.. فشغل ذهن فالح بمرض وضحا، وظل يطلب لها العلاج، و يبث بعض عجائز الحى مافى نفسه ومايعانيه من مرض زوجته.. وفى هذه الأثناء كانت وضحا تعاطى (سُوْدَان) همسات الغرام، وكانت عينها قد لعبتْ عليه قبل أن تعرف فالحا، وكان هذا الشاب من عشيرتها أيضا، غير أن فالحا أولى بها منه عرفا، فهام بها (سُوْدَان)، وعلق قلبه بحبها فراودها عن نفسها، فكانت نفس حرة لا تستسلم لشهوتها أو تنقاد لعاطفتها بتلويث شرفها وتدليها في حمأة الرذيلة، مهما بلغ بها الحرمان وقسا عليها الدهر، فصرفت سودان عما أراده، وأعطته درسا ود بعده لوساخت قدماه في الأرض، ولم يبدر منه مابدر بأسلوب مهذب مؤدب.. وفيما كان فالح يعرض مشكلته على احدى العجائز، و يقص عليها مرض زوجته، كشفت له هذه العجوز عما لمْ يكن في حسبانه ولم يدر بخلده، فلقد قالت له: ان وضحا غير مريضة، وانما هى مريضة بغية التخلص منك والارتماء في أحضان (سودان) الذى هو قرة عينها وحبيبها ونجيها في الخلوات، فهى بهذا تريد أن تعزف عنها وتتركها لتراها أقوى وأصح ماتكون، فاضطرب فالح وكلح وجهه وأخذ منه الغضب كل مأخذ، وهنا أضمر السوء لسودان وعزم على قتله جزاء ماخبب عليه زوجه ولم يراع فيه حق القرابة وشيمة ابن العم، فأخذ يتحين فرصة خلوته و يتتبع خطاه. وذات يوم ذهب سودان الى القنص وحده، فاهتبل فالح هذه

الفرصة واتبع أثره حتى أوغل سودان في البعد، وهذا يسبره من بعيد، ويحاول أن يدنو منه تحت ستر الشجر وفي مطاوىء الجبال، بدون أن يعلم به سودان، لأنه لو علم به لأخذ الحذر منه، ولربما عند أدنى ريبة يدركها منه يفتك به، فيكون نصيب فالح خسارة الصفقتين.

ولما فرغ سودان من الصيد بما ينوء بحمله لجأ الى كهف هنالك في صفحة جبل لايحجبه عن الأعين من ثلاث جهات، وجلس يتنسم الرياح ويستجم النشاط، فانتهز فالح الفرصة واتخذ من هذا الجبل رِدْئا يستره عن عيون سودان، وأخذ يدنو ويدنو ليباغته من خلفه.. ولما كان منه على قرب يتحقق معه أن رميته سوف تقتل سودان جثا خلف صخرة ووجه بندقيته بين كتفي سودان ووضع يده على زنادها وهم باطلاق رصاصتها، واذا بسودان يتنهد ويرفع عقيرته مغنيا بصوت مشج مبك، واذا به يقول:

القلب حَنْ وَبيْن الأضلاع يغول　　والعَيْن جَازْ لها البُكَا مِن عَنَاهَا
على اللّذى عَيْنِه كَمَا عين مِغْزل　　لِى شَافَت الرَّمَّاي جَامِن وَرَاها(١)
لى جَتْك مع بعض المَخَارِم تَهْذِل　　وَاخْطَى الرَّصَاص وشَافَت اللّى رَمَاها(٢)

(١) المغزل : الظبية تلتفت لولدها وتنظر اليه بحنان. لي شافت الرامى: اذا نظرت القانص يحتلها.
(٢) جتك : جاءتك. المخارم : منخفضات الأرض. تهذل : تخب في مشيها.

عساك ياقلب العَنَاعَنه تِجْزَل   أجْزَال دَلْوٍ يَوْم يِجْزَل رِشَاها (1)
واشوْف له في ثوْمه القَلب مَنْزِل   ولا تَنْرَجَا وِاحْبَال(فالِح) وَرَاها (2)

ولم يكد فالح يسمع هذه الأبيات حتى رفع بندقيته، وأخذ ينشج نشيج الثكلى، ويلطم نفسه التى دفعته لأن يهم بقتل ابن عمه، ولم يكن بينه وبين ذلك الأقيد أنملة، وفي الوقت الذى كان ابن عمه يمدح شجاعته ويهاب سطوته، ويرى فيه الحصن المنيع دون محارمه، ولما فرغ من البكاء نهض من مجثمه، وجاء يمشى على استحياء وخجل وعيناه محمرتان من البكاء، ولما شعر به سودان نهض وحياه وأدناه وأخذ يلاطفه، ولم تطب نفس فالح إلا أن يروى القصة لابن عمه، فرواها كاملة، وبعدئذ ألقى حبال وضحا في جلسته تلك اكراما لسودان فتزوجها بعده.

وهكذا تكون نتيجة اكراه الفتيات على من لايردنه، واستبداد الأهل بشئون أعطاها الله لأربابها خاصة، وكم هناك من مآس وسيئات جلبها استبداد الأهل بغير ماهو لهم، ونتج عنها فساد وافساد.. فهل من مدكر؟!.

---

(1) قلب العنا : القلب المشغول. تجزل : تترك. وتنفصل عن حبك انفصال الدلو من رشائها.

(2) اشوف : انظر. ثومة القلب: سويداؤه. ولا تنرجا : ترجى. حبال فالح: عصمة هذه المرأة بيده. وراها : لديه.

العداء .. لايَمْنَع من قَوْل الحَق .. !

تنازعا الزعامة، وتنافسا الرئاسة، وقامت بينهما مشادة ومشاحنة.. وكلاهما رجل شجاع وكريم ووجه طلق.. ولم يزل العدا بينهما مستحكما.. في قريتهما النائية.. ولأحدهما امرأة جميلة جدا، وكثيرا مايسافر عنها زوجها، ويطيل السفر في شئونه وطلب رزقه.. وكانت عين منافسه قد لعبت برؤية هذه المرأة وهام قلبه بها.. ولم يزل يتحين منها نظرة، أو يجد منها فرصة.. ولكن لاسبيل الى ذلك.. فاستلحق عجوزا وأغراها بأن تذهب بصرة هذا المال لفلانة، وتحمل معها سلامه وشوقه وحنينه.. ففعلت.. ولكن المرأة هزت العجوز وهزأت منها وأخجلتها وطردتها.. فهي ليست بأهل لمثل هذا، وليس المال هو الذى يغريها لتبيع شرفها، وتضحى بفراش فلان الشجاع الفارس.

عادت العجوز اليه بالخيبة والخزى، فسكت وتركها.. وفي ليلة من الليالى، وكان بيت هذه المرأة الجميلة على جانب من القرية، ويشرف على الخلاء، وكانت أمام البيت جيفة تنتابها الكلاب والسباع، والليلة مقمرة.. فظلت هذه المرأة تشاهد هذه الكلاب تتصارع حول الجيفة، ولم تلبث حتى خرج عليها كلب تعرفه الكلاب، فانفضت أمامه وتركت سبيله وربضت بعيدا

عـنـه، وانفرد يأكل وحده لا تستطيع الكلاب أن تقربه حتى اذا شبع وذهب ينطرح جانبا، عادت الكلاب الى جيفتها تتهارش، ويصرع بعضها بعضا، فعجبت من هذا.. ولما جاء زوجها من سمره حدثته بحديث هذه الكلاب، وفعل الكلب الشجاع بها.. وقالت ان أمره لعجيب.. فهل من الرجال من تخافه، وتترك سبيله، ولا تقرب له حمى مثل هذا الكلب في الكلاب.. قال زوجها: نعم ان فلانا ــ يقصد عدوه ومنافسه الذى راود المرأة عن نفسها ــ في الرجال مثل هذا الكلب في الكلاب.. مهيب لايجرأ عليه أحد، ولايوطأ له حمى، وظل يمدحه.. ومن ساعتئذ وقر في نفسها تقديره ومحبته والشوق اليه.. ولما غاب بعثت اليه نفس العجوز التى بعثها اليها، وقالت ليأتنى في الساعة الفلانية من الليل.. وفعلا ذهبت العجوز وأخبرته.. فتعجب من هذا التحول الجديد، وهذا الانقلاب المفاجىء.

فجاءها في موعدها، وقالت: هيت لك.. فقال أريد أن أعرف سبب هذا التحول الذى جعلك تنقادين هذا الانقياد، وقد أغريتك بالمال قبل فاستنكفت وأبيت.. فقالت : ان لذلك سببا، فأنت تعرف أن المرأة العربية لا تقدر شيئا في الرجل مثلما تقدر الشجاعة.. فالشجاعة في الرجل مغناطيسية عجيبة تجذب المرأة الى الشجاع جذبا، ثم قصت عليه قصة الكلاب، وماقالته لزوجها، ثم ثناء زوجها عليه الثناء العاطر في الشجاعة، وانها من وقتها وقر حبه في قلبها، وعزمت على أن تمكنه من نفسها..

ولما انهت حديثها، قال: أوقد قال زوجك هكذا.. قالت: نعم.. ففكر مليا، ثم قال: انك تحرمين عليّ كما تحرم أمي فوالله لاأطأ فراش رجل يثني عليّ هذا الثناء، و يعرف قدرى حق المعرفة.. فحاولت معه كل المحاولة، فأصر على تركها، وأن لاتمس يده لحمها.. ثم قال: و بالمناسبة، فانه والله لايخيفني أحد من الرجال قلوا أو كثروا، ولاأهتم لهم بقدر ماأهتم من زوجك، فهو يفوقني شجاعة واقداما.. فقرى به عينا، والزميه، واغتبطي به.. فما دمت تقدر ين الشجاعة فقدر يه شجاعا لايشق له غبار، وفاتكا دونه كل فاتك.. وانصرف وتركها.

وهكذا شأن الرجال لايؤثرون الشهوة الطارئة، والنزوة العابرة على وفائهم ومروءتهم ومكارم أخلاقهم!!.

رِفْقَةُ الطَيِّبِيْن

البشاشة، والمخالقة، واللطف، والاستقبال بالجبين المنطلق، والشفاه الضاحكة، والدعابة والمرح.. هذه كلها من الأخلاق التى تغرى العربى وتشده الى صاحبه، وتجعله يأنس و يستر يح ولو لم يكن من القرى الا سداد من عوز:

بَشاشَة وجِه المرء خير من القِرَى فكيف اذا جاء القِرَى وهو ضاحك

وهذه أيضا من الأخلاق الاسلامية الأصيلة، التى تغرس المحبة، وتنبت المجتمعات السليمة المستقيمة.. فمن شأن نبينا عليه السلام مضاحكة الأضياف وملاطفتهم وادخال السرور عليهم.

ولقد تعود العرب أن يتخذوا من القهوة وسيلة لهم، وسببا لأحاديث السمر، ومذاكرة أيامهم وأحداثهم وتواريخهم ومآثرهم ومفاخرهم.. فتجدهم يجتمعون حولها، و يتنقلون من مكان الى مكان ليجدوها أمامهم، وتنعقد حولها حلقاتهم ومنتدياتهم.. و يكون صاحبها هاشا باشا لكل قادم، يقوم له ويجلسه حيث المجلس المناسب و يرحب به.

فهذا فراج بن هيا القحطاني.. اعتاد أن يجد الاكرام حينما

يأتي الى كرام قومه وغيرهم.. فله من الدالة في شخصيته ومكانته مايجعله يطلب لنفسه الاكرام، ويجعل الآخرين يقدرونه وينزلونه منزلته.

أما هذه المرة.. فحينما أقبل على بيت جاره حيث القهوة ومرتاد الرجال ومنتداهم، سها صاحب البيت أن يقوم له، أو كانت الثقة قد حملته على أن لايقوم لابن هيا، فسلم ورد عليه السلام وهو حول أواني القهوة يعملها.. ولما رآه لم يقم بل قال له: تعال هنا اجلس هنا.. قال فراج هذا:

أكْرَم كَرِفْت الله يُوَسِّع لك الرّز(١) والله لِكَسَّابِ المَرَاجِل عَوِيْنِ
أحبها لي وافقت لي على عِز ولالِي بها واللّي بها مايَبْنِيني
إن كان رَاعِي البيت طَرْب ٍلنافزْ والافلا نِيْب اطْرِد المُسْتَحِيْن(٢)
الكنز ماهو بالذهب يوم يكنز الكنز والله رِفْقَه الطيبين

وهكذا نجد نفوسهم أعز عليهم وأكرم من أن يأتوا الى مكان لايقابلون فيه ببشاشة وانطلاق، فليس المراد بالتجمع حول القهوة ومايتناولونه منها فقط، وانما المقصد الأول أن يجدوا اكرام نفوسهم وانزالها منازلها. لقد عاد فراج أدراجه، وترك هذا وقهوته حينما وجده لايقدر العادات، التي درج عليها العرب وأوصوا بها أنفسهم.

---

(١) قوله . الله يوسع لك الرز: يعني الله يوسع لك الرزق ففي التعبير اكتفاء يدل عليه المقام. المراجل : المكارم.

(٢) فز : قام اكراما. فلانيب : فلا أنا أكلف احدا فوق عادته وطبعه.

نَيْف.. وزُبـَـار..؟

رجلان من شمر مع اختلاف في الثاني لدى الرواة.. هل هو زبار أو غيره من القبيلة؟.. كان الثاني قد قتل قتيلا وليُّه نيف.. وصاحب الدم لايأمن، ولايلذ له نوم، ولا تطيب له حياة، لاسيما اذا كان الذى يطالب بدمه شجاعا لا تؤمن غوائله، ولايحام حول حماه.. وهكذا الحال بالنسبة لهذه القصة.. فنيف لاينام على وتيرة، ولايبقى على ذم والعرب تحتقر الذى لايأخذ بثأره، و يتهاون الرجال بقدره.. لهذا كان منه غريمه على وجل، ولايعيش عيشة راضية، ولاينعم بحلاوة الحياة.. و بينما هو ذات ليلة ممطرة شاتية يستعد للخروج من بيته لينام في كهف أو جرف أو جذع شجرة.. قالت له امرأته: أفى مثل هذه الليلة تفارق بيتك؟.. انك لجبان.. قال لها.. لوتعرفين عن (نيف) مثلما أعرف لعذرتينى، و يل لمن يطلبه مثل نيف، انه هو الذى ألجأنى على أن أتتبع الكهوف، وأعزف عن لذيذ النوم في بيتى مخافة على رقبتى.. يقول هذا القول وظل هنيهة يداعب ولده الصغير، و يرقصه، و يردد هذه القصيدة:

كَـرِيْـم يابَرْقٍ سَرَى له رَفَارِيْف   قَعَدت اخْيله والعَرب نَايِمِيْن[1]

عَـزَّلَ مِن المنْشَا مُزْوُنه تَقَانِيْف   جِعْلَه على(التَّيِّم)يَسار ويمِينى[2]

وسُوَاقٍ(الأجْفَر)غَاديات كَما السَّيْف   حتى ان مـنـزلهـا لأهـلها يَزْيِنى

منـازل اللّى تِكْرِم الجار والضيف   يَـشُوْفـهـم في جانبه كـل حين[3]

أهل رِبَاع كاهضَاب المَنَاوِيْف   كبـار الَصُّحُوْن ومطِلقِيْن اليَمِيْن[4]

(شَمَّر)هل الَطوْلاَت ماهي تَصَانِيْف   من سابقٍ للطَّايلة كاسِبِيْنِي[5]

ياعَلْ دِيْرتْهُم كَثِيرٍ بها الرِّيْف   وياعَلَّهُم طُوْل الدَّهر مُسْعَدِيْن[6]

ودِّى بهم لاشِك مَاهِي على الكِيْف   عنهم نَحَانِي حِبْس دزع الكَمِيْن[7]

يَاسِعْد مِن له بالرِّفَاقَة مِثل نِيْف   أوَىْ مِثْلـه يَـنْطَح العَايِليْن[8]

الله لَحَد مِن نَقْضِي الجُزْوْ بالصَّيْف   وَانا لَذِيْذ النُّوم ماطَب عَيْنِى[9]

العَـيْـن دَمْعه دِب دَايم ذَوَارِيْف   وقَلْبِى على لاَمَا الرَّفَاقَه حَزِين[10]

والرِّجْل مَلّت مِن كِثِير التَّوَاقِيْف   ولالى حِذَاك مُشَاكِي ياجَنْيْنى[11]

---

(١) كرم يابرق : كلمة تقال عند رؤية البرق. رفاريف : انقاد قعدت اخيله: جلست أشيمه.
(٢) عزل من المنشا: تقاود. مزونه تقانيف: مزنه كانه الجبال. جعله على التيم: عساه يمطر على منطقة التيم.
(٣) اللي : اللذين. يشوفهم : ينظرهم.
(٤) اهل رباع : اهل بيوت شعر كبار. المناويف : العالية. كبار الصحون: كناية عن الكرم. يطلقون اليمين : يحلفون على الضيف ان لايرم حتى يتناول متاعه.
(٥) شمر هل الطولات : اهل المكارم. ماهي تصانيف: ماهى دعاوى. الطايلة : المروءة.
(٦) ياعل ديرتهم : عسى بلادهم الغيث.
(٧) ودي بهم : اريدهم. لاشك ماهى على الكيف: لكن ليس الامر بيدى. نحانى : طردني. حبس : حاجز.
(٨) الرفاقة : الاسرة. أوى : كلمة تعجب. ينطح العايلين: يصد المعتدين.
(٩) الله لحد: كلمة تحسر. من نقضى الجزو: من حلول الصيف.. ماطب : ماوقع.
(١٠) دب دايم : مدى الدهر. ذواريف : ذارفة. لاما الرفاقة : مخالطهم.
(١١) التواقيف : التوقف. حذاك : سواك. مشاكي : مشتكى.

يقول هذا وهو بجوار الصقور من عنزه.. وما كاد يتم قصيدته حتى انطلق صوت من جانب البيت يقول: أتعاهدنى بالله انك لم تشعر أننى هنا، وكان الصوت صوت نيف، تسلل حتى دفن نفسه في متاع البيت، وكل ماحصل كان يسمعه، وكان يترقب غرة من صاحب البيت ليقتله، فحلف له بالله أنه لم يشعر به، ولم يدر بخلده أنه سوف يتسلل اليه في هذه الليلة الشاتية المطيرة.. فخرج وصافحه وعفا عنه، وظل نيف في ضيافة صاحب البيت تلك الليلة، وفي الصباح ودعه.. ومضى فأمسى وهو في ذل وسوء حال، وأصبح وهو مطمئن في أنعم بال.

وهكذا الأيـــام...

والليالى من الزمان حبالى   مثقلات يلدن كل عجيبة

يابُعْد فَرْقِ النّاس..؟

الشمالى فلاَّح من أهل القصيم، له عميل تاجر من تجارْ المنطقة يأخذ منه ويعطيه، والثقة بينهما متبادلة، والكل منهما صاحب أمانة وديانة، ولايضمر للآخر الاكل خير.. واذا قدم الفلاح من قريته النائية الى المدينة حل ضيفا على عميله التاجر، والمتبع أن يكون مجلس الرجال الضيوف وغيرهم في مقدمة الدار، ويتبع المجلس غرفة تكون مخزنا للامانات، ولما يرغب صاحب الدار أن يودعه فيه.. ولقد قدم الفلاح الشمالى، وحل ضيفا على عميله، وفتح له المخزن لكى يضع مامعه من مستلزمات فيه، وظل الضيف يغدو ويروح على بيت عميله حتى انقضى شأنه من المدينة وهم بالرواح.. وكان الوقت باردا فتوضأ لصلاة الفجر، وأوقد النار للاصطلاء، وخرج للصلاة في المسجد القريب من الدار... فمر سقاء من الذين يستعذبون الماء آنذاك، ويحملونه للبيوت على ظهورهم، فرأى النار تتوهج داخل هذه الدار، في ركن المجلس... فدخل ليصطلى من شدة البرد، ولما لم يجد في المجلس أحدا، ووجد باب المخزن مفتوحا بعد الضيف الذى نسيه، ولج السقاء اللص، وقلب في المخزن ليجد صرة بها خمسمائة ريال وجنيهين كبيرين، مما كان يسمى

بالجنيه (ريّح بالك)، وهو جنيه كبير في حجم الريال الفرنسي.. فاختطف الصرة وذهب لشأنه.. عاد الضيف من المسجد، وعاد صاحب الدار، فتناولا القهوة والافطار، وودع الضيف عميله وسافر، وآخر النهار اكتشف التاجر أن الصرة قد سرقت، ومن لها ياترى غير الضيف الذى مفتاح المخزن بيده، ولم يلج الدار غيره؟! فحار التاجر في أمره، كيف أن فلاناً صاحب الأمانة والديانة ينحدر الى هذا المستوى؟!.. ان ذلك بعيد، ولكن من سوف يصل الى هذا المخزن، وحالته هذه، غيره.. فتردد ولكنه أخيرا عزم أن يكتب الى الفلاح بما يأتى: «صرة بها خمسمائة ريال فرنسي وجنيهان ريح بالك، كانت تحت عفشك في المخزن، فلعلك غلطت وحملتها ضمن متاعك، أرجو الافادة»... فنزل هذا الخبر على الشمالى الفلاح نزول الصاعقة، واضطرب ومالذ له عيش أو اطمأن له بال يومه ذلك.. هل يصل الأمر به وهو من هو في شخصيته ومكانته وسمو قدره الى هذا المستوى؟!.. ولكن نعم فقد غلطتُ وحملت الصرة ضمن متاعى، وتبينتها بعد وصولى لأهلى.. فاما الدراهم فهى تصلك مع الأمين حاملها، وأما الجنيهان فقد اضطررت لانفاقهما، وهذا مقدار صرفهما مرفقا بالصرة.. هذا ماكتب به الشمالى الفلاح لعميله التاجر بعد أن اقترض من تاجر آخر هذا المبلغ ورهن فيه مزرعته.. سكت التاجر ورضى برجوع ماله عليه، وانقطع الفلاح عن التاجر لأنه ليس لديه وجه طلق يقابله، مادام وصل الأمر الى هذه الحالة.

وفى يوم من الأيام كان التاجر في السوق، وكان الدلال ينادى على جنيهين كبيرين (ريح بالك) في المزاد.. فناداه التاجر، وقال: من أين لك هذا؟، فقال رجل: هاهو قاعد هنالك ينتظر أن تصل السعر المرضى فيبيعها و يأخذ صرفها، فقال التاجر: دلنى عليه، فدله عليه واذا به السقاء فلان سقاء حى التاجر.. فانتحى به مكانا وقال له: يابنى من أين لك هذا الذهب؟، فتلعثم، وانقطع الكلام في حنجرته، فقال له: أختر أحد الأمرين: اما أن تعيد الصرة كاملة الى حيث أخذتها، واما أن افضحك والنهاية هى قطع يدك.. فاستجار به السقاء رغبة في أن يستره، وأن يكتم عليه، وأعاد اليه كامل المبلغ، وأخبره كيف تم وصوله الى أخذها!!.

وعندها أسقط في يدى التاجر تجاه الفلاح، ماذا سوف يقابله به؟ فحمل الصرة التى بعث بها اليه الفلاح وقيمة الجنيهين، وقصده بها في قريته النائية، وقبل السلام والكلام هرع التاجر لتقبيل جبين الفلاح واحتضانه، وطلبه السماح والاستغفار له، وبكى أمامه.. فكان الصفح، والعفو، والمقابلة الحسنة.

وهكذا يكون الكرماء عزيزو الأنفس، طيبو المحتد، ذوو الثقة من نفوسهم والاعتماد على ربهم.. فرحبا بهذه الروح يعطر ذكرها المجتمع، وتشيع الفضيلة ومكارم الأخلاق!!

عَفْو.. وشَمَم

حيلان بن ركب من الدياحين ــ مطير ــ، له أخ قتله جذيل بن لغيصم من امراء شمر، فتكدر صفو حيلان، وساءت حاله بعد أخيه، وأخذ يتحين الفرص، و يتتبع أخبار قاتل أخيه في كل مكان.. و يوما كان حيلان غاز يا مع رفقة له، فمروا بماء (قبة) ــ الماء المعروف شرق القصيم ــ فذكر لهم أن جذيل بن لغيصم قد شرب من هذا الماء بالأمس بابله، وصدر متيمما نفود عر يق المظهور تجاه نواظر.. فكانت فرصة أن يجد حيلان غريمه، وأن يجد رفقته ابلا للعدو يأخذونها. وآن ذاك كان العداء مستحكما بين مطير و بين شمر شأن ذلك الزمن المشئوم لاأعاده الله.. فانطلق ابن ركب في أثر جذيل وابله وجماعته حتى اذا كانوا منهم قر يبا.. قال حيلان لرفقته: أرجو ان وقع جذيل أسيرا في يد أحدكم أن تسلموه لى اقتص به من أخى.. فقال رفقته ــ اننا لانخلف عادات العرب وتقاليدهم.. فنسلمك أسيرنا تقتله مهما كانت الظروف ومهما كانت المبررات.. فان حصل القتال بيننا و بينه وقتل أثناء الطراد، فهذا أمر لامشاحة فيه، وان وقع في الأسر فلا سبيل لك اليه وهذا سلم بين القبائل التى ليس بينها مداماة، أما التى بينها مداماة فالكل يقتل

الأسير وغير الأسير مجازاة بالمثل، وهذه حالة شاذة.

عرف حيلان انه مخطىء فسكت، وأغاروا على جذيل ومن معه، وأصيب جذيل بجرح أثناء المعركة، وشاء القدر أن يقع أسيرا في يد حيلان غريمه، وكان المنتظر أن يقتله فورا بحكم أنه قاتل أخيه، وأن يحتوى ماله كله، و يبرد غليله منه.. ولكن ماالذى صار؟!.. لقد حمله الى أهله، وداوى جرحه حتى برىء، وأعاد اليه كامل ماله من ابل ومتاع وودعه ليذهب طليق الشمم والمروءة ومكارم الأخلاق.

وهكذا يفعلون: لايقتلون أسيرا، ولامدبرا، ولاالمرأة، والشيخ والطفل، ولاالسقاة والرعاة، ولاحملة الغذاء والكساء، والرسل.. ولايغيرون على من بهم مرض: كالجدرى، وغيره.. ولايأخذون ابلا قد شربوا من لبنها، ولايغيرون على قوم قد طعموا من طعامهم!!

الشاعر الوُضَيْحِي .. وحسن التصرف

شاعر خليع، وزير نساء، ومغرم بالجمال، وشعره رقيق عذب، له جاذبية ومغناطيسية محببة، وجله في الغزل.. وشخصية الوضيحى أيضا شخصية جذابة حلوة.. و يقال عنه أنه جبان شأن كثير ممن هذه صفاتهم.. وحينما تذكر له أمرأة جميلة يفتعل الأسباب، و يصطنع المناسبات.. لكى يصل الى مضربها، ويحاول أن يراها أو أن يسمعها شعره.

وهنا أمرأة جميلة جدا، زوجة رجل يدعى ابن خلبوص.. تواترت الأخبار بذكر جمالها، وتناقل الرواة أخبار ملاحتها.. فلم يطق الوضيحى أن يصبر دون أن يراها.. فركب راحلته وذهب قاصدا زوجها، فأكرمه أول ماقدم عليه بحكم الضيافة.. ولما انتهى وقت الضيافة سأله الزوج: ربما تكون لك حاجة نقضيها؟.. قال الوضيحى: انك رجل موفق في غزواتك، وتتمثل فيك مقومات القيادة، فجئت اليك لأصحبك في غزوك لعل نصيبى معك يبرأ من علته علة الفقر والعوز.

فقال ابن خلبوص: مرحبا بك.. وظل الوضيحى في ضيافته الى أن غزا فصاحبه، وأثناء الطر يق ضرب خف راحلته بمخيط

(بخصها به) بحيث لاتقدر المشى مع الصحاح.. فقال ابن خلبوص: عد الى محلنا واجلس به مخدوما محترما حتى نعود، ولك نصيبك من الكسب... وكان هذا ماير يده الوضيحى، وقد دبر عوق مطيته من أجل ذلك.. وما أن استقر به القرار في الضيافة بواجهة البيت حتى أوجست المرأة منه خيفة.. فأخذت حذرها منه، وأخيرا أسمعها قصيدة قالها فيها، منها:

ماتَنْشِدَن وَشْ عَوَّقنْ عن طَرِيقِى اللّى مَنَعْنِى عن مُرَافَق هلِ العُوْص[1]

عِنْقِ الغُزَيِّل عند هاكِ الفَرِيْق كَامِل وُصُوْفِ الزَّين والوَسْط مَمْهُوْص[2]

طَرفه علىِ مِعِ النِّضَايِد تَوِيْقِىَ لَوْنَه يِشَادِي بنيْضَةٍ له بِبَرْخُوْص[3]

الى آخر ماجاء في هذه القصيدة الجميلة التى سمعتها المرأة، وسكتت ولم تبد أى تأثر بسلب أو ايجاب.. ولما قدم زوجها وكبر المجلس من رجال الحى في بيته، اطلعت على زوجها من خلال ستر البيت، وقالت: ياأبا فلان ــ تعنى زوجها ــ انشد ضيفك الوضيحى وش قال بأهلك وأنت غايب.. هل يعجبك من هذا الضيف قوله؟.. تحاول أن تستعدى زوجها أمام هذا الجمع على الوضيحى، وأيضا لتبعد التهمة عن نفسها لأن الوضيحى معروف عندهم أنه لايرب بيتا الالغرض دنىء.

---

(١) ماتنشدن : ماتسألني. وش عوقن : أي شيء عوقني. اللي منعنى: الذى منعني. هل العوص : أهل المجن.

(٢) عنق الغزيل : التي يشبه عنقها عنق الغزال. الوسط ممهوص : ضامر.

(٣) طرفه : نظره. النضايد : خصاص البيت. يشادى : يشابه. برخوص : جانب الرمل.

فتأثر الزوج جدا، وقال: اى شيء تقوله هذه عنك.. فاستدار ورفع رأسه، وقال: قلت بها هكذا، ثم أورد الثلاثة الماضية، وأردف قائلا على البديهة:

حَلْيَلة اللّى حَاجِبَه مايَضِيْقِى　　لِى هَجَّت القِطعَان والزَّمَل مَرْصُوْص[4]

حَلِيْلَتَه ماتَلْتفِت لِلعشِيْقى　　ماله بِغيرك رَادِةٍ يابن خِلْبُوص[5]

وبذلك استطاع الوضيحى أن يتخلص من ورطة وقع فيها، وان يحظى بعشر نياق عيَّنها له ابن خلبوص من الكسب.. وربما يكون عارفا بالحقيقة، ولكن لاير يد أن يلحق شكا بأهله لاسيما ونفوسهم اسمى من أن تفتش عن المثالب، وتبحث عن المصائب!!

---

(٤) حليلة : زوجة. هجت القطعان: نفرت الابل في الغارة. الزمل: الرواحل.

(٥) العشيق : العاشق . رادة : مراد.

كرم وكرماء

الشَّرِيْف جُبَارة ..؟

شر يف نسب، وشر يف حسب، له نفس أبية، وخلق عربى أصيل، ومكانة في المجتمع مرموقة، سخر ماله في سبيل شرفه، و بذل مسطاعه من أجل المحافظة على مكارم أخلاقه.. اغضبه بعض قومه حيث مواطن الأشراف، فر بأ بنفسه يطلب لها العز، واتخذ من (الدرعية) ابان ازدهارها، دار اقامة حيث مزرعة أنشأها، وجعل يطلب رزقه في أكنافها، و يكدح هو وأولاده من تحت يده فيها، و يبيح دخله للضيوف، ولعابر السبيل وللمحتاج.

مر به يوما ضيف من أواسط نجد، فأكرمه و بالغ في اكرامه بدون سابق معرفة.. ولما هم بالرواح ملأ حقائبه، مما تحت يده من الطعام.. وكان هذا الضيف متجها الى الأحساء.. فقدمها وصادف قدومه مأدبة دعا اليها حاكم الأحساء آنذاك (ابن عر يعر) الجفلى، وأخذ رجاله يتوسمون الوجوه، وكل غر يب يدعى الى هذه المأدبة، فَدُعِيَ هذا الضيف النجدى في من دُعِيَ.. ولما أكل وشرب وطيب نفسه من هذه المأدبة المترعة بصنوف الطعام.. وكان ابن عر يعر جالسا بالباب يتوسم الوجوه، و يستعرض الضيوف، ولما خرج هذا الضيف استوقفه ابن عر يعر ليتعرف عليه، و يستظهر مالديه، فقال له: ماذا تقول

في هذه المأدبة، وفي هذا القصر الجديد الذى أقيمت المأدبة بمناسبة سكناه.. فقال الضيف: انه قصر جميل، ومأدبة فاخرة، وأمير كريم، ولكن الشريف جبارة أكرم منه.. فقال ابن عريعر: لماذا؟.. قال: انه يطعم عن قلة، ويملأ الحقائب بجهد المقلّ، أما أنت فتنفق من غمر، وتغترف من بحر، ومأأراك تحمل النفسية التى يحملها الشريف جبارة.. النفسية الضاحكة الهاشة الباشة.. فقال ابن عريعر: انك محبوس هنا في هذا القصر حتى ننظر اصدقت أم كنت من الكاذبين.. وكان الوقت وقت قنص، فخرج الأمير في جمع من حاشيته للقنص، ولما كان على مقربة من محل اقامة الشريف جبارة حول (وادى حنيفة) أخذ نفسه سرا واناخ بمن معه أمام قصر جبارة وكانت سنة شهباء، وزمن مدقعا.. ولما اطلع جبارة واذا أمام الباب جمع كبير على ابل نجائب ومظهر أمراء، ضيافتهم تتطلب استعداداً، واستقبالهم يقتضى مالايوجد في بيت الشريف جبارة، فانصرف مسرعا الى امرأته ليسألها مالديها، فأفادت أن البيت خال والأوعية مقوية.. فأصابه ذهول افقده وعيه فشج المرأة بحديدة كانت في يده حتى كشط جفنها، وفر متجها الى الخلاء لايدرى أين يذهب، فهام على وجهه ورمى بنفسه في أحد الكهوف.

أما المرأة فقد خرجت الى الركب بعد أن عصبت جفنها، واستقبلتهم ورحبت بهم، ثم بسطت أمامهم سماط الطعام، وقدمت عليه التمر والسمن، وقالت: هذا الفأل و يتلوه العقال..

ثم انطلقت الى أهلها في قلب الدرعية، وأخبرتهم أن زوجها غير موجود في البلاد، وهؤلاء ضيوف أمام بابه من مستوى كبير وخيار قوم.. فالله الله في اكرامهم فانهم ضيوف كريم من كرام.. فبادروا الى استياق ناقة كوماء أمامهم، والى تحميل الدواب بالبر والسمن والدقيق ومستلزمات الضيافة.. وبعد قليل كانوا جميعهم أبوها واخوتها أمام الضيوف، فنحرت الجزور، واقيمت القدور، وأوقدت النيران للقهوة وللطبخ، وبسطت الفرش، وجعل المكان يضج بالحركة والترحيب والتأهيل.. فحانت صحوة من الشريف جبارة في كهفه وعاوده شعوره فأسرع الى بيته لينظر ماذا كان.. فاطلع عليه من الجبل واذا بالقدور تغلى، والطعام يعمل، والقهوة تقدم، والحركة الكبيرة قائمة على أشدها في اكرام الضيوف.. فذهل وجاء البيت من الباب الخلفى ليستطلع من زوجته الحقيقة.. فقالت له ألم تكن غائبا منذ اسبوع والآن قدمت.. هذا هو الأمر فاذهب الى ضيوفك ورحب بهم، والى من قام في اكرامهم وكن معهم.. أما الحساب الخاص فهو بينى وبينك.. فاستقبل الضيوف بالبشر، والترحاب، والوجه الضاحك، والأسارير المنطلقة، والقصص الجميلة، والأحاديث العذبة: ألم يكن شاعرا وراوية!!، هكذا يعرف عنه.

فتناول الضيوف الطعام، وبولغ لهم في الاكرام، ورغب اليهم أن يمكثوا حتى يستوفوا نصيبهم من الضيافة، ويشبعوا رغبة

جبارة في الاكرام.. ولكنهم أصروا على الرحيل شاكرين، ومكثرين، ومودعين بالثناء والحمد.

وفي غفلة من جبارة وضع ابن عريعر تحت البساط صرة كبيرة من المال وغطاها.. ليجدها جبارة بعد فترة من رحيلهم، وليلحق بهم فيقسم أن لايأخذ درهما واحدا، فهو عيب.. لئلا يتحدث الناس أن الشريف جبارة اقتضى ثمن ضيافته، فأخذها ابن عريعر، ولكنه حفظ له الجميل ومكارم الأخلاق، ففرض له عطاء سنويا وأجزل.

وهكذا يكون الكرام، وتكون النساء الكريمات، ويكون الأصهار الكرماء.. أما الضيف الذى لايزال آنذاك موقوفا في قصر ابن عريعر فأطلق وأكرم، وأجزل عطاؤه.

وأما جبارة فلم يعد يطيق حياة الفقر والمتربة، فانتجع دارا بعيدة لطلب الرزق.. ومن هناك بعث بهذه القصيدة الى أصهاره.. ومن فحواها نتبين كل غرضها:

يَقول جَبَارة والرَّكَايِب زَوَالِف   يَدُوْر الآزْيَا أَيُّهِن خِيَار(1)

اَلآعِى الوَرَقَا بالأَبْعَاد بَعْدَمَا   غَشَى جَفِن عينى بالمَنَام وَذَار(2)

يَارَكْبٍ شُدُّوْا وَاغْنَمَوا البَرْد قَبْلَمَا   يِهِب عليكم بالهَواجِر نَار(3)

(1) الركايب زوالف : الهجن عثاتن في سيرهن. يدور الاريا: يدير الآراء.

(2) الاعي الورقا : اجاذب الحمامة.

(3) الهواجر : جمع هاجرة. شدوا : رحلوا.

يَهِب هَوَى في مَطْلع الجَدِى بَارِح ... الـى طَـلَعَت عِن الشَّبِيْب وفَار

لَكِن حَضبَاها التى في رِباعِها ... على جَسـد مـن يـلـتـقِيـه شَرَار

كَـدَّر عَـلَـي بِتَالِي الليل وَالِف ... لهـا ضَـايِعِ يوم الهَجيْج حُوَار [1]

تَحِنْ وَهى قِد حِيَّرَت عن لُحُوْقَها ... على السَّاق بَعْض الرَّامِحَات قِصار

تَحِن اليُهوْدِيَّات مِن فَقْد لَيْلة ... عِـزَّي لِـمَـن فَـرْقَاه بَيْع جِمَار [2]

هـذا وهى عَجْمَى فياويل من له ... أوْلاد في سِـن الـرَّضَـاع صـغـار

الآيْقَان من ربك وماكتب للفتى ... يَـجِيـه ولالـه عـن لِـقَـاه فِرَار [3]

لوكنْت في جِنَّة حَدِيْدٍ مُعَسْكر ... فـي غِبْ جَهَّاشٍ غَزِيْر إبْحَارِ [4]

أوكـنـت في حِـق مِـن الـعَاج مُطْبَق ... فَـلا عـن مـقـاديـر الالـه مَـطَـار

فـان كـان يـاعِمْران إلى(نَجْد)رَاجِع ... عن الرِّيْف من خُوْفَة يُقَال أوصَار [5]

آوْصِيْك ياعمران لاعَاقَك النِّيَا ... حَـاذْ ورعـن ضَعْف العُزُوْم حَذَار

على نَضْوَة وَجْنَا لَكِنَّه إلى اَوْجَهَت ... خُطَاها من بَعْد المَسِيْر قِصَار

لَكِنَّها من عِقْب الأدلاج والسَّرَى ... تَـشُـوْف به هاك النَّهار سِطَار [6]

فَجَّا النَّحرَ مثل السَّبْرَتَات لاَنْتَحت ... طُفُوْح على اليمْنى لها ويَسَار [7]

لِى جيت في بَطْحَا(البُجَيْرى)مَجْلِس ... في مُـلْـتَـقـى بَابِه وبَاب(صَفَار)

---

(١) والف : ناقة اليف. يوم الهجيج : الاغارة.

(٢) اليهوديات : يقصدون الابل وتسمى باليهوديات على أساس خرافة تروى حول ذلك.

(٣) الايقان : اليقين.

(٤) معسكر : مقفل. غب جهاش: غب بحر.

(٥) خوفة : مخافة.

(٦) سطار : هوج.

(٧) فجا النحر: نحرها واسع. السبرتات : النعامة. طفوح : كالطائرة.

لى جيت ياعمران مِنّى جَمَاعَة   وحَـذِيـثـك مـن بين الجماعة دَار
فَاختَص ابوبكر الشجاع محمد   مَـلاذُنـا لأَمِـن جَـفَـانـا الـجَـار
نَسيْبى وخَال ابنى ومن هو الى آمر   عـلـى لازم مِنِّى يَجِيْه جِهَار [1]
وَاسأل نَسِيْبى عن(شَبِيْبِ)و(أحمد)   الأَوْلاَد لِلـقَـلْـب الـشَّـجِـى ثِمَار
هُم الخَيْر وهَم الشَّر والفقر والغِنَى   وِربْـح وفيهـم مـن يـكـون خَسَار
الاولاد فِيْهِم من جَلا الهَم شُوْفه   والاولاد فيهـم مِـطْـلَـق وَثَـبَـار [2]
وبالاولاد من هو رَافِع قدر والده   وبـالاولاد مـن يُـوْرِثـه دَار حَـقَار
خَلَّفْتُهُم في حِجر بَيْضَا عَفِيْفَه   كَسَاها من الدَّل الجَمِيْل وَقَار [3]
هُـذَيـلـيَّـةٍ مـن روس قُوْم عَنَابِر   ومن مَنْسَبٍ عَالِى وطِيْبَ جِوَار [4]
صَـبُـورٍ على عَوْبَاي مايندَرِى بها   الـى من مّرى فوق كَبْدِى فَار [5]
ياما من الطَّربَات يانفس فاقنعى   مع النَاس غَالِب ماعليه قِدَار [6]
وَدِّى بـدار من وَرَى ديْرَة العَجَم   ودَار وَرَا عـيـنِ الـدَّقِـيْـق بِـدَار
اَحَب عندى من جِلْوسٍ بقرية   لاَخـتـجْـت للدَّانِى القَرِيْب وَبَار
لـعـلّ مـالٍ مـايُمَارَى بِه العِدَى   ولايـنـفـع المـضْـيُـوْم لِـيْـتـه بَـار

---

(١) نسيبي : صهرى. لازم : طلب.
(٢) شوفه : رؤيته. مطلق: نادر. ثبار : خائب.
(٣) الدل : الطبع الحسن.
(٤) عنابر : ازكياء كالعنبر. منسب : طيب أصل.
(٥) عوباي : خطئي. مايندرى بها : لايعلم بها أحد. مرّى : الصفراء التى تنتابه عند الغضب.
(٦) الطربات : الفرح والسرور.

أوصِيْك خِلان الرَّخى لوتَزَخْرَفُوا   كِـمَـا شَـجَـرٍ وِزْقٍ بـغير اثـمار

يبنُون لك بالْحَكِي كم من مدينة   بـالظّـاهِـرى والـبَـاطِـنِـى دَمّـار

يَقُوْلُوْن يَرْد المَا بِمخصٍ وَقنَّب   فـالـى وَرَدَات آلمـا يَـجِـن قِصَار[1]

ولا تَنْطَح القالات لي صِرْت مُغير   تَـرا الفقر يَرِّث بالعظام فِتَار[2]

ولاعِيْشـة الـصَّـعْـلُوك الاشقَيَّة   سِـلِ الله عنهـا بـالـقَـنَـاة جِـوَار

تُـوْرِيْـك أحْـوَالٍ الـى مَـابَغَيْتَـها   والـى حِـلـم لـيلٍ فَرَّعَنْك وَطَار

يَكَسِّر عُزُومَك لو تَهَقْوِيْت لَقَوْله   كما يَعُوْق خطَى الزَّمُول هِجَار[3]

تَرا الفقر لوقالوا لك الناس هَيِّن   يَهِيْنِيك كِمَا هان الهَزِيْل فِقَار

رجـلٍ بـلامـال لـه الموت رَاحَـة   ومـالٍ بـلاً فـضْـل غـنَـاتِـه عَـار

مُجَالَسْك لِمَّن يَاجَد وَلْتَب تَاجدَ   يَزِيْدِكَ عند المُوجِبَات حَقَار[4]

اِلي نِضت للجَوْدَا لَكِن عُضُوْدِك   عـليها من القِد الجَوِيْد وَسَار[5]

ماتَفْتكِر بالطير الى صار جَايع   تَـبَـاطـى سـنـانُور الصَّبَاح وطار

واحذر عن الرَّدْيَان لا تَقْرَب ارضهم   مـايَـنْـسَـكِـن لِلـعَايِبِيْن دِيَار[6]

هذا وأنا مافي ضَمِيْرى قد انقضى   تَـرَاه في مَبْدَى الكتاب حِصَار

وصَـلّـوًا على خير الـبـرايـامحـمـد   عدد ماسَقَى سَاعِى الحَجِيْج وزار

والآل والأصـحـاب مـالاح بـارق   وعـدد مـاتـعـاقـب لـيـلها ونهار

---

(١) محص وقنب : حبال وثيقة.

(٢) تنطح القالات : تستقبل الشدائد.

(٣) يكسر عزومك : يفتر عزمك . تهقويت : عزمت. الزمول : ذكور الابل يحمل عليها.

(٤) مجالسك : من المجالسة والمصاحبة. ولتب : ولاانت.

(٥) الى نضت : الى نهضت. القد الجويد : القوي. وسار : إسار.

(٦) الردبان : دوي الردى هزالى المكارم.

سباق في مكارم الاخلاق

تتبع الكلأ والرحيل الى مساقط الغيث ديدن العربي البدوى في جزيرته، فحينا يرحل أهل الشمال للجنوب، وحينا بالعكس، وهكذا.. وهذا ماكان بالنسبة لأحد أبناء بادية جنوب الجزيرة، رحل ومعه أبوه شيخ كبير وكل أهله لطلب المرعى لماشيتهم.. ولما استقر به القرار في البقعة التى يلائم كلؤها ماشيته.. جعل يتقفر الأرض، ويصطاد بطيره من صيدها، ويروح الى أهله حاملا ما معه من صيد، عارفا بما يمكن أن يكون أطيب مرعى لماشيته ليوجهها له غدا.

ولقد التقى بشاب من أهل هذه البقعة بدو الشمال، كل منهما يحمل طيره ويصطاد به، فتحادثا وتذاكرا في المراعى والصيد، وما اليهما.. فرأى الشاب الشمالى أن الطير الذى يحمله الجنوبى صغير، ولم يتوسم فيه الشجاعة والفراهة في الصيد، فقال: ألا ترى أن نكون اليوم في صيدنا شركاء، أصحابا في قنصنا، نكتفى بما يصيده طيرى؟. أما طيرك أيها الأخ الجنوبى فسنريحه هذا اليوم.. فوافق الجنوبى على اقتراح أخيه.. فقنصا وأمعنا في القنص، وأوسعا حقائبهما بأنواع الصيد.. ولما أخذا مكانهما الذى سوف يتغديان فيه ويستريحان، وقد غفلا عن

طيرهما.. انقض طير الشمالى على طير رفيقه فمزقه، ولم يتنبها الا وهو مزق على الأرض.. فأبدى الجنوبى أسفه على طيره، فقال الشمالى ولماذا وهو ليس بكفء لهذا الأسف؟، قال: ان خلفى ابا هو عنده بمنزلة أحد أولاده.. فقال الشمالى:: خذ طيرى مكانه.. فأبى.. ثم عزم عليه، وقال: اذا لم تأخذه قتلته.. فأخذه الجنوبى، وافترقا.. وكل ذهب الى أهله بجزء من الصيد.. فأما الشمالى فقال لأبيه: ان الطير ضاع، وأما الجنوبى فأخبر أباه بكامل القصة.. فتأثر أبوه، وقال: يابنى هذا طير لايسخى به أبدا فاحمله الآن واذهب الى أهله، وقد مضى هزيع الليل الأول وستجد صاحبه الشيخ سهران ندما على طيره، ستجده موقدا ناره يتلوم حولها فبشره بطيره، واعطه اياه مهما حاول أو حاول ابنه أن لايقبلاه.. فذهب بالطير واستدل على العرب بالنار الموقدة الساهرة، ولما قرب منها وجد الشيخ حول ناره يحشها و يتغنى حولها بر بابته، و يقول:

تَطَلَّعَوابَانْظَارِكُم يَامَدَاوِير   لِلاَشْقَر اللَّى بانْيَسَر الجَو حَامِى(١)
غَدَنْ بِه بِرْق النَحُور المَعَاشِير   وابعد سِمَامَة عن مُقَابَل سِمَامِى(٢)
وَاطَيْرِى اللّى كِن عَيْنَه سَنِى كِيْر   حَاطُوم ماتَبْرِد كُفُوفِه دَوَامِى(٣)

(١) تطلعوا بانظاركم : اتجهوا. يامداو ير : ياباحثين. للاشقر: للطير الاشقر الملحم الذى يقتل الصيد.
(٢) غدن به: ذهبن به. برق النحور : الحباري . المعاشير : زمن تعشيرهن. سمامه : منظره.
(٣) واطيري : تحسر. اللي : الذى. كن: كأن عينه سنى كير: ضوء كير. حاطوب : شره. ماتبرد كفوفه: ماتنى كفوفه صيدا.

وِش عَاد آمَارِى به جمِيْع الصَّقَاقِيْر   عِقْب أشْقَر عَذل الجَنَاحَيْن شَامِى(١)

كِـنـه غُـلاَمٍ فَـاشِـحٍ لـه على بِيْر   مِتْمَشْلِحٍ يَسْقِـى قطِيْع ظوَامِى(٢)

فـأقـبـل عليه وقال: ابشر بالطير، فقام من مقعده نحوه فرحا، وقـال: أبشر بحصان بشارتك فيه.. فأبى هذا أن يأخذ الحصان، فقـال لـه: اذا لم تأخذه ذبحته.. فعاد الجنوبى بالحصان لأبيه.. فقـال لـه أبـوه: وهذه أعظم من الأخرى، فقال: عد به.. قال: ان عدت به ذبحه.. فقبله الشيخ على مضض.

فـهـل نـعـجب من الابن، أو الأب، أو من قيمة هذا الطائر لدى العربى المولع؟!. كلها تستدعى العجب.. ولكن اذا عرف السبب بطل العجب.

(١) وش عاد امارى به جيع الصقاقير: ماالذي بقى لدى امارى به القناص بعد هذا الطير الذى فقد.

(٢) كنه : كأنه. غلام فاشح له على بير : شاب يجذب الماء من البير. متمشلح : متحفز. قطيع : من قطعان الابل الظمأى.

أعاد سيرة حاتم .. !

مرت على قلب جزيرةً العرب أحداث ومكاره وسنون عجاف، لايتصورها الا من أدرك واقعها.. وبضدها تتبين الأشياء.. لهذا فلندرك أن الواقع الذى نعيشه الآن في قلب هذه الجزيرة من الأمن والرخاء والمعرفة.. واقع نادر جدا ماعرفته هذه الجزيرة أبدا.. ولايدرك فضله الا من عرف ضده.

في سنة من السنين الغبر تلك.. أغير على الأحساء ودوهمت في حالة غرة، فنهبت، وانتقل الطمع من قبل المغيرين من المال الى المحارم، ففر الحرائر بأعراضهن يهمن في البرارى والفلوات، واتجهت زمرة منهن جنوبا هائمات، لايدرين الى أين يتجهن، وكان الوقت شتاء فمضين يطوين الأرض على غير هدى يومهن ذلك وليلته وثلاثة أيام بلياليهن، لايطعمن الا ورق الشجر.. وفي الليلة الرابعة سمعن نباح كلب عن بعد، فاتجهن شطره، ليفضى بهن السير الى خباء في جوف الرمل، أهله نائمون، وليس أمامه الا مطية واحدة، فدخلن جانب البيت حيث مكان القهوة وموقد النار.. فجعلن يحرثن موقد النار ليصطلين على بقايا جمر به.. فقالت احداهن: احللن احزمتكن عن بطونكن، والقين الحجارة منها.. فانهن قد حزمن الحجارة على بطونهن لتحمل احشاءهن

لئلا يسقطن من شدة الجوع.. فقالت الأخرى: لا.. اتركن الحجارة مكانها، فلعل الله يهيء لنا مايمسك أحشاءنا بدلا عنها.

كانت هذه المحاورة الهامسة تلتقطها اذن صاحب البيت محمد بن سندا المرى.. الرجل الخيار الكريم الشهم.. ليقول لامرأته ماذا عندك تقدمينه لهن يسد رمقهن هذه الليلة.. فقالت: أنت تعلم أننا منذ أيام لانأكل الا من لحم الصيد، بسبب هذه الفتنة التي حالت بيننا وبين الأحساء للامتيار منها، والبيت خال كليا من أي شيء.. فانسل من فراشه ليأخذ سكينه ويعمد المطية التي يستقون عليها، وتقضي نائبتهم وحاجتهم ليغمد سكينه في نحرها، ويكشط جلدها عن سنامها ورقائق لحمها.. في حين كانت المرأة قد أوقدت النار، ونصبت القدر، واهتمت بشأنها.. فاطعمهن تلك الليلة، وأزال جوعهن ولم يزلن مجاورات في بيت محمد بن سندا حتى انقشعت الظلمة وانطفأت الفتنة، وهي ماتسمى حتى الآن بسنة الصيحة.

وفي ذلكم درس وعبرة بماضي هذه الجزيرة المؤلم، وببقاء الأصالة العربية والمروءة متسلسلة في أجيالها.

ابن قَنّور ..؟

(علي) بن قنور من اسرة تتوارث خصال الخير والكرم ومكارم الأخلاق أصحاب العين المعروفة في منطقة (السر) من نجد، تضاف اليهم فيقال: (عين ابن قنور)، وهى الآن بلدة يمرها الطريق المؤدى الى القصيم عن طريق السر.. وكل قرى قلب الجزيرة يتسابقون في الجود، ويتنافسون في الخير، يأبون الا عاداتهم العربية الأصيلة، وسلوكهم العربى المعروف.. وليسوا يصدرون في كرمهم عن بسطة في اليد، ولاعن سعة في المال.. فهو يقدم كل مالديه، وان لم يجد استدان أو اقترض في سبيل المحافظة على المبدأ، واستكمال وسائل الشرف.

مر أحد أمراء الخليج الكبار أيام كان الحج على الهجن.. مر بعين ابن قنور، وبات قريبا منها ليتزود ركبه بالماء، ويستأنف سيره غدا ولما آنس به ابن قنور قال لأبنائه: افردوا هذه الذبائح من الغنم، وأنا سوف أذهب للرجل أدعوه للعشاء عندى، لأننا لانبيح لمثله أن يكون من قريتنا بهذا القرب، اذ هو عنهم مرمى الحجر أو مزجر الكلب، ومع ذلك يوقد ناره ويعمل غذاءه هو ومن معه.. هذا عيب.. قال لأبنائه: اذا رأيتمونى أقبلت نحوكم فاسرعوا في ذبح الذبائح، وان رأيتمونى أومأت لكم فأتونى بها.

ذهب اليه ودعاه.. فاعتذر بأننا لسنا ضيوفا، وانما مارة، وليس لنا عليكم حق.. فأراد ابن قنور أن يقنعه بوجهة نظره التى أشرنا إليها آنفا، ولكنه لم يقنع.. فقال ابن قنور اذا لم ترد أن تأكل دعوتنا فاننا نقدمها لك لتتولوا ذبحها وتدبيرها أنتم، والح فقبل الأمير على أساس أن يأخذها و يعوضه عنها فأومأ الى أبنائه فجاءوا بالغنم وسلموها للجهة وانصرفوا، فنادوه على أساس أن يعوضوه فلم يجب، و بعث الأمير بالعوض مع أحد رجاله ليسلمه له فأبى، وقال له أنه لايرضى أن يتحدث الناس بأن ابن قنور أخذ ثمن ضيافته.. ان هذه تهدم سمعة بنيت منذ عصر الأجداد، فلايكلفنى مالاأطيق.

وهكذا تتحكم العادات الكريمة، والصفات المثلى في العرب، توارثها الخلف عن السلف، واوصى بها الجد الحفداء.. لازال الخير فيهم وبهم.

فخر وشجاعة

بداح العنقري

العناقر أسرة تميمية كريمة من بنى سعد، كانوا سابقا أمراء (الوشم) الأقليم المعروف في نجد، وكان مركز امارتهم ثرمداء، وفيهم فوارس وشجعان، منهم بداح العنقرى، الذى كثيرا مايتبدى أو يقطن البادية زمن الربيع، وله ولع بالصيد.. وكثيرا مايتقفر الأرض على جواده، ولقى يوما فتاة مليحة من عرب يقطنون حوله، فجرت المداعبة بينها وبينه، وتبودلت عبارات عفة وحكايات لطيفة، وكان هذا الفارس حسن الهندام، جميل المظهر، فاره الشباب.. وكان العربيات لايؤخذن بشيء مثلما يؤخذن بالفروسية والشجاعة فهى تستهوبهن وتاخذ بألبابهن، وهن يرين أن الحضرى دون البدوى في الشجاعة والفروسية.. فغمزت الفارس بداحاً وقالت له: ان الحضرى زين تصفيح: أى حسن المظهر والعرض، أما الشجاعة فهى للبدوى.. فضحك منها وأخذها في نفسه، ولم يمض أيام حتى أغير على عرب هذه الفتاة من قبل (الفضول)، وكانوا آنذاك يحتلون قلب نجد.. فأخذوا ابل فريق الفتاة، وأباحوا مضاربهم.. فنهضوا للدفاع، ولكن غلبتهم الكثرة، وظلوا معهم في مساجلة حربية حتى سمع جارهم الفارس بداح العنقرى لجبة الحرب، فامتطى جواده وجاء

مسرعا فازعا لجيرانه، فضرب الخيل عرضا وأوسعها طعنا وضربا حتى أستردوا أموالهم، وغنموا ماغنموا من المغيرين.. وكانت الفتاة تشاهد الفارس العنقرى وهو يكر ويفر، ويقبل ويدبر، ويجتال الخيل أمامه.. فكانت تلوح له بخمارها ندبة المعجبة المزهوة بفعل الحضرى زين التصفيح حسب قولها أولا.. ولكنها الآن أيقنت بعكس ماقالت.. ولما وضعت الحرب أوزارها عاد بداح العنقرى الى مضربه وهو ينشد:

آللّه لَحَد يَاماغَزينا وَجينا	ويامارَكبْنا حَامِيَاتِ المَشَاويح(١)
وَيَاماعلى كِيرَانِهن اغتَلينا	ويامارَكِبْنَاها عِصِيرٍ مَرَاوِيح(٢)
ويامااتّعَاطَت بالهنَادِى يَدَينا	وياما تَقَاسَمْنَا حَلالِ المَصَالِيح(٣)
وَرَاكْ تَزْهَدْ يَارَيش العَيْن فِينَا	تَقُول خَيَّال الحَضَر زَيْن تَصْفِيح(٤)
تَرَا الضَّفَر مَهُوْبِ للظَّاعِنِيْنا	قَسْم وهو بين الوَجِيْه المَفَالِيح(٥)
البَدُو واللّى بالقُرَى نَازِلينا	كِل عَطَاه اللّه مِنَ هَبَّةِ الرِّيح(٦)
يَوم الفُضُول بِحِلتِيك شَارِعينا	والشَّلف يَنْحَوْنك سواة الزّنَانِيح(٧)

(١) الله لحد : كلمة تأسف. ياما: كم من مرة. حاميات المشاويح: سريعات العدو.
(٢) كيرانهن : جمع كور وهو قتب الراحلة. عصير : وقت العصر.
(٣) تقاسمنا حلال المصاليح: تقاسمنا المال نكسبه من الاعداء المصلحين فيه.
(٤) وراك : لماذا. ياريش العين : يامن عيونه ذات هدب كأنها الريش. خيال الحضر: فارس الحضر جيل المنظر بارد الحضر.
(٥) مهوب : ليس. قسم: قسمة بين الحضر والبدو. المفاليح : الموفقين.
(٦) هبة الريح : الصفات الحميدة وهو تعبير يقصد به المدح.
(٧) (الفضول): احد بطون (بنى لام) الثلاثة وهم : فضل، وكثير، ومغيرة. وكان لهم شأن كبير في نجد آنذاك.

يوم انجمر رُمْحِى خَذَيْت السَّنِيْنا	وَادْعيْت عنك الخيل صُم مَدابِيح[1]
يـاعُـوْد ريحـانٍ بـعـرض الـبَـطِيْنـا	وَامْنيْن ماهَب الهَوَى فَاح له رِيْح[2]
وانـهُودَها اللّى مالَـهَجْـهَا الـجَنِيْنا	حِـمْرٍ ثَمَرْهِن تَجْرَح الثَّوْبِ تَجْرِيْح[3]
لاخُـوْخ لارُمّـان لاهُـوْب تِـيْـنـا	لامِشْمِش(البَـصْـرَة) ولابِالتَّـفَافيْح

الـى آخـر مـاجـاء في قصيدته من فخر يصدقه الواقع، وغزل يذوب رقة وسلاسة وعذوبة.

---

(١) انجمر : انحطم. خذيت السنينا : السيف. وادعيت : تركت. صم مدابيح : موليات.

(٢) ومن اين : ومن اين.

(٣) اللى مالهجها الجنينا : مارضعها الطفل.

أَحْلَىٰ .. وأمَّــر .. !

ابـن عـبـيـكـة من شمر، منزله على مجتمع طُرق شمال مدينة حـائـل مـشـهـور بـالـكـرم، ومكارم الأخلاق، واكرام الضيف.. وبـيته دائما مجتمع للأضياف من شتى القبائل، رجل الى جانب كـرمـه لطيف المعشر، حلو الحديث، يحسن الاستماع اذا حدث، ويحـسـن الـقـول اذا حـدث.. وكـثـيـرا مايمر عليه اسم رجل من الـشـعـلان شـيـوخ الـرولـة، اسـمـه محمد بن معبهل، ويذكر لديه بـالـفـروسـيـة، والـشـجـاعـة منقطعة النظير، الى جانب علو بيته، وسـمـوق شـرفـه.. فـيـتـمـنـى ابن عبيكة أن يمر عليه هذا الرجل ليتعرف عليه، وليأخذ من قصصه وأخباره، وليحظى باكرامه.

ولم يـلـبـث حتى مر عليه فأكرمه، وبالغ في اكرامه، واحتفى بـه، وعبر حـديـثـه الشيق معه قال له: اخبرني يامحمد عن أحلى مـامر عليك وأمره.. فقال: هل تصدق ان أحلى مامر علي وأمره في حـياتي وقع في ساعة واحدة!!.. وكيف؟، قال كنت نازحا عـن قـبـيـلـتـي، مجـاورا لـدى شـيـوخ الفدعان.. ولم تزل الأخبار تـتـرامـى اليَّ ان فـلانـة بـنـت ابـن مـهـيد أملح ماخلق الله من الـفـتـيات في جيلها يخلعون عليها من الصفات الجميلة، ويعطونها مـن مـقـومـات الحـسـن، ومزهوات الجمال مايرشحها لملكة جمال

ذلك الزمن.. فكنت أتمنى رؤيتها، فلم يتسن لى ذلك.. فكانت قليلة الخروج غير متبذلة، وكانت أيضا ينقل الّي أنها تتمنى رؤيتى.

وفي يوم أغار شمر عليهم ففزعوا الى خيولهم وامتطوا صهواتها، وانطلقوا للدفاع، وقد تريثت عنهم لأمر ما، وعندما تهيأت ولبست سلاحى، وركبت جوادى استعدادا لمصاولة الفرسان ومحاولتهم، والنساء والحالة هذه قد ذهلن الجلابيب، وسفرن عن وجوههن.. واذا بالفتاة الحسناء الجميلة صاحبة الذكر الشائع، والجمال الرائع تخرج سافرة حاسرة، يكسوها معثكل أشقر يغطى اردافها، وتحيله عن وجه مستدير كأنه فلقة قمر، وعينان ذواتا هدب وارف، اذا غضتها غطيا نصف الخدود، واذا نهضتها اختفيا فوق عينين تستبدان بكل النظرات، وجسم بض غض معتدل كغصن الاراك.. واذا هى تندب، وتشجع، وتحث الفرسان.. فعطفت جوادى نحوها وطلبتها ماء، فأسرعت وأتت بحليب، وبادلتها نظرات فاحصة والهة، فكانت هذه أحلى ساعات عمرى.. وهذبت فرسى وقلت لأفعلن اليوم فعلا لم أفعله في عمرى لعيون هذه الفتاة، لعلى أزداد عندها حبا، وأحظى منها بالحب والعطف والرضا.. فركضت فرسى نحو الخيل واذا بفارس يجتال خيلنا يمنة و يسرة، و يصوعها صوعا، وتذهب من طريقه مجفلة نافرة.. فلما أقبلت أشار الى القوم بأن آخذ حذرى من الفارس، وأن لاأتعرض له ولاأجاوله.. فهو

الفارس الفذ، والشجاع المغوار (بُنَيَّة الجربا) ماكان لفارس أن يقف في طريقه وماكان لمتهور أن يقاربه، ولكن غروري من ناحية ومحبتي في أخذ سمعة أمام الغادة الجميلة هما اللذان دفعاني لأن أوجه جوادي نحوه، وما أن رآني حتى انقض علّي انقضاض العقاب.. فارهبني، وبهرني، وما تمالكت أن فررت أمامه فرار النعامة، موجها تلقاء البيوت على غير هدى، وهو يلحني لحا، و يزيد خفقان قلبي بزئيره وصوته الجهوري الأجش، وعدو فرسه المريع.. ولولا أن جوادي لم ينهكها الطراد بعد لأكلني في الحال، ولكن شاء نصيبي التعس أن تنصب جوادي على بيت الغادة الجميلة، ولما قربت من البيت تقهقرت فرسي ليطلق الفارس رمحه على فيشك فخذي على جنب الفرس، ونخر معا صريعين، اتبع ضربته هذه بنخوة كانت ترن في اذن الفتاة لتعرفه، وتسارع في اعطائه ماء ليشرب بعد أن طلبه منها.. فكان حليبا رآه بعد مامسح شفتيه قال: ويلك انها خدعة، والعرب اذا شربت لبن ابل لاتبيح لنفسها أخذها أبدا فنكص واعاد عليها ابلها كاملة.. أما أنا فظللت أئن وأتشحط في دمي، وتنظر الفتاة الّي بعين الرحمة والاشفاق، بعد أن كانت تنظر الّي بعين الزهو والادلال.. وكان هذا أمر شيء مر علي.. أرأيت كيف وقع هذا لي في ساعة واحدة؟.. إنها الأقدار تجري بما لم يكن في الحسبان.

غَفْصَة ..

هذا هو الاسم الذى اختاره أحدهم عندما جلا عن أهله، وتنكر ولبس مهلاهلات الثياب، (وتدروش) وسمى نفسه بهذا الاسم (غفيصة) الى جانب أنه دميم المنظر، قزم لا تطمح له الأعين، ولايلتفت اليه النساء.. التجأ عند فريق من البدو، وجعل يتقفر بيوتهم، ويتتبع موائدهم، ويبقى حيث طاب له المقام.

ومرة صاحب السرح وفيه البنات الحسان، ومعه شاب ذو نضارة ووسامة وجسامة.. يتزيا أمام البنات بزى جميل، ويتحلى ببندقيته الجديدة.. وكانت البنادق آنذاك نادرة، وكانت الواحدة غالبا تحمى الفريق اذا كانت مع شجاع قلب.. لأنه لاسلاح في ذلك الزمن الا السيف، والرمح، والخنجر.. فيدنو هذا الوسيم من الغانيات، فيعابثهن، ويمازحهن، ويغازلهن.. واذا دنا منهن (غفيصة) حثين عليه التراب، وقلن: (قم حول الغنم افترقن مع اعوج رجليك).. دعاء منهن بالفراق بينهن وبينه.. فيأخذها ضاحكا، وينفذ ماأمرن به.. ولم يشعرن الا بغارة شعواء شنت عليهن لأخذ الماشية.. ولما رآها الفتى الوسيم فر فرار النعامة، وترك الماشية وصويحباتها.. فانقلب

(غفيصة) الى وضعه الطبيعى، ولحق بالشاب الوسيم وأخذ بندقيته منه غصبا، وعاد كالوحش الكاسر يذود دون الماشية ورعاتها، ويصرع هذا، ويجرح هذا، ويقتل فرس هذا حتى ارجعهم على أعقابهم خائبين وساق الماشية وأهلها الى مضاربهم وهو يقول:

يَابِنْت يَاللِّي غَرَّها زَيْن عَشَّاق	وَرَاه مَافَكَّكْ ولو كان به زَيْن(١)
يَقُوْل رِدْ الضَّيْن يَاعِيْوج السَّاق	وَانَا حَلِي مِسَلْوَعَات السَّرَاحِيْن(٢)
يَامَا ثَنَيْت السَّاق من فَوْقَ الاَوْسَاق	عَسَّاس بَدوٍ عِقْب الاَمْحَال مِنْحِيْن(٣)
ويامَارَكِزْت السَّاق مَع دَرْب الاَسْرَاق	وَاثْنِى خِلاف الرَّبْع والربع مِقْفِيْن(٤)
ويَامَا حَمَيْت بِنْدِقِي كِلْ مِشْفَاق	وَادَّيْتِه أمَّه والطَّلَب مِنْه مِشْفِيْن(٥)
وكم هَجْمةٍ يَطْرَب لها كِل مِشْتَاق	شَلَغْتَهَا بِالليل والناس نِيْمِيْن(٦)
وغَدِيْت لِى مع ظلمةِ الليلِ بِنْيَاق	وَاخطَا طَلَبْها بَاشمِرِ اللَّيل غَادِيْن(٧)

وهكذا تفصح الشخصية عن نفسها، وتشف عن جوهرها.. فالرجال لايكالون بالاصواع، والمرء باصغريه قلبه ولسانه.

---

(١) باللي : ياللتي. زين عشاق : مظهر عاشق. وراه مافكك: لماذا لم يحمك.

(٢) رد الضين : حافظ على الغنم. ياعيوج الساق: ياأعوج الساق. حلي: شبه. مسلوعات السراحين : رشيقات الذئاب.

(٣) ياما ثنيت الساق من فوق الاوساق: كم ثنيت ساق . . . اكوار المطي غازيا أو مسافرا. يمدح نفسه بكثرة والاسفار والحركة في طلب العز. عساس : رواد.

(٤) واثني خلاف الربع : أحمي مؤخرة الركب درب الاسراف. طريق المتلصصة.

(٥) كل مشفاق: كل خرع. واديته امه : اوصلته اياها.

(٦) كم هجمة : كم قطعة من الابل. شلعتها : اخذتها ندلا.

(٧) غديت : ذهبت. واخطا طلبها: وفت من يطلبها.

يَعُدُ مَفَاخِر قَوْمِه !

لم يزل الشعر سجلا حافلا لتعداد مفاخر العرب ومآثرها، يفزعون اليه في المنافرة والمكاثرة، و يتخذونه سلما لسرد مواقفهم المشرفة وأفعالهم الكريمة، منذ أن كانوا يقصدون سوق عكاظ بنوابغهم واعلام الشعر فيهم، ليقفوا هنالك أمام الجمع الحاشد، و يرفعوا عقائرهم بديج القصيد وفحل القول.. ولم تزل هذه سنتهم، وتلك هجيراهم.

هذا فالح بن حثلان السبيعي يعدد مآثر قومه ومفاخرهم في هذه القصيدة:

لِى عِدَّت فُعُولِ القَبَايِل والافْخَار   لَنا من النَّامُوس مَثْنَى ومَرْبُوْع(١)

فُعُوْلٍ عَسْرَاتٍ على كلْ مِخْتَار   نَهُوْم للعِلْيا بِشِيْمَات وطُبُوْع(٢)

قُوْمٍ لجَوْ بِفهِيْد عِفْنَاهُم جِهَار   شِيْمَة عَرَب وارجال والكذب مَرْفُوْع(٣)

غَدَوا على قبره كِمَاوَصْف خِطَّار   قِلْنَا تَرا ماعِنْد هَلْ القبر مَمْنُوْع(٤)

---

(١) لي عدت : اذا عدت. فعول : فعال. مثنى ومربوع. مثنى ورباع.

(٢) عسرات : صعبات. نهوم للعليا: نرومها. طبوع : طباع.

(٣) لجوا : التجأوا. عفناهم : تركناهم.

(٤) غدوا : صاروا. خطار : ضيوف. ترى : ان. ممنوع : سالم.

بَنى عُمَر بالله لهم حَظ وأنصَار	شَرٍ على اللّي يَلْبَس الجَوْخ واذْرُوْع (١)
ورَشْدَان مِنَّا طَيِّبِ الرأس وَأخْبَار	لايـابَـعَد مَن هو هَذُوْرٍ وَبَالُوْع (٢)
عَبدٍ لِعَمَّه لِيْن حَوْل السَّنة دَار	مانَكَّلَه طَرْد المَعَاشِيْر وافْزُوْع (٣)
كَم مِشْعَل في سَاقِتِه جَاله آنوَار	فَجَّاى غِرَّتُهُم الى جاهم هُجُوْع (٤)
ومِنَّا السُّمَيْحِي حَظ له قِيْل وَاخْبَار	جَايِب خَوِيّه مِن خَطَر مِظْلِم القُوْع (٥)
ذَبَح ذَلُوْله خَايِف يَلْحَقِه عَار	وجِلْده سَرِيْح وحَظ ثَوْبَه له شُمُوْع (٦)
ومِنَّا الصَّبِي ذَابح أخُوْه بِلجَا الغَار	من دوْن وَجْهِه عِقْب اللَّوْم مَجْدُوْع (٧)
وسُلْطَان جَارَ الله مُتُونه مِن النَّار	شَايِل خَوِيّه لِيْن سَرَّب على الكُوْع (٨)
ومِنَّا (على) مِدِّي من الهجن مِشْكَار	في ملحة ماهي تَهَجِّي عن الجُوْع (٩)
حِنَّاهَل المِلْحِة وحِنَاهَل الكَار	مَن مِثْلَنا يدي بِها رَجْل جَرْبُوْع (١٠)
وفِنْجَال بُنَ شَارِبه وَاحَدٍ ثَار	فِنْجَال بَاسْبَابِه حَصَل ذَبْح وافْجُوْع (١١)
وشَرْبَة من الماء أدَّى بِها جِل وَابْكَار	مثَار رَبْع يَابِعَد كِلْ مَنْزُوْع

---

(١) بني عمر : احد رافدي قبيلة سبيع الكبيرين. اللى يلبس الجوخ: الشجعان من الاعداء.

(٢) طيب الرأس : كناية عن طيب الفعال. بالوع : مشوه.

(٣) لين : حتى. المعاشير : الابل العشار. وفزوع : القوم يخفون في طلب الاعداء.

(٤) مشعل في ساقته : المشعل: النار توقد مع الركب ليهتدى بعضهم ببعض عند السرى. في ساقته: خلفه. فجاى غرتهم : مفاجىء للاعداء.

(٥) حظ: جعل. جايب خويه : مخرج صاحبه. مظلم القوع : قعر الدحل.

(٦) ذلوله : ناقته. سريح : جعل ثوبه بمثابة شمعة من اجل يهتدى له صاحبه الذى في قعر الدحل المظلم.

(٧) من دون وجهه : دون عرضه. عقب اللوم مجدوع : حتى لايأتي امرا يلام عليه.

(٨) شايل خويه : حامل صاحبه. سرب على الكوع : هلك.

(٩) مدى : مؤدى. مشكار : نياق أصيلة. في ملحة: في مذاق. تهجي : تفيد. الملحة : المذاق اذا طعم منه عدو من اعدائه فن العيب أن يرزاهم في مالهم نهبا.

(١٠) لوكانت الملحة رجل جربوع : يربوع. أو فنجان قهوة أو شربة ماء. ثار فيها: من أجلها. منزوع : من نزع منه اخيه.

حَطّوا بِها مِلْحٍ ولاَ مِثْلَها صار   والمى من كل المَشَاوِيْه مَمْنُوْع

بَنِـي عمر يَدُّوْن بِاكْبَار وصغار   ووجِيْهَهَم ماتَغطِى البَطَن مَنْفُوْع (1)

قَصِيْرَهم لو وُخْذ مَعْهُم وهوجَار   يَغطِى عِرَاف الجَار مَهْوْب مُمْنُوْع (2)

أيضا وحُرْمَتْهُم هاسَلْمِ قد صَار   تَغنى مِن الآجْنَاب سِلْفَان وانْجُوْع (3)

عدد في هذه القصيدة.. جملة من المآثر التى عرفت عن قبيلة سبيع، واشتهرت بها، وهى — بحق — مجال فخر واعتزاز.. ولشاعرهم ابن حثلان أن يرفع رأسه بهذه الفعال الجميلة والمواقف المشرفة.

ذكر فيما ذكر أنهم أجاروا الركب المنهزم الذى التجأ الى قبر فهيد الصييفى، وكان فارسا مغوارا، وذا مكارم أخلاق.. فهو لايأخذ السقاة والرعاة، ولاحملة الغذاء والكساء، و يقول هذا فيه انقاذ للناس، ويجب أن يتحاماه كل من لقيه لئلا تتعطل الدروب، وتنقطع الحسنى بين الناس.

وذكر عن رجل آخر منهم يدعى السميحي.. سافر مع صاحب له من قبيلة مطير ففرغ ماؤهما وأدركهما العطش.. فلجأ الى دحل من دحول الصمان يختزن الماء.. وهو تجو يف عميق

---

(1) يدون : يؤدون. منفوع : نفع.

(2) قصيرهم : جارهم. وخذ : أخذ.

(3) حرمتهم : امرأتهم. سلم : طبع. الأجناب : البعيدين نسبا. السلف والنجع : جماعة البادية يتفقون في المضرب والمسير.

يخترق قشرة الأرض، و يوغل في الانحدار، متعرجا الى مئات الأمتار، وهنالك يفضى الى طبقة صخرية صلبة لايخترقها الماء.. فتكون محلا لتجمع الماء بصفة دائمة في الأغلب.. وعندما تشح الأمطار، ولايوجد الماء إلا في قعر هذه الدحول، فتكون متاهات لما فيها من مغارات متعددة، وتجاو يف وسراديب يظل داخلها يلتمس الماء.. وكثيرا ما يهلك لأنه يسير في ظلمة، ولايهتدى الى طريقه الذى سلكه أولا..[1] وهنا و بعد أن ورد السبيعى والمطيرى على هذا الدحل.. خيره السبيعى بين أن يبقى على فوهة الدحل لحفظ الركاب والمتاع، أو أن يلج ليأتى بالماء.. فاختار أن ينحدر في الدحل.. فانحدر وتاه وظل يومين وصاحبه السبيعى على أحر من الجمر حرصا عليه مع ما يقاسى من شدة الظمأ.. وعندها التجأ الى حيلة ربما تكون منقذة للجميع.. فذبح راحلته وسير جلدها سيرا واحدا، واخذ من شحمها.. فأذابه وقد قميصه فغمسه في الودك ليكون بمثابة الشمع، ولما جمد أوقد في طرفه النار، وانحدر بهذا السير الطويل، وهذا الودك المشتعل، وظل يتقفر مغاور هذا الدحل وسراديبه فترة طويلة حتى سمع نأمة بعيدة جدا في عمق الدحل.. أدرك أنها نأمة صاحبه، ولم يزل يتجه شطرها حتى وجده.. فأخرجه وركبا راحلة المطيرى بنفسيهما.

---

(١) لقد انحدرت في أحد هذه الدحول وهو دحل (المشامي) ولم اخرج منه الا بعد مايقرب من ثلاث ساعات بقليل من الماء مع رفقة لي هم : منصور ابا الديان، ومحمد بن علي غلام لابن حشر، وسعد الحطيم الدوسري.

وهكذا كل ماعدده ابن حثلان في قصيدته من هذا النوع، مما سجل خالد لهذه القبيلة.. وذكر حسن لها.

وانما المرءُ حديث بعده   فكن حديثا حسنا لمن وعى

عُقَابِ العُـوَاجِي .. وفهيدْ الفُوارِي.. !

الأول من أشهر فرسان عنزة، ان لم يكن اشهرهم.. والثانى مـن أشـهر فرسان شمر، ان لم يكن اشهرهم. والعداء آنذاك بين الـقـبـيـلـتين على اشده.. والقبيلتان متجاورتان، وكان منزل شمر هـذه المرة على (حفيرة الشقيق)، ومنزل عنزة على (بيضا نثيل)، وكـان كـل مـن الـقـبـيـلـتين يرعى ابله في اتجاه غير اتجاه حدود الآخـر.. فـيـبقى مابينهما خصبا لا ترعاه الماشية.. إلا أن الشجاع فهيد الفوارى الشمرى لايعبأ بما يخاف منه الآخرون، فيرعى ابله قـريـبـا مـن جهة قبيلة عنزة.. وقد أغير عليها عدة مرات، فيصد الـغـارات بـثـقة وشجاعة واعتداد بنفسه، ولتحظى ابله بهذا القفر الـذى يـتحاماه الآخرون.. فقيل للفارس عقاب العواجى العنزى أن هـذا مـايـفـعـلـه فهيد الفوارى، قال هذا استخفاف بنا، وقلة تـقدير.. فأشرف ذات يوم على جبل يقال له (ساق) شرق بيضا نـثـيـل لـيـرى ابـل الـفـوارى مـنـبثة هنالك كأنها المرو فهى ابل (مـغـاتير).. فـاغار عليها عقاب وحده، وبعد تجاول قليل أكدت فـرس الـفـوارى أو حـصـرت، والحصر عـقـل يـصـيـب الفرس أو غـيـرهـا.. فـيـقـال حصر اذا وقـف ولم يـسـتطع المشى، والبادية

تسميه: (قَطِي)، فيقال قطت اذا احتقنت بالبول ولم تستطع العدو.

وعندها اسره عقاب، وأخذ فرسه، واستاق ابله.. إلا أن الشجعان عادة ذوو مروءة وشمم ونفوس كبيرة، فعفا عقاب عن الفوارى، ورد عليه جميع ماأخذ منه، وقال له: بعد هذه لاترعى ابلك في هذا الاتجاه، وبعدها نكل فجعل يرعى ابله في اتجاه آخر، وقال: لايزال حظ عنزة يغلب حظنا، وسوف لاساكنه بعد في بلاد حتى فرسى يصيبها فيها ماأصابها، وأنشد:

الدِّيْرَة اللّي بَه تَخَمْر الكُحَيْلَةِ ماعَاد تَسْوَى عندنا شِرب غِلْيُوْن

مَاهِى لَنا، دِيْرَة(عِقَاب)و(سُعْدُوْن) مااقعد بهايا وَالدِى رِبْع لِيْلَة

كَمْ واحدٍ من حَرْبِتَه طَاح مَطْعُوْن فيها(عُقَاب)الخيل يَلْمَع صَقِيْلَه

وبهذه المناسبة قال سعدون العواجى يفتخر بفعل ابنه عقاب، ويذكر هذه الحادثة:

(عُقَاب) حَقّْ الطَّلْع من رَاس مِرْقَاب خَم الفُوَارِى يَوم مَاح الجَنَاحِيْن[1]

وقَبْلَه عَنَا بِجْمُوع قَوْمٍ قَوِيْن[2] جَلاّه مِن(نَجْدٍ)على غِير ماطَاب

(١) حق الطلع : حق النظر. مرقاب : مرتفع. خم الفواري : خطفه. ماح الجناحين: أهوى بها.
(٢) جلاه : أبعده. غيرماطاب: غير ماأراد. عنا : عبث.

له مِخلَبِ مايَقْدِرَه كِل مِخلاب   لِيْث اللّيُوث الهَايِجَة بِالاكَاوِين[1]

نَجْمَه طَلع وفهيد نجمه عِنه غَاب   ماأسِب ذِيْب الخيلِ مِيْر السّعَدزَين[2]

تَعِيْش ياعِقَابِ ذعرخيل الأجْنَاب   أهل الرَّمَك من سَطْوَته مِسْتَخِفِين[3]

سَيْفِه بِهَامَات المَنَاعِيْر قَصَّاب   عَوْق الخَصِيْم الى تَعَدّى القَوَانِين[4]

وان جانَهَار فيه وَقْفَات الأشْنَاب   بِيَوم بِه يَثَارُوْن طَلاَّبِه الدَّين[5]

يَلْكِد مَلاكِيْدِ لأبَا زِيْد وذِيَاب   لَيْث السَّبَايا مَاضى له بَرَاهِيْن[6]

انْ مَد ذيب الخيل للسّرْح جَنّاب   نَامَت عيون اهل الدِّبَش مُسْتَرِيْحِين[7]

وَحِنَّا تَنَام عيونا في ذَرَى عقاب   وَاضْدادنا مِنَّا يَبَاتُون سَهْرِين[8]

---

(١) الاكاوين : المعارك.

(٢) مير السعد زين : لكن التوفيق له دخل كبير.

(٣) ذعر خيل الاجناب : مفزع فرسان الاعداء. اهل الرمك : اهل الخيل.

(٤) قصاب : جزار. الخصيم : الخصم. تعدى القوانين : تجاوز الانظمة.

(٥) وقفات الاشناب : المراد الانفعال والاستعداد للحرب. طلابة الدين : طلابة الثأر.

(٦) يلكد : يهجم. لابا زيد وذياب: فارسين هلاليين. السبايا : الخيل. براهين : دلائل.

(٧) مد: سار. السرح : الابل تذهب للمرعى. جناب : محافظ. الدبش الابل.

(٨) حنا : نحن. في ذوي حجاب : في كنفه. اضدادنا : جمع ضد.

بُطُولَةٌ نَادِرَة

لم يكن السلب والنهب في شرعة دغيم العارضى واخوانه الأربعة عشر باكثر من انها الفروسية والبطولة ومدرجة المدح وسلم الفخار.. ولو قتلوا رجالا، وأيتموا أطفالا، وأيموا نساء، وأحزنوا قرابة.. ولو أفقروا بعد غنى، واذلوا بعد عز، او وقع القتل فيهم أنفسهم، وأخربوا بيوتهم بأيديهم.. فتلك شنشنة عهدهم وهجيرى مجتمعهم، فاليوم يغيرون و يواجهون مايواجهون، وغدا يغار عليهم والنتيجة هى النتيجة.. دنيا كلها سلب ونهب، وطارد ومطرود، والحظ فيها لمن غلب.

هكذا كانت حالة الجزيرة العربية قرونا متتاليات، حتى عمها الله بلطفه، وجمع كلمتها تحت راية واحدة، على يدى بطلها العملاق: عبد العزيز بن سعود.

فدغيم العارضى ورفقته هم من أبناء تلك المدرسة، وطراز ذلك الجيل.. لقد خرج هؤلاء الخمسة عشر غزاة كعادتهم، وفارقوا مضارب قبيلتهم ــ مطير وكأنما اختار بعضهم بعضا من بطن حافل بالبطولات، ومتشبع بالشجاعة والاقدام، هو بطن ــ العوارض ــ اختار هؤلاء الخمسة عشر، بعضهم بعضا من بين

أفراد تلك العشيرة.. لحمة واحدة، وشجاعة فائقة، وهدف واحد.. وكأنما كانوا ينظرون مايخبئه لهم القدر من خلال تلك المفاجات، وماتبدههم به المصائب في مغامراتهم العديدة.. كان ذلك عام ١٣٢١هـ حينما كان عبد العزيز بن متعب آل رشيد يصول ويجول، في شمالى جزيرة العرب.. وكان يأخذ بالظنة، ويعاقب المحسن بجرم المسيء، ويتشبث لانزال العقاب بأدنى سبب، ويحمل عن قبائل البادية أسوأ فكرة، ويرى أنه لا تثبت له راية ولايقوم له كيان، مالم يستذل القبائل ويرهبها.. بخلاف ماكان عليه سلفه محمد آل عبد الله الرشيد، فرغم مايتصف به من عدل، وتبصر في شئون الرعية.. إلا أن ذلك لم يكن وحده كافيا في سياستها بالرغبة.. اما اذا سيست بالرهبة والرغبة معا، واستطاع السائس معرفة متى يستعمل احداهما ويترك الأخرى.. استقامت له قناتها وسلس قيادها.. وهذا مالم يوفق له عبد العزيز الرشيد.

لقد استهدفت غزوته هذه المرة قبيلة مطير.. الضاربة في مرابع الصمان مما يلى ـــ الحتيفة ـــ حيث تتجمع حول رئيسها وطبان الدويش وهزاع بن شقير، ورغم أن عبد العزيز بن رشيد في خيله ورجله، وصولته ودولته مما لايخشى معه من قلة أو ذلة، تجاه قوى الأعراب المحدودة، وما يحملونه في أذهانهم من سطوة الحكام ومفاجآتهم رغم ذلك فأنه يطبق سياسة المباغتة والأخذ في الغرة، فلقد بعث عيونه حينما قارب مضارب القوم

بمراحل ليتنطسوا اخبارهم و يسبروا قوتهم.. والعيون هناهم نخبة ممتازة من أكفأ الجيش ينتخبهم القائد، و يتحرى فيهم الشجاعة والثبات والرزانة، حتى اذا جاءوه بخبر اطمأن اليه.. فلا غرابة أن ينتخب اليوم ابن الرشيد غانم بن زويمل طائفة من طرازه، ليجيؤه بخبر القوم فلقد ذهب هؤلاء يستحثون جيادهم و يسلكون من الطرق مأمنها، وما هو حرى بتحقيق الرؤ ية من بعيد، مع ستر اشخاصهم، ولم يطل الغياب بين العيون والقيادة حتى كان اللقاء المذهل، بين هذه العيون و بين ركب العوارض الخمسة عشر المنبعث غزوهم من العرب المغار عليهم الى الاغارة على أطراف عرب شمر قبيلة الأمير بدون أن يعرفوا عن الأمير شيئا، لقد كانت طبيعة الأرض الجبلية وشجرها الملتف، ورغبة كل من الفر يقين أن يجعل من طبيعة أرضه حاجزا يستره من الأعين، كان ذلك سببا في هذا الاصطدام بين فر يقين كل منهما يـر يد الفتك بصاحبه، فالتحم القتال بينهما وكان الوقت ضحى، ولم يشأ ابن زويمل كبير عيون القيادة ان يتخاذل أمام ركب يرى طائفته أكثر منهم عددا وعدة، فيرسل الى قيادته يطلب النجدة، بل ظل هو وطائفته في صراع مع القوم، حتى قتل القوم منهم من قتلوا، وعقروا من الخيل ماعقروا، وهنا بعث ابن زويمل مستصرخا للقيادة.. فأجلبت بخيلها ورجلها، وأميرها ومأمورها، واذا بالفضاء ينقلب على العوارض جيشا وخيلا، وتحنانا وتصهالا.. فعمدوا الى ابلهم ووضعوها في قرن واستاقوها،

وضربوا خلفها سورا من استماتة واستبسال وتنمر، وجعلت الخيول من حولها تكر وتفر، وجعل الرصاص يمطرهم بوابله الجهنمي، وهم كلما امتد بهم الوقت زادوا قوة وبسالة.. وكان مايخافه ابن الرشيد من هؤلاء الركب، هو أن ينفلتوا، أو ينفلت منهم من ينفلتْ، فينذر القوم المزمع الاغارة عليهم.. أما الآن فقد امتلأت الأرض من قتلاه، ومن خيله وابله المرداة، فهو حينئذ طالب ثأر، ومن وراء ذلك فجبروته يأبى له أن يتراجع أمام هذه الحفنة لتقول الأخبار: ان ابن رشيد بقضه وقضيضه لم يستطع اخضاع خمسة عشر راكبا وأى معنوية تبقى له بعد هذه؟

يتخيل هذا ثم يرسلها ململمة الى هؤلاء الألداء المعاندين، فترجع خاسئة خائبة بعد أن تفقد ماتفقد.. والنتيجة هى غروب الشمس، واختفاء العوارض تحت جنح الليل، لم يقتل منهم قتيل، ولم تلن لهم شكيمة، أو يغمط لهم جانب.. أما الامارة العظمى، والجبروت السافر والخيل والخيلاء، فقد رجعت تجر أذيال الخيبة، وتتحسس جراحها، وتتفقد قتلاها.. أما العوارض فقد استووا على ظهور مطيهم، ورفع شاعرهم عقيرته:

يَوم عَدّى الرَّقَيْبة رَاس مَشْذُوْبَة　　قَال زِلّوا وَقَفَّى الجَيْش زِزْفَالِى[1]
قـال أنا شِفْت شَوْف لابِليْتُوبِه　　شَوْف رَيْبَة ومِنْه القلب يَهْتَال[2]

---

(١) عدى : ارتقى. رأس مشذوبة : رأس جبل عال. زلوا : انهزموا. قفى الجيش زرفالي : أدبرت المجن مزرفلة.
(٢) شفت شوف : رأيت مرآى. شوف ريبة : مرآى مريبا.

لَحْقَت الخَيْل بالتّوْمَان مَرْكُوْبه	وَانْتَوَوْا جِيْشَنا مَاضِيْن الأفْعَال[١]
تَبْغِى الجَيْش مِيْر الجَيْش عَيْوَابِه	كِل قَرْمٍ عليها صَامِد إبلال[٢]
كل ماقِلت عَنّا هَوّدَوْا نَوْبه	الحَقَوْا سِرْبَة تسعين خيال[٣]
يَحْسِب أنّا نَعَوَّد عِند مَنْدُوْبَه	يوم يَرْسِل علينا خيله أرْسَال[٤]
يوم لحق الأمير ولَحْقِت الشَّوْبه	لاقَرَايا ولامَزْبِن ولاجَال[٥]
طَبَّقَوْا لابِتى في كل مَسْلُوْبه	وَاحْتَموا جَيْشَهُم مَاضِيْن الأفْعَال[٦]
شافَوا الفِعْل من ربع تَمَعْنَوْا بِه	وَاقْفَت الخيل فيها الدم شَلأّل[٧]
خَلَّفَوا سَابِقه بِالقاع مَضيُوْبه	في مَفِيْض الدَّعث من نَايِف الجَال.[٨]
كم جَوَادٍ بحد الكَوْع مَضروْبه	العَوَض صَار منها بَسْ الأحْبَال[٩]
جَيْشِنا مَارْكَبها كِلْ زَارُوْبَه	فوقها من عريب العَم والخال[١٠]
للظَّفَر ساعةٍ وان حل ماجُوْبَه	والمرَاجِل لها حَزّات وَرْجَال[١١]
يَا عَمَارٍ بسوق الموت مَجْلُوبه	مَاهَقَيْنا على الدّنيا لناتال[١٢]

(١) التومان : بطن من قبيلة شمر. وانتووا جيشنا : نووا اخذ ابلنا.
(٢) مير الجيش : لكن الابل. عيوابه : ابواعليه. صامد بلال : قوى أمين.
(٣) هودوا نوبه : كفو امره. سربة : كوكبة من الخيل.
(٤) نعود : نرجع. مندوبه : رسوله.
(٥) الشوبة : قاعدة الجيش. مزبن : ملجأ. جال. ركن يؤى اليه.
(٦) طبقوا لابتي : اخذوا سلاحهم الجيد. احتموا جيشهم: حموا ابلهم.
(٧) شافوا الفعل : رأوه. تمعنوا به : هولهم ديدن. وقفت : أدبرت.
(٨) خلفوا سابقه : تركوا فرس الأمير ملقاة على الأرض.
(٩) بس الاحبال : فقط عوضها حبالها.
(١٠) جيشنا : هجنا. كل زارو به : كل جبان مرجف. عريب العم والخال: أصيلها.
(١١) الظفر: الشجاعة. ماجوبه : واجبه. المراجل: الشجاعة. حزات : اوقات.
(١٢) ماهقينا : ماظننا. تالي : آخر.

من صَلاةِ الضَّحَى ياقابِل التّوْبَة   لِيْن غابت وحِنا هَوْش وَاقْتَال[1]

تلكم هى قصة العوارض، وكلها صبر وجلد واستبسال، ويوم يهيء الله لفلسطين واخواتها من أمثال العوارض، هو اليوم الذى يستقل فيه وطننا العربي استقلالا تاما كاملا وانه ليوم قريب لابعيد ان شاء الله «ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد».

(١) لين غابت : حتى غربت الشمس. هوش : عراك.

الجواب ماترى وتسمع

لم تزل لغة الحديد والنار بين القبائل العربية، وتبادل الثارات هى المادة الدسمة التى يستقى منها الشعراء فنهم، و يتخذون منها أنجع الوسائل لحبك قصائدهم وتجو يدها.. اما اذا قام مع كل قبيل من المتحاربين شاعر يتغنى بمفاخرهم و يشيد بمآثرهم و يلهب أحاسيسهم، ويحرك فيهم حب الثأر وحماية الذمار، و يسلق بشعره من أرادهم بأذى في القول أوالفعل، أما اذا ظفرت القبيلة بشاعر نابه يكفيها هذه الجوانب، فقد ظفرت بنصيب اوفى، وضمنت نباهة قدرها واشادة مجدها، والا لما قدمت البشائر بنبوغه وجاءت به يقدمها، و يتكلم بلسانها في أسواق العرب ومجامعهم.. لذا لم يكن بدعا حينما يكون الشاعر الشعبي عبد الله بن ر بيعة لدى الأمير (بندر السعدون) شيخ قبيلة المنتفق بمثابة ابنه يجله ويحترمه، و يغدق عليه العطايا، و يواصل له الهدايا، و يرى فيه الى جانب مايعمر به مجالسه من طر يف القول وظر يفه وقديمه وحديثه.. يرى في شعره اذاعة محامده، وردئا يقف في وجه من ينال من عرضه، أو يغمز من جانبه.

كما كان الشاعر الشعبي عبد العز يز القصيمي هو الآخر

لدى (صفوق الجربا) أحد شيوخ قبيلة شمر، يحتل نفس المنزلة، ويقوم بعين الوظيفة.

وكما اعتادت هذه القبائل شن الغارات بينها واهتبال الفرص لابتزاز الأموال، وقتل الرجال.. أغار بندر بن سعدون في قبيلته، على سلطان بن سويط في قبيلته أيضا على ماء يقال له (دافنة)، وكان الأمير صفوق الجربا يقيم ضيفا لدى سلطان بن سويط في قلة من قومه، اختارهم لرفقته في القنص، فرمت بهم النوى هنالك، وماشعروا الا وغارة بندر بن سعدون تباغتهم، وماكان لسلطان ولالصفوق وقومها حظ في المقاومة، وصد الغارة، فقديما قيل (العدوة لمن عدا بها).. فامتطوا صهوات خيولهم، ولاذوا بالفرار، واستحوذ بندر على المال واستاقه.. فكان في عمل بندر هذا مادة خصبة واستفزاز مؤثر لقريحة شاعره عبد الله بن ربيعة، فطفق يقول

صَاحَوا عَلَف وَاشْرَف على راس مَرْجُوم	مِتْحَرّى يَظْهَر مِن الشَّرق عِيْنَه[1]
حِرٍ من(العَطْشَان)يَوم اذْرَج الحَوْم	نَارَت عِنَه خَرَّام عِقْبَان(لِيْنَه)[2]
وَهَجِنج سُلْطَان السُّوَيْطِي وَطَا الكُوْم	والشَّمَّرى للشاه يَلْبَك طَعِيْنَة[3]

(١) صاحوا علف : نادوا الطير لأكله. مرجوم : مرتفع. متحرى : متوقع. عيه : شبح.

(٢) حر : صقر. ادرج الحوم : حلق. نارت : هربت. خرام عقبان لينه: هراب. عقبان : جمع عقاب. لينه : اسم مكان.

(٣) هجيج : هرب. وطا الكوم : تطرقها. يلبك ظعينة: يجد دهره.

وَضفُوْق من كَوْن(المُقَيّر)الى اليوم مِنْقَلّدٍ قَلْبِ النَّعَامَة قَرِيْنَه [١]
يَاذِيْب يَاللّى بالخَلا تَسْجِم سْجُوْم زِجْ العُوَالِذْيَابَةِ(بِالدَّفِيْنَة) [٢]

وبعث بقصيدته هذه مدلا معتزا للشاعر عبد العزيز القصيمي شاعر صفوق الجربا، الذى انهزم أمام اغارة بندر، وكأنه يقول له هذا هو الذى يستحق المدح، ويصح أن يقلد فرائد الشعر وشوارده، لامن ولى الأدبار لايلوى على شيء.. فأخذها القصيمي وذهب ليطلع ممدوحه صفوق عليها، فأبى صفوق أن يسمعها منه في ذلك الأوان، وأمره أن يحتفظ بها لديه حتى اليوم الموعود.. فطوى الشاعر نفسه على مضض وطواها صفوق على حنق يكاد يتميز له ولكنه يرسم الخطة، ويعد العدة ليكيل الصاع صاعين، ويضرب ضربة قاضية، تشفى غليله، وتبرد جوى قلبه.

ولما رضى عن تدبيره، وحان الوقت المناسب، اطلق صوته في قومه الحنقى الحردين، الذين لم تندمل بعد جراحهم، اطلق صوته: يالثارات القتلى ــ بالدفينة ــ فلباه شباب قومه وشيبهم، وانطلقوا كما ينطلق الأتى من منحدر، الى حيث يقطن بندر السعدون على ماء ــ كابدة ــ فضربوه ضربة كانت هى

---

(١) كون المقير : معركة المقير. متقلد قلب النعامة قرينه: آخذ الذل بجامع فؤاده حتى أصبح قرينا له. والنعامة توصف بالذل.

(٢) الخلا : البر. تسجم : تعوي عواء كثيرا. زج العوى: ارفع العواء. لذيابه : لذئابه. الدفينة : اسم مكان.

القاضية، مزقوه وقومه شر ممزق، وغسلوا ماعلق كبودهم من غيظ وحنق، وانصرفوا يتقدمهم النصر و يبهجهم الثأر.

وهنا لذ للأمير صفوق أن يستمع لشاعره ينشد قصيدة ابن ربيعة، وأجابة شاعره عبد العزيز القصيمى عليها.. فاستمع القصيدتين، وأمر بارسال مايسمع، بعد مايرى.. فكتب شاعره الى ابن ربيعة قائلا:

يَـارَاكـب حِـر هَـمِـيْـم الـى قَـام	يَطْوِى مَسِيْر العَشْـر في رُبْع يُوْما
يَـلْـفِـى عَشَيْرى لَلْمَقَـابِيْل زَقَّام	إن كـان أصْـحَـاب وَلَـوْ كـان قَـوْما[1]
ابن رَبِيْعة زَبْن مَن جاه مِنْضَام	زَبْنِ الذى حَمَّال مَانِيْب دَوْما[2]
قِل طَيْرك اللَّى به تُصَقَّر مِن العَام	اللَّى يَصِيْد مُشَمْرَخَات الحُشُوْما[3]
اللَّى نَحَا سُلْطَان وصْفُوْق للشام	والخَزْ عَلَى يَذْكَر مَرَق من هُدُوْما
غَذَيْت له طَيْرٍ مَاالأَطْيَار طَمَّام	يَدِعِى الطَّيُوْر إن طَار عِمْي طُرُوْما[4]
ولاظنتِى تـلقي ياخوزيد مهزام	طيرك ايلى من جاه طيرى يحوما
صاحَوا عَلف واشرف على رأس جِرثَّام	وطَالَع بِشَرْقِى وَادِى الجَوف حَوْما[5]

(١) للمقابيل زقام : كفء لكل مايهمه. سواء كانوا أصحاب أو قوما.
(٢) زبن من جاه منضام : ملجأ لكل من جاءه مضيوما.
(٣) اللي به تصقر : الذى به تصيد. مشمرخات الحشوما : مشمرخات المباني العالية.
(٤) يدعي الطيور : يترك الطيور الجارحة عميا صما بكما.
(٥) جرثام : بجرثم. بشرقي وادى الجوف حوما : رآى هنالك حوما ز يلة.

وَاقْبَل يَقِد الجَوّ تَفْدِيْدِك الخَام ... وتُوْحِي لابن مِغجِل بِكَفِّه بُغُومَا[1]

وصَاحَوا عَلَف وَاشْرف على رأس جِرْثَام ... ونَارَت عِنه عِقْبَان الأدْعَمِ خُرُوْما[2]

غَشَّام طَرْح الشام لِلصِّيد جَشَّام ... في رأس قَوَّاد الجَمِيْلة يَعُوْما

حِرٍ غَشَمْشَم لِلثِّرَيا شَهَرَ شَام ... تَزِيْل هَدَّاته بُروْس الحُشُوْما[3]

دُوْلاب لُوْلابٍ لـلأبـوَاب قَصَّام ... لِبِيْبَان صَعْبَات المَعَالِى قْصُوْما

الطِّيْر قَرْنَشْناه وَاصْبر لِك أيَّام ... اِلى مَايُقَال المَا انْتَر مِن غُيوْما[4]

وطَالِعْ جَهَامِي يَوْم اطَالِع لك اِجْهَام ... بِقَاع سَهَاكِيْك سَمَاح دَمُوْما

تَاتِي بِلمَّاتِك عَبِيْد وخِدَّام ... وَاتِي بِرَبْعٍ كَلْ أبُوْهُم عُمُوْما

وَامْشَع سُبُوْق اللّى كَمَا زَرْقة القَام ... وَيْشْهَر سَمِيْح الرِّيْش يَم التُّجُوْما

ويَذْلِي عَلَيْك اللّى للاَعْمَار طَمَّام ... بِعِقْبَان اظْرَفْهُم الدّ الخُصُوْما

رَبْعى هل الشِّيْمَات في كِل مِقْدَام ... الى باعَوا الشِّيْمَة هَلَه بالحُشُوْما[5]

يَتْلُوْن مَن لِزْباع الأضْداد هَدَّام ... اللّى على كل القَبَايِل يَحُوْما

فإن قِيْل مَن هو قِل هم رِيْف الأيْتَام ... صُفُوْقِ مُخرَبٍ راي سُوْد الخُتُوْما[6]

وهكذا يأبى العربى الا و يثأر لنفسه، و يرد الصفعة بصفعات لخصمه ولاينام على مضض، أو يخلد على هوان.. فأين

---

(١) بغوما : تصو يتا.

(٢) صاحوا علف : نادوا بالعلف. جرثام : مكان عال. خروما : نافرة.

(٣) غشمشم : غاشم. شهر شام: شهر من تلقاء الشام. هداته : اصطفاقه.

(٤) الى مايقال الما انتر : اذا أى وقت الهدد.

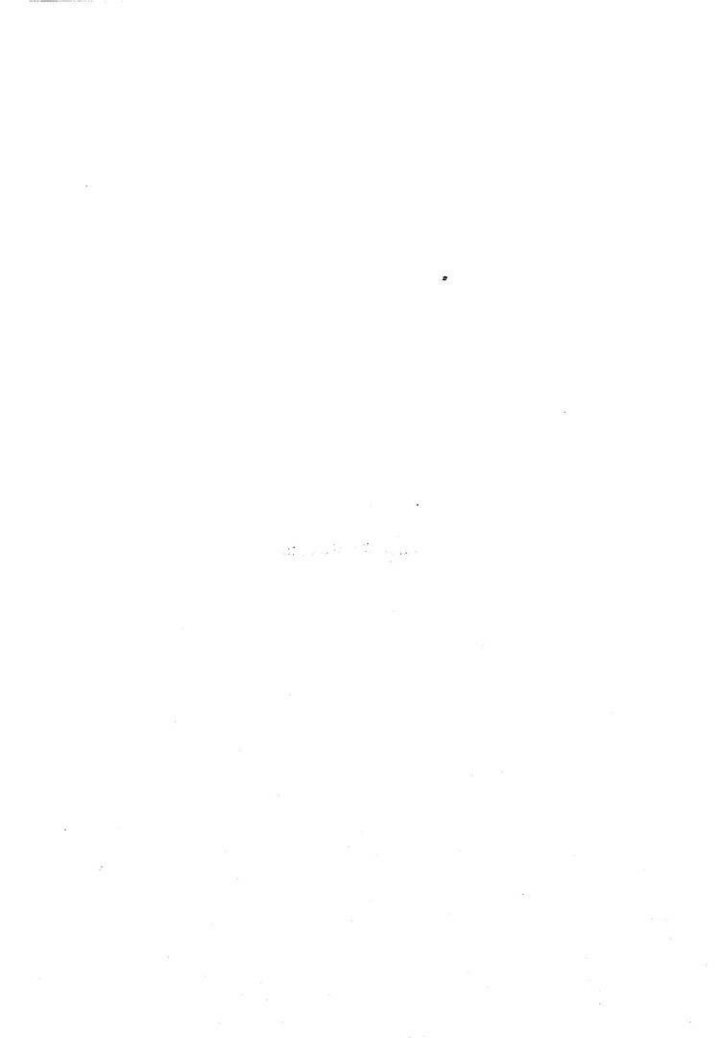
(٥) بالحشوما : بالكلام.

(٦) رأى سود الختوما : راي الحكام.

الثأر من حثالات العالم، وخفافيش الانسانية، وسبة الأجيال في فلسطين، والجزائر والجنوب العربى[1].. أنسينا؟!

(١) كتبت هذه القصة قبل أن تتحرر الجزائر والجنوب العربى. وقريبا ان شاء الله تتحرر فلسطين.

قصَّة حُبّ



ما كُنْتَ أوّلَ عاشق .. !

أهذا الظبى الأتلع الأغن يمر بى في كلّ لحظة.. وكأنما هو يمشى على قلبى، وأحس كأن قلبى في مخلب طائر يلجلجه حينما أعلم أنه يغذى لغيرى، و ينمى لسواى.. واذا فسوف أعمل خطة أغامر فيها مغامرة متهورة تتحدث بها الأجيال.. والا فلماذا ابن عمها يحول بينى و بينها، ويحجرها عنى وأنا أر يدها وهى تر يدنى.. هذا ما حدثته نفسه به (فلاح) بن ز بدية الرشيدى، الذى أحب الفتاة الرشيدية، وهام بحبها، و بادلته حبا بحب، وولها بوله.

وفي يوم كانت ترعى ابلها، وحولها قطعان أخرى من الماشية يرعاها رعاة آخرون.. واذا بحبيبها (فلاح) يقبل عليها في هذه البر ية ممتطيا جواده.. ولاغرابة أن يدنوا فارس من فتاة يكلمها وتكلمه، و يأخذ خبرها وتأخذ خبره فتلك ظاهرة غير منكرة.. فدنا (فلاح)، وأخذ يكلم الفتاة و يلاطفها، وقد انحدر من تحت قناعها على صدرها الى ماتحت الوسط معثكل جدلته، وظلت رؤوس جدائله كأنها طاقات الز يرجان تتماوج مع حركات المداعبة وتستقر مع الاستقرار، ونفس فلاح تكاد تذوب مما

تـرى.. فتناول فلاح هذه الجدائل ليداعبها بيده، وليشمها ويمسح وجـهـه بهـا.. فـزاده هـذا ولهـا وفـزعا، وطاب له حينئذ أن ينفذ فكـرتـه التى بيَّتها قبـل.. فـأخـذ بمجامع الشعر بيد جذبها بها، وكـانـت الـيـد الأخـرى تـسـتـلـحقها لتستقر في حضنه على ظهر الجـواد، ولـيـركض جواده لتذهب تسابق الريح، ولتطلق حبيبته أصـوات مـنـكرة سمعها رعاة القطعان.. وحالا ادركوا أن فلاحا اخـتـطـف فـلانـة، وذهـب بهـا الى مالايعلمون، ولا تعلم الفتاة، ولايعلم فلاح نفسه.. فاستصرخوا الفريق بعد لأى.. ولكن أين منهـم اللحـاق بفارس انطلق بمنتهى حضره لقد هدأ صياح الفتاة معـه، ولم يهـدأ قلبها خشية العار من ناحية، وخشية الموت المحقق مـن قـبـل أهلـهـا.. فـانهم سوف يفسرون الأمر بأنه باتفاق بين الـطرفين.. هذا ماظلت تحدثها نفسها به.. وقد استقر رأى فلاح أخـيـرا على أن يـذهـب الـى الـبـلاد المجـاورة، امـا العراق، واما الـكـويـت.. وهـنـالك قد ينجو من عقابيل جرمه.. وعند غروب الـشـمس كان الاعياء قد أدرك فلاحا والفتاة والفرس، وقد عن لهـم خباء من بعد، فأشارت الفتاة على فلاح أن يذهبا الى هذا الـبـيـت، وينزلا لدى أهله ليلتهما، وفي الصباح يكون مايكون.. فـوافـقـهـا على رأيهـا وفي قـلـبـه خيفة، فنزلا ضيفين على صاحب الـبـيت، واذا به (جدوع الرشيدى) ابن عمهم في القبيلة، وبعد أن اسـتـقر بهما المقام، وثبت الفتاة، ولم تخلق الا ويدها في عنق جـدوع صـاحـب الـبـيـت: أنا داخلة على الله، ثم عليك ان هذا

نهبني، وعزم على أن يلبسني حلة العار إلى الأبد.. فقال: زبنت وخاب طالبك أما انت فقومي واقعدى بين حرمي وأهلي، وانت في جوارى.. وأما أنت يامجرم فلولا أنك في بيتي وضيافتي لقتلتك على خيانتك، واذهب الى غير رجعة.. فمضى من عنده يجر أذيال الخيبة، و يقول:

عَـزَّ الله اِنِّـى في عَـشِيْرى تَرَدِّيْت — وَرَدْت به قبل الدَّنَس في العَبَاوِى[1]

ياليتنِيِ عن بيت جَدُّوِع صَدِّيْت — وَافرَخت عن بيت الرَّشِيْدى خَلاَوِى[2]

أمر سَداه الله وَانابه تَمَضوِيْت — سُوَالِف ماعاد تَنحَى بَلاَوِى[3]

فاما الفتاة فقد استقرت لدى مجيرها.. وأما أهلها فأخذوا أثر الفرس، وساروا معه حتى أوقفهم الأثر على بيت جدوع مجير الفتاة، ومنذ اختطفها حتى وصلوا بيت جدوع لم يروا أن فلاحا أوقف فرسه، أو نزل بالفتاة على الأرض.. مما يطمئنهم على سلامة ابنتهم من الخطيئة.

لقد طالبوا جدوعا أن يسلمهم الفتاة، فأبى وقال: هى في جوارى حتى تعاهدونني بالله أن لاتمسوها بسوء أبدا لامن قريب ولامن بعيد.. فلو انها كانت على اتفاق معه لما تابعت

(١) ترديت : قصرت. الدنس في العباوي : الدنس في العباءة.
(٢) عن بيت الرشيدي خلاوي : عنه بعيدا لاأعرفه.
(٣) سوالف : هروج.

اصواتها حين اختطفها ولما أخذت بمعاقد ثيابى تستجير بى منه.. فعاهدوه عهدا موثقا.

ثم طلبهم باسم الشيمة والمروءة والشرف أن يعطوه ماسوف يطلب.. فظنوا أنه سيطلب الزواج منها، أو أى أمر آخر.. ولكنه سيطلبهم أمرا لم يدر بخلدهم.. فأعطوه طلبته.. والعربى اذا أعطى لايعود في اعطيته مهما كانت الظروف.. أنه يطلبهم أن يزوجو فلاحا هذه الفتاة.. فتاة أحلامه.. إنه الشجاع المعروف، والكريم المشهور، وابن العائلة الطيبة ومن ذا سوف تزوجونها به أكرم وأجود من فلاح الذى اختطفها.. فتمموا ماأعطوه وأرسل في أثر فلاح ورده، وتزوج الفتاة، وانتهت المشكلة.. وكان واسطة الخير دائما سببا في كل خير.

جَدَّدَ جُرُوحَ العَوْد

هده الكبر وجعد وجهه وغضن خديه، لم يعد ذلك الفتى المبسوط القامة، السبط المنكبين، الوسيم الأعفر.. بل تدانت خطاه، وتقوس ظهره، وارتعشت يداه، وبكى شبابه وتلوح اهابه.. انه (بصرى الوضيحى).. ذلك الفتى الغزل المشغوف بحبهن، المفتون بجمالهن، المطلق فيهن غرر شعره وشوارد دهره.. عزم على أن يتوب، وعلى أن يكفر عن ذنوبه، ويلج باب البر الرحيم، ليعفو عما سلف، ويغفر مااقترف.. انه سيكون في ركب الحجيج هذا العام ليتضرع بين يدي مولاه في تلك المشاعر المقدسة، والمواقف المفضلة، يتحرى نفحات الله ويتعرض لمرضاته، ويترب خديه تائبا منيبا.. فكان ماعزم عليه، فغض طرفه وأخبت وخشع.. فإنه لارفث ولافسوق، ولاجدال في الحج.. فقضى تفثه وأوفى نذره وطوف بالبيت العتيق.. وحينما هم بالتوديع، وأودع جعبته ماأودعها من أعمال صالحة وبر وصلاح.. جاءه أحد رفقته، فقال انى مستشيرك في حاجة هنا، فتعال اعطنى مشورتك بها، فانني لست فيها بخبير، فقاده اليها هنالك وسط متجر يغص بأنواع الثياب المزركشة، والحلى، والتحف، والهدايا.. انها غارقة فيه تقلب وتساوم، وتماكس

وتشترى، وتُحمِّل فتاتها ماتبتاعه في غفلة من رقيب ينظر وجهها المستدير المورد، وشعرها المعثكل الأسود، وتتماوج عباءتها عن جسم غض بض مهتز، كله فتنة وسحر وجمال.. ولم تعلم أن هذين يرقبانها بأعين تكاد تلتهمها.

وقف صاحب الحاجة بالوضيحى، وقال هذه حاجتى أردت أن أفتنك بها، وأختبر نسكك وتدينك.. بهت الوضيحى مما يرى، والتفت الى صاحبه فرماه بعدة عبارات من النكاية والعتب: «أفي مثل هذا الموقف تدعونى لمشاهدة هذه، وبعد أن عاودت نفسى وراجعت ذنبى وبلغت من الكبر مابلغت تحاول أن تفتننى؟!.. انك لشيطان.. ولكن أنى لي بعدئذ أن اتخلص مما علق به قلبى واهتز له شعوري، واضطربت جوارحى.. اليس من قبلى ممن ابتلى بمثلماابتليت به.. يقول:

وذو الشوق القديم وأن تعزى   مشوق حين يلقى العاشقينا

لاأستطيع أن أريم من هنا حتى اسجل وجدى وأفرغ مافى صدرى وأنفث هذا الذى أجده شعرا عله يريحنى ويسلينى..» فلأقف هنا بباب المتجر وأسارقها النظر، وأترك محاسنها ومباهجها تملى عليَّ وأنا أترجمه شعرا، يتفق ومأأرى وماأخذت به من هذا الجمال الخارق البديع:

التَّـايِه اللّى جَاب بَضرِىْ يَقِنَّه   جَدَّد جُرُوْ العَوْد والعَوْد قَاضى[1]

يـامَـنْ يُـعَـاوِنّى على وَصْـف كِنَّه   أشْقَح شَقَاح ولاهِق بالبَـيَاض[2]

لاهـيْـب لازَفْـرَة ولاهـى مُـصـنَّـة   رِيْح النَّـفل بِمَطْمِطمَات الغيَاض[3]

ونُـهْديْن للّثُوب الحَمَر شُوْلَعَنَّه   حَـمْـرٍ نُمَرْهِنْ وَاقِفَاتٍ غـضَـاض

يـالـيـت سِـنّـى صَاغِر وَقْم سِنَّه   بَـايَـام مـابَـيْنى وَبَيْنَه بَغاضِى

يـاجَـرْح قَـلْبِـى جَـرْح وَادٍ وَطَنَّه   غِـرْ الـمُزْوْن اللّى وَطَنَّه وَفاض[4]

الـبِـيْـض قبلى مِخسِنٍ عَذَبَنْه   ونـمْرٍ على وَضْحَا جَرَى له عَرَاضِى

والـبـيـض كَم من واحدٍ يَبَّسَنَّه   يِبْسَة شَمَاشيْل العُذُوْق النَّفَاض[5]

عِـزّى لِـمـن غِـر الـثَّـنَـايا كَوَنَّه   أزْكَـنِ على كَـبْدِه كُوى عِرَاض[6]

شَـوْفِى بِعَيْنِى والخَدَم يَرْكَبنَّه   على زَعْـاعٍ يـوم قَـوْطَـر وَنَـاضِ

فَوْق أشْقَحٍ من زَفْل أبوها مَضَنَّة   رَكْـبَـه عَـلَيْه تَشَنْطح باعْتـرَاض

بِـمْـشَـجَّـرٍ مِن سُوْق هَجْرٍ مَغَنَّه   على خِـيَـاطِـه ناب الأزْدَاف رَاضِ

وَيْن أنت يامِشِفى على طَرْدِهنَّه   أنا طَوَيْت رِشَاي وأقْفِيْت قَاضِي

---

(١) التاية : الغاوي. يقنه : يسوقه. والعود قاضي : الشيخ خالص.

(٢) وصف كنه : وصف لونه. أشقح شقاح : اعفر لاهق بالبياض.

(٣) زفرة ومصّنة : رائحتها كريهة. بمطمطمات : في الفياض المتكاثف عشبها.

(٤) اللي وطنه : الذى وطنه.

(٥) كونه : كو ينه. أركن على كبده كوي عراض : وضمن المكاوي عراضا على كبده.

هكذا يمتحنون الشباب !

عشقته غض الشباب، مورد الخد، سامق البنية، متوقدّ العينين، ذا لمة تنسدل على كتفيه، وذقن لم يبقل بعد.. وهو أيضا غزل ضاحك، يرسل النكتة بلا تكلف، فتجيء مهذبة ضاحكة.. و يتحدث فينثال حديثه متسقا هادئا ملتقطا مختارا.. كأن مستمعه يتلقى خبرا طر يفا جديدا.

وما لها لا تعشقه وهى فتاة الجمال، ور بة الحسن، ومطمح انظار الشباب، وموضع فتنتهم، والذكية قلبا، والهادئة طبعا، والمؤدبة المهذبة.. و بالجملة فلم تك تصلح الا له، ولم يك يصلح الا لها.

فلماذا لايكونان رفيقى عيش واليفى حياة.. ان هذا مايحول دونه سنن المجتمع الجائر والتقليد المر.. ان سنة التحجير تقول لايمكن لفتاة أن تطمح عينها لأحد، ولايمكن لفتى أن يتعلق قلبه بفتاة.. الاحينما لايكون في أسرتها من يحجرها لنفسه.. الأقرب فالأقرب.. واذا خرج أحد على هذا التقليد من الفتاة أو أهلها، أو من الفتى ومن ورائه.. فهى الفتنة والدم وقطيعة الرحم.. أما هذه فابن عمها القر يب المتجعد الاشمط، الذى لوحته السمائم،

ووسمته طبيعة الصحراء، فأصبح اسفع مقلوب الإهاب مسحوحم الوجه.. انه قد حجرها يبغيها لنفسه فان انقادت فبها ونعمت، والا فلتظل ترعى شبابها وتسامر همومها.. إلى الأبد.

لقد أدرك ابن عمها انها تحب هذا الشاب الذي خده يشبه خدها وقده يشبه قدها.. فكبر عليه ان هذا الشاب الغض البض يطمح لأن يكون شريك حياة فلانة ابنة عمه و(حجيرته)، وهو ــ أى هذا الشاب ــ غر لم تحكمه التجارب ولم تَرُضْه الأحداث.. بينما هوــ أى (حجيرها) ــ قد صقله الزمن ولاكته الحياة.. ان هذا مايزيده تشبثا بابنة عمه وتعلقا بها.

ولكن لماذا اليس هذه عادة ظالمة، ومبدأ مسرفا في الجهل، ومنهجا جائرا؟!.. هذا ماراجع به نفسه ابن العم.. بقى أن يكون هذا الشاب كفئا في رجولته وشجاعته وصبره.. فاذا كان مؤهلا خلقيا فلا مانع لدى ابن العم أن يتركها له.. لقيه وسلم عليه، وهش في وجهه وقال: انك شاب تعجبنى في حذقك وتصرفاتك، وأنا عازم على الغزو وحدى لطلب الرزق، وأحب أن تكون معى رفيقا ومؤنسا، ومساعدا وشريكا أيضا، فيما يقدر لنا الله من رزق.. قال الشاب هذه أمنيتى.. فضيا في سبيلهما، ولما جد بهما السير، واستحكمت وعثاء السفر بدا ابن عم الفتاة يقسو على الفتى في أوامره، ويعنته في تصرفاته، ويرسله لرعى الركاب، واذا عاد بها قال: يابنى عملت غذاء فغلبتنى نفسى

وأكلته، ولم أترك لك شيئا، ومع ذلك يلقى من الشاب صدرا رحبا، ونفسا طيبة، وهكذا.. حتى اذا عن لهما فريق طمعا في أن يكون كسبهما منه، قال للشاب: اتختار ان تبقى في رأس هذه الرابية تحمينى من ورائى، وأنا أسطو فاختطف ماأختطف من هذه الابل، أو أنا أبقى وأنت تسطو؟.. قال الشاب: بل أنا أسطو وأريحك، فأنا أصغر منك وأحق بخدمتك.

فسطا واستاق عشر نياق في غفلة من أهلها، ومر على رفيقه فانطلقا بها جادين في السير ليلتها ونهارهما خشية من الطلب.. ولما قربا من أهلهما أحب ابن عم الفتاة أن يقسم الكسب قسمة جائرة لكى يستطلع ماوراء الشاب فقال الشاب: أنا ابنك والذى تختار لى فيه الخير.. فعلم أنه شاب مهذب ومؤدب، وأن مستقبلا كبيرا من الشجاعة والمكانة ينتظره، وأنه أهل لأن يكون رفيق حياة ابنة عمه بكل جدارة وأحقية.

ولما قدم أقام ابن عم الفتاة مأدبة دعا اليها الفريق، ولما طعموا قص عليهم قصته مع الشاب وامتحانه له، وماأبداه الشاب من جلد وصبر ورجولة.. وقال اشهدكم أن هذه الابل التى أتينا بها ملك له.. واننى قد تنازلت عن ابنة عمى فلانة له أيضا، فهو بها خليق، ولها كفء.. فكان مايتمناه الفتى والفتاة، وهكذا يختبرون الشباب.

كَنَعَان الطَّيَّار

فارسٌ مغوار وسرى ورئيس قبيلة (ولد على) من بنى وهب من عنزة.. أحب وشغفه الحب وتملك شغافه، ولم يزل به سنين عديدة ومحبوبته متأبية متمنعة، تدل بجمالها، وتفخر بعلو بيتها.. فهى ابنة لعدوان بن طوالة رئيس عشيرة الاسلم من شمر.. وبين القبيلتين عنزة وشمر ثارات وحروب وعداء لاينقضى.. الا أن الحب لايرحم، وسلطانه أقوى من أى سلطان.. ولم يزل كنعان يتحين الفرص، ويتسقط الأخبار، ويقترب من مضارب العشيرة، لعله يفوز بنظره، أو يحظى بفرصة.. وكيف وأنى؟؟

وفي يوم رحيل عدوان بن طوالة من مكان لمكان هو وسلفه.. سار السلف ونأى عن مكانه، ولكن الفتاة الجميلة ــ محبوبة كنعان ــ نسيت حاجة لها فعادت أدراجها على راحلتها، لتعود بحاجتها.. وكان كنعان يشرف من تل مرتفع على جواده، وتذهب نفسه حسرات أثر الراحلين، واذا براكب مفرد يعن له من بعيد، أخذ يقترب منه شيئا فشيئا، ولم يكن في حسبانه أبدا أن تكون محبوبته.. جاءت اليه يسوقها القدر منفردة.. فكمن على الطريق، وأخذ يرى وينكر حتى تبين أنها هى.. فكاد يطير من الفرح.. ولما تبينت الفتاة الأمر وسفرت

لها الحقيقة.. ادركت انه لابد مما ليس منه بد، ولكن لتحسن التصرف، وتسوس وضعها بحكمة وحنكة.. والأمر وأن كان لايعدو أن يكون حبا عفا، وعشقا عذريا.. الا أن ابنة الشيخ حينما تخالف السلف المغذين في السير، وتعود.. ثم يأتى القدر بمن يراها مع محبوبها كنعان سوف تُسوء الظنون.. وتلبس الفتاة حلة ليست ملبوسا لها، ولكنها تصرفت تصرفا مقبولا.. فهشت لمحبوبها، وضحكت، وأظهرت له الرضا والانبساط.. ثم قالت له: انها تخشى أن يكتشف أمرهما بطارق يأتى من هنا أوهنا، فلعلك تشرف من هذا التل لتكشف الأرض، ثم نظل آمنين.. ففعل وعاد بسرعة مؤذنا أنه لاأحد حولهما.. فقالت: لكى أطمئن اكثر دعنى اشرف من التل الآخر لئلا يبقى في النفس حرج.. فانطلقت راجلة، فعزم عليها أن تأخذ الجواد لئلا يتعبها المشى، فأحالت نفسها على صهوته، ولما أشرفت التل التفتت الى كنعان وقالت (يابعد حيى اشتان بشانك مانى بمك..)، وركضت الجواد برجلها، وذهبت تسابق الريح على ظهر الجواد لتلحق بوالدها وسلفها، وتخبرهم الخبر ليكون موضع ضحكهم ومجال تندرهم.. أما هو فقد ملأ نفسه ملامة، وأوسعها عتبا، ورفع عقيرته يقول:

يَـاللَّـهْ يـاافَـرَّاج يـاوَالِ الأَفْـرَاج   ياللّى غَنى والناس غيره مَحَاوِيْج
اَفْرِجْ لِمنْ كِنَّه بِحق من العَاج   مُتْحيِّرٍ ضَاقَت عليه المَنَاهِيْج

عَـزَّى لمـن خَـلَّنَّـه البَيْض مِشهَاج   رَكَبن جَوَادِه وَازْكَبنَّه هُجَيْهنِج[1]
يابِنْت مَن هو بَاللَّقَى يَلْبَس التَّاج   إن حَـلْ بالرَّبْع المَقَفِّيْن تَزْعيْج
ما كُوْ لَها الحِنْطَة على صَالِي الصَّاج   ومَشرُوْبَها دَرِ البِكا الهَجَاهِيْج

ومضى في قصيدته هذه يَنعى حظه، و يصور وجده.

وفي النهاية طلب يدها من أبيها فأعطاه اياها، وتزوجها فقرت عينه بها، وطاب عيشه.. وهكذا يلازم العرب عشقهم، وتلاحقهم عفتهم.. ولايزالون.

(١) مسهاج : يسهجنه . هجيهيج: تصغير هجهوج.

يَمُوْتُوْن بالعِشْق ؟

أربعة أخوة أبناء الجلعودى، من الجلاعيد، منْ قبيلة عنزة.. ماتوا بالعشق؟! فاذا كنا نقرأ عن قبيلة عذرة، وقبيلة عامر، وهلال.. ونتابع ماكان لقيس مع ليلاه، وكثير مع عزته، وجميل مع بثينته، وغيلان مع ميته.. فاننا لم نقرأ خرافة، ولم نسمع انتحالا.. وانما هى الحقيقة توارثها العرب، وبقيت فيهم.. شفافية احساس، ولماحية خاطر، ورقة قلوب، وصفاء أذهان، طبع العرب في جزيرتهم عليها، وعاشوها قرونا وأحقابا.. مع عفة وأنفة، ومجافاة للعار، وبعد عن الرذيلة.

يعيش أبناء الجلعودى بهذه البيئة الغزلة الواجدة، وتفتح أعينهم على جمال بدوى صارخ لاتتحاشى فيه الفتاة أن تبرز زينتها، وتمارى بجمالها، وتدل بجاذبيتها، وتقود القلوب اليها حبا في فتنة الشباب، ورغبة في غزلهم، واذالة وجدانهم، بعيدة عن الرذية، متمسكة بمبادىء الحرائر.. فتتابع الأخوة الأربعة بما لديهم من استعداد طبعى، وتكوين وجدانى على هذه الوتيرة، وكلما عصف الحب باحدهم وارداه لم يلبث الثانى أن يحذو حذوه، ويترسم خطاه.. وكانت أمهم المحرورة الوالهة تستقبل مصائبهم الواحدة تلو الأخرى، بعبرات حرى، وقلب يتقطع

حسرة وألما.. وضنت برابعهم، وبخلت به على الموت.. فأرادت أن تنأى به الى بيئة أخرى، ووسط لا توجد فيه هذه الظاهرة.. ففرت به الى حيث شاءت.. وعهدت به الى رجل في غنمه بعيدا عن هذه المؤثرات، وتعهد لها أن يبقى في نجوة عنهن.. وهكذا تركته.

ولما جاد الغيث ربعهم، وانداحت الغدران والخبارى حولهم، واندفعت المواشى بمن معها من غزلان البشر والفتنة التى كانت أم الغلام تحذرها.. فكانت النظرات، وكان السلام، وكان الكلام، وكان الغزل، ثم كان الوجد والهيام.. فوقع المحذور، وحلت الكارثة.. فشفع حنينه وأنينه بهذه الأبيات وكان اسمه راشدا:

يَقُوْل(رَاشِد)مِن غَرَايِب لُحُوْنى مَثَايِلٍ قَلْبِى عَطَاهِن لِسَانِى[1]
اوْجِسِ بِنُوْنى مِثْل شُوْك الفُنُوْنى بين المَرَامِش جَفِن نُوْنى كَوَانِى[2]
يَاطَى قَلْبِى طَى بَالِى الشُّنُوْن بال الشُّنُون اللَّى طَوَاها طَوَانِى
ويَالَوْع قَلْبِي لَوْع لَذن الغُصُوْن لِى جَاه هِيْف في ليالِ الصَّخَانِى
ويَاحَنْ قلبِى حَنْ خِلْج بِكَوْن ويَاجَر قلبى جَر غَرْبِ السَّوَانِى
على الذى في حِبَّهُم وَلعَوْنى أبا السَّلامَة والله اللَّى رَمَانِى

(١) لحوني : اشعاري. مثايل : امثال.
(٢) بنونى : عيوني. شوك الفنون : شوك نبت الفنون. جفن نوني : جفن عيني.

تَـحَـيَّـلُـوْبِـى بـاهوى وَاطْرَحُوْنى	منهـم حَـبِـيْـب بـالمَودَة لَحَانِى
لَـحَـان وَارَّث فِي ضَـمِيْرى طُعُونِ	مَـكَّـن صَـوَابِـى والله المـسـتـعَان
من مَازَح الخَـفَرَات نِجْل العيون	غِـرْ الـجِبَاه مُفَلَّجَات الثَّمَانى
ومَـن لايَـعَـنَّـه نَـاقِضَات القُرُوْن	يَـبِـيْـع رُوْحِه بالفَنَا والهَوَانِى[1]
الى مِتْ في رأس الطَّوِيْل ادفنُوْنى	حُطوْا بِراس(مُصَوْدَعة)لِى مَكانى
مِـتْـبـيِّنٍ لاهل النّظا يَذْكُرُوْنى	قـالـوا لَـقِـيْـنـا بالمُرَفَّع مَبَانِى
ولازِم الـى جُوْگم هَلِى يَنْشُدُوْن	قولوا خَـفِى ماوَاجَـهَه مُوْدَمَانِى[2]
أخَـاف أنـا بِـنْـواحَـهم يَزْعُجوْن	في رأس مـابَـاحَ الـخَـفَى والبَـيَان
يـابـن نَـقَا لاتَقْبَل العِذْر دُوْنى	حِيْنَك وَصَيِّي وَازْم بِى من زَمَانِى
بِـمُـصَـقَّـلٍ حَـدهَ يقص المُتُوْن	شَـنْـعِ صَـوَابـه شَـذْرِتَـه مَاتَدَانِى
رَبْعِك هَلِ العَلْيَا حُمَاةِ الظّعُوْن	فَـوْق الـنَّظَا ومُعُوْلجَات العِنَان
وَبَاحَلْفِ لَك يوم قَفَّت ظُعُونى	غَـيْر العَنَا من شَوْفَهم مَاوَزَانِى

بـعـد هـذا سـلـم روحـه لبارئها، وتلقت أمه حزن الأربعة، ولايغنى حذر من قدر.

ومـا الحبُ الا حـاكـمٌ غيرُ عادل	اذا حـل قـلـبـا لم يجـد من يرده
ذَوَا بـلـه قَـامَـاتُـه وسُـيـوفـه	لِـحَـاظُ العذارى والقلائد سَرْدُه
فـان كـنـت ذالـبٍ فلا تقربنه	فـغير بـعـيـد أن يـصـيـبك حده

(١) لايعنه : آذنه. بالفنا والهوان : يبيع روحه باهون سبب.
(٢) مودماني : أي أحد.

سُرُور الأطْرَش

يحبها كأشد مايحب الرجال النساء.. جميلة، ومدبرة، ولطيفة ووفية.. عاش بها ومعها زمنا يطعم حلاوة الزوجية، و يلذ بشر يكة حياة، ور بة بيت، ومر بية أولاد.. فتدخل قر يب بينه وبينها حزازات وعداء، فجعل يكثر فيها لدى الأطرش المذمة، و ينال منها و يكثر.. ولعله في يوم حصل بين الأطرش و بين هذه الزوجة كما يحصل عادة بين الزوجين في كل زمان ومكان.. وكان الكلام الذى ملىء به رأس !الأطرش من قبل مرشحا لأن يطلقها طلاقا باتا، فذهبت لأهلها، وقبل أن تذهب أخذت خصلة من شعرها الأشقر الطو يل فوضعتها في جعبة الصيد، التى عادة لاتفارق منكب الأطرش، الذى هو مغرم بالصيد، متشبع بطرده، آلف له منذ نعومة أظفاره و يوما كان في طرده يحبو أثر سرب ظباء قد قرب منهن وأوشك يرميهن فأدخل يده في الجعبة ليتناول الطلقة منها، فدخلت خصلة الشعر بين اصابعه، ليخرجها خصلة شقراء، تقارب المتر رأسها معثكل، يفوح الورد من تضاعيفها، وتنساب في اليد ناعمة لدنة.. فنسي أنه يطرد الصيد، وانه على مقر بة منه جدا، وعلى مرمى قر يب، ولم يشعر الصيد الا والرجل يقفز من مجثمه صارخا لاشعور

عنده.. ويضع يديه على رأسه يستذكر أيام الزوجة الجميلة، وأيام كان هذا الشلال الذهبي من الشعر وسادته حتى الصباح.. آه ماأشقاه وماأشقى من وسوست له ضد محبوبته.. لقد عاد من قنصه، وهو يقول:

أمس الضَّحى عَدِّيْت في رأس الأَشْمَر	قعدت به لِيْن اغْتَشَانِي الظَّلامِ
عَدِّيْت في رأسه وقت اتَعَبَّر	وهَلَّيْت دمع مِثْل وبل الغَمَام
طَرَى عَلَّى اللَّى كِما الظبى الاَعْفَر	رِيْمِيَّةٍ قَادَت لِدِق الآدَامِي
تَقْطِف مِن النَّوَّار وتْعَاقِب الجَز	تَقْطِف زَمَالِيْق اليَهَق والخُزَامِي
ياعَلْ مَن كَدَّر علي يتَكَدَّر	وبحِجْرِ عينه مايَذُوق المنام
يامَرْحباً تَرْحِيْبَةٍ ماتَنَكَّر	وفَكَثْرٍ به من رُدُود السلام
بِك ياعَفَر بك يامُتَزْكَا بالاخمَر	بك ياقر نصف بِدَاجِي الظلام

تَـزَوَّجَهَا.. ثلاثة أيّـام ؟!

أبـو زو يد الشمرى شاعر شعبى فحل، من أحسن من يصوغ القـصـيـد، ويحـكـم البيت، ويجزل القول.. جل شعره في وصف الهـجـن ومـدح الـشـيـوخ، والحكـمة والـفـخـر.. ولم يـذكر له قبل وجدانيات.. الا أنهن لم يعفينه من أن يرضخ شعره لهن، و يعلق قلبه بهن.. ومن اكثر جمالا، وأوفر كمالا، وأغنى ملاحة، وأوسع غـنـجـا ودلالا مـن (خـزنة) الفضيل من قبيلة التومان، من شمر فـتـاة فـارهـة صورها الله جميلة، وأغدق عليها من مقومات الحس مـايحـار فـيـه الطرف، و يذهل أمامه التصور.. عارضته فابتسمت لـه، وداعـبته، وقالت: يقولون عنك انك ماتقصد بالنساء . لماذا؟ بـر بـك، الـذي يـرى مثل هذا الجمال ولا تندى شاعر يته.. هل هـو شـاعـر، الا أن قـلـبه ميت؟ فبهت.. ولكن سرعان ماعاودته شاعر يته، فقال:

القـلـب يَـسْـهَـر بـالـهَـواجِـيْـس و يْـدِيْر ... مِـن جَـادلٍ جَـتْـنَـا طَـوارِف طُـرُوْشَـه

قَـام الـفَـهِـيْـم وَصَـخَّـرْ الـقِـيْل تَـصْـخِـيْر ... مُـتْـرَايِـضٍ مَـا وَلـغُـوْه الـدَّحُـوْشَـه

والله لـولا بـاقـى الـنـاس لأشِـيْـر ... اخـاف مـن نـاسٍ تُـنْـثِّـر قْـشُـوْشَـه

لَـقُـول عـجُّـوْا بـالِـبـنـى الـغَـنَـادِيْر ... وعـزَّى لمـن لـه عـشـقـة مايَحُـوْشَـه

مُصَوَّرٍ مَنْبُوز الأَرْدَاف تَصْوِير تَصْوِير وَشْحا نايِشَتْها عُطُوْشَه

لابالقِصَار ولاالَطِوال الطَّنَاطِيْر ولابِالغِلاظ ولادِقاقِ نَشُوْشَه

خَده من المَوْت الحَمَر به دَوَاوِير وكن الصَّعَنْوى ذُورجَن في نُقُوْشَه

خَدّه عَفَر وأضفَر كَمَا زَوْيَة الكِيْر والخَشْم مَضْقُولٍ بِلَمَّات هُوشَه

والرَّدَف شط مُتَيِّهٍ لَه على ظِيْر أمه جَضُوْر ورَاعِيه مَايَنُوشَه

والاّ يُشَادِى نَابِيَاتِ الحَمَارِير عِقْبِ الهَبُوْب ونَايِشَتْها رُشُوْشَه

وأثْنَيِّواتِ التَّرْف غِرٍ مَغَاتِيْر مِن شَافَها يَسْقُم بَليَّا مَعُوْشَه

والعَين عَينِ اللَّى بروس العَنَاقِيْر نَجْلٍ سَواد عُيُونَها مع رُمُوشَه

تواصين على أبي زويد أو يخرجنه من مسلكه، و يقدنه الى أن يعلق بهن و يسخر شعره لهن وفيهن..

واذا كان قد قال هذه القصيدة الرقيقة في (خزنة الفضيل).. فلماذا لا تأتيه (مكيدة) بنت جمعان الغييثى، وهى الأخرى بارعة الجمال، صارخة الفتنة مكتملة الأنوثة، كل عضو منها يدل بنفسه، وكلها قصيدة من أبدع قصائد الجمال وأمتعها.. جاءته وهو بجانب الغدير، تخوض الماء رافعة عن ساقيها كأنها جمارتان مطعمتان بماء الذهب!!.. فسلمت عليه ثلاثا، وقالت الأولى لفرحى بلقائك، وقد ظللت دهرا أسأل عنك.. والثانية سلام الأخت على أخيها العربى.. والثالثة سلام الوداع.. وانصرفت، فانصرف قلبه معها، وهو لايعلم من هى..

فشغفته حبا، وانطلق في أثرها يسأل لكن كيف يسأل وانى له ذلك، فظل يهيم الى أن لقيه راكب، فقال له: ماذا قلت في (مكيدة) بنت جمعان الغييثى؟.. فعلم انها هى.. فانطلق شطر أبيها، وأسمعه هذه القصيدة:

يَارَاكِبَ اللّى تِقَل تَذْرَا مِن ايْده ... حَمرا على السَّنْدَا ضَرُوْمٍ بَشُوْع

حمرا تُدَنّى للديار البَعِيْدة ... عَمَّال مامَرَّت عليها القُطُوْع

رَكَّابَها يُوْصِل سلام(مُكيْدَة) ... حِبّه مُخَلٍ بالضَّمَايِر مُزُوْع

كل نهار العيد عَايَد وَدْيِدَه ... وأنا نهار العيد عِنْدى دُمُوْعى

يَانَاس هَنَّيْت القلوب البَليْدَه ... ماولَّعَنَّه زَاهِيَات الرَّدُوْعى

جَوٍ جَمَع من كِل سَمْوَا بَديْدة ... وجَان البَلَى من ذَيْهَبَان النَّجُوْع

الرأس ذَيْل اللّى تَلُوْج بِحَدِيْدَه ... شَقْرا تُرَادِى مِن هَواها القُرُوْع

ألقى هذه القصيده أمام أبى الفتاة، فلم تتمالك (والعذارى يغرهن الثناء).. لم تتمالك أن أطلعت عليه من خلف الستر، وقالت: ياأبا زويد: الله أعطاك جيزة ثلاثة أيام فقط تتمتع بهن ماشئت، ثم تطلقنى جزاء لك على هذه القصيدة اذا رضى والدى بذلك.. فقال الأب: لقد أوقعتينى في لسان هذا الشاعر.. اننى موافق.. فزوجه بها.. ولما انقضى الأجل هم بالرحيل، وأوصى والدها اذا لم تكن حبلى يطلقها، وان كانت.. فحتى يقضى الله مايشاء.. فأصبحت حبلى، وولدت

لـه ابـنـا أسـمـاه تركيا، ثم شاء الله أن تبقى زوجته رغم دمامة أبي زو يد وشيبه، ورغم جمالها النادر.

وهـكـذا تـلـعب الصدف دورها، و يأبى الله الا أن يتم أمره ولو كره الغيد الحسان.

شرف ومراقبة لله

وَاحِدةٌ.. بِواحِدة !

ماكان يدور في خلدها يوما.. أن هذا الشاب الذى يعيش معها في البيت خادما أمينا، حييا مؤدبا.. أن يبدر منه ما بدر، أو يصل به الحال الى هذا المستوى.. فانه جاء من بيت فقير جدا يتيما ملددا. فاحتضنته صاحبة البيت، وتولت تربيته، وتوجيهه التوجيه السليم في خدمة البيت والأمانة والثقة وحسن السلوك.. وقد أمنته ولم يخامر نفسها من قبله شك.. الا أنه في يوم، وبينما كانت نائمة في فراشها في غياب من زوجها، لم تشعر الا والغلام يهوى عليها مقبلا.. فانتبهت مذعورة، واذا به الغلام فأخذت العصا وأوسعته ضربا وطردته. وجعلت تفكر في مصدر هذه الظاهرة وأسبابها، وما الذى جرى حتى تكون عرضة لخيانة هذا الغلام.. ان هذا أمر له مابعده.

وعندما عاد زوجها من السوق وجدها كئيبة منكمشة.. فاستوضحها سبب هذه الكآبة والانكماش.. فأخبرته الخبر.. فهز رأسه وقال: أنا أعرف السبب، وهو بما كسبت يداى أنا.. لقد كنت بالأمس في مكان كذا، والصدفة هيأت الخلوة بينى وبين أمرأة، فغلبتنى نفسى وشيطانى فلمستها، فثارت في وجهى وأوسعتنى شتما وسبا.. فصرت أحقر من ذباب واخبث من

غراب، وأسرعت مختفيا أجر أذيال الخيبة، وأذهب بها سبةالحياة.. فما كانت والله هذه لى عادة.. وكانت نفسى أبية وشرفي محاطا محفوظا، ولكنها من قبيل كبوة الجواد ونبوة الصارم.

أرأيت كيف جازانى الله بها قريبا، وأخذنى وماجف لها بلل أو انطمس لها أثر، مما جعل هذا الغلام الذى ليس بأهل لهذا الموقف يتمادى الى هذا الحد، ويصل الى هذا البعد.

وصدق رسولنا عليه الصلاة والسلام حين يقول: عفوا تعف نساؤكم
وأخيرا واحدة بواحدة.

لعل بالأمر خيراً ..!

التوكل على الله وارجاع الأمر اليه في السراء والضراء، وادراك أن ماأصاب المرء لم يكن ليخطئه، وماأخطأه لم يكن ليصيبه.. هذا مبدأ من مبادىء المؤمن الحق، الذى يفوض أمره الى الله.. فان اصابته سراء شكر فكان خيرا له، وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له.. وليس معنى هذا أن يكون المرء تكلة يحيل على القدر كل شيء، ولكن ليعمل، وليبذل الأسباب كما أمره الله، وكل ميسر لما خلق له.

هذا رجل مؤمن صحب رفقة له في سفر ليمتاروا من بلاد بعيدة، وكل ماحصل مناسبة أو أى أمر يقع، يقول هذا المؤمن: لعل بالأمر خيرا، و يكثر من ذلك.. وفي عودتهم محملين ركابهم بالميرة أناخوا بمكان مساء لترعى ركابهم وليبيتوا، وفي الصباح يستأنفون سيرهم.. فذهب الرعاة بالابل ليرعوها، وعندما أظلم الليل اقبلوا بالابل. وفي مكان منزو عقلوا به ابل هذا المؤمن، وراحوا ببقية الابل بقصد امتحانه.. ولما سألهم عن ابله.. قالوا: ضلت منا، وكل الوقت ونحن نبحث عنها، فلم نجدها.. ويجوز أن القوم اختطفوها وذهبوا بها.. فلم يزد على أن قال: لعل بالأمر خيرا.. كلمته التى يرددها دائما.. فسخروا منه وضحكوا.

وقالوا أنت في موماة لاماء بها ولاساكن، منقطعة عن كل أنيس الا من الوحوش، وربما اللصوص وميرتك مطروحة بالأرض، ولايمكن لرفقتك أن ينتظروك في هذا المكان لئلا تهلكوا معا.. ومع هذا تقابل الأمر بكل برود، وبكلمتك الدائمة ان لأمرك لعجبا.

باتوا في مكانهم، وفي الليل هجم اللصوص، وأخذوا ابلهم وميرتهم الا ميرة الرجل، فانهم لم يجدوا مايحملها، وفروا بها، ولم يعلموا عن ابل هذا الرجل المعقولة خلف الجبل.. وفي الصباح علم هؤلاء أن هذا الرجل على بصيرة من دينه، وعلى ثقة من وعد ربه وأن ايمانه هو الذى جعله يتمسك بكلمته الخالدة، ويلاقى كل مصيبة بالايمان والارتياح لقضاء الله وقدره.. فاحضروا ابله، وحملوا عليها ميرته، ومابقى لهم من ماء وغذاء، وأصبحوا كلهم عالة عليه حتى وصلوا.

ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

شَرفنا مَانَبيْعَه بالأَطْمَاع !

كانت على نصيب كبير من الجمال، وهب الله لها منه وأجزل، وكان بيتها عاليا، وشرفها سنيا.. وهى أيضا عفة كريمة شريفة.. أرادها شيخ القبيلة بعد أن فتنه جمالها، واخذته ملاحتها، وشغفته حبا، ولو لم يحصل منها الا على عشرة بريئة، أو حديث عابر، ولكنه أخفق.. ولم يزل يعاود محاولاته، ويرمى شباكه عسى ولعل.. ولما علمت أنه لن يتركها أرادت أن تبثه درسا خاصا عسى أن يكون فيه زاجر ورادع.. فحملت امرأة له وصية، هى أنها معوزة وبحاجة الى مايسد خلتها ويقضى حاجتها، ولا ترغب من حر ماله شيئا قطعيا، وانما بحكم أنه شيخ القبيلة، ومسموع الكلمة تريده أن يفضى الى جماعته في المسجد بأن هنا من هو محتاج، والصدقة فيه مخلوفة، والانفاق عليه متعين، ويكرر ذلك ثلاث مرات في فترات متباعدات.. حملت هذه المرأة رسالتها الى الشيخ فوجد في هذا منفذا لعله يصل منه الى غرضه.. ففعل مع جماعته المرة الأولى، وبعد فترة عمل الثانية، والثالثة.. ولما تجمع المال لديه بعث لها المرأة بأن تحضر في المكان الفلانى الساعة الفلانية من أجل استلام المال.. فاصطحبت معها امرأتين، وجاءت اليه في زمان الموعد ومكانه..

فبهت حينما رآها تصطحب معها نساء.. ولما واجهته قالت يافلان: ماالذى حملك على هذا؟.. أتظن أن المال مهما كثر سوف ينزلنى عن شرفي وعفتي.. هذا المال الذى جمعته لاأريده، ولكن قل لي بربك كيف وضعك حينما مددت يدك للمرة الأولى تأخذ تبرع الناس، ثم المرة الثانية، والثالثة.. اصدقنى.. قال في اليوم الأول اغمض عينى ولاأكاد أبصر الناس، وفي اليوم الثانى أسارقهم مسارقة، وفي اليوم الثالث لامبالاة عندى.. فقالت هكذا أكون لو انزلقت في الرذيلة، فانها لم تزل بى حتى الاستهتار والتهور.. فاتركنى بعفتى وخف الله في نفسك وفي محارمك، ولعل فيها عبرة وعظة لك، وأنشدت:

حِنَّا شَرَفْنا مانَبِيْعه بالأَطْمَاع   لَو حَدَّنَا من بعض الأيام عَازَه

الشيخ مِثْلِك مَايُخَوِّع تَخُوَّاع   العِز والطَّوْلَة بِدَرْبِ العَزَازَه

لِيْن اِنْدَنس عِرْض الفتى والخَبَر شَاع

مايَنْتَجِبَّر مِثل كِسَر القَزَازَة

سَلْم العرب بين الآجَاوِيْد ماضاع   ومن ضيّعه رَبّى يَعَجِّل نَجَازَه

اللُّصُوصِيَّة .. لاتمْنَعُهم من فعلِ الخير !!

حيافة الخيل وسرقتها عند العرب فن لايحذقه الا من تمرس به وراض نفسه عليه، الى جانب مايحمله من قلب ذكي، وشجاعة نادرة.. فالخيل عند العرب غالية وعزيزة جدا، قد تصل قيمة بعضها الى مائة ناقة.. فهم يحافظون عليها محافظة تامة، ويتخذون الأقفال الصلبة وسلاسل الحديد لربطها، ويحتفظون بالمفاتيح في احشائهم.

هذا أحد لصوص الخيل يقطع الديار ماشيا على قدميه، ويسير في الليل، ويكمن في النهار لئلا يبصر به أحد، ويتخذ حذاءه سبتا واحدا يحزمه على قدميه، ويجعل ماءه في سقاء لايتجاوز حجمه كف اليد، واذا ورد الماء أخرج خيطا دقيقا مبرما واستقى به وملأ السقاء.. أما قوته فيكون في جراب صغير جدا، وأما لباسه فيكون قاتما أغبر كطبيعة الأرض التي يتلصص بها.. فهو ذئب بشرى أطلس.

تسلل هذا الى مضرب أحد شيوخ البادية، لديه فرس أصيل مفوهة مشهورة بعلو بيتها وأصالتها وفراهتها وقوة عدوها.. فهي تَلحق ولا تُلحق.. ولما جن الليل انسحب مع منخفضات الأرض ومنابت الشجر حتى ولج خباء الشعر على غرة من أهله، ودفن نفسه تحت المتاع الا من ثقب يسير يبصر منه، ويرى حركات

مـن في الـبـيـت وسـكـنـاتهم.. ظل هكذا الى أن اجتمع الرعاة وتـعـشـوا وذهـبـوا هـنـا وهنالك.. أما صاحب البيت فانطلق نحو جماعتـه للسـمـر وأحـاديـث الليل، وهم عادة لايشربون حليب الـنـيـاق الا قـبـيـل الـنـوم.. فجاء الراعى وحلب في اناء وناوله سيدته التى اخذته ووضعته أمام البيت ليبرد، وذهبت وتركته.. ولم يـشـعـر هـذا اللص الا بحية عظيمة تنساب من داخل البيت وتـقـصـد اللبن، فتعب منه وتبصقه في نفس الاناء ثلاث مرات، ليصبح سما ذعافا لايرد النفس شاربه، ونكصت الحية من حيث أتـت، وظـل الحـليب كما هو ينتظر صاحب البيت ليأتى فيكون حـتـفـه حـالا.. وبـعـد قـلـيل جاء رب البيت وقصد اللبن رأسا كـالـعـادة، ولما أخذه بين يديه لم يطق اللص أن يصبر ليرى هذا يموت أمـام عـيـنـيـه، فـانـطـلـق صـوتـه مـن داخل البيت يقول: لاتـشـرب.. لاتـشـرب انـه سم فوضع الاناء، وقال: ويلك من أنـت وكـيـف وصـلـت الـى هذا المكان؟.. فخرج وأخبره الخبر كـلـه، وقـال أوقـد النار لترى أثر الحية.. فلما أوقد النار رأى أثر حـيـة شـنـيـعـة جـاءت الى اللبن، وعملت عملها فيه.. فصمت قـلـيلا، وقال: انت ضيف لى هذه الليلة معززا مكرما، والفرس التي جـئـت مـن أجلها هى لك لقاء عملك الجليل الذى اسديته لى.

وهـكذا لاتحول لصوصيتهم دون عاطفة الخير فيهم، ودرء الشر عن الآخرين.

السَّعِيدُ مَن وعِظَ بِغَيْرِه

* كان ثريا جدا، وكان قد انهك نفسه في جمع هذا المال قبل، ثم في حياطته وتنميته واستغلاله، فهو عبد للمال، وليس المال عبدا له.. ومع ذلك فهو شحيح على من تحت يده، ضنين بالمال حتى في واجباته الدينية والخلقية.. وحتى في مظهره، ومركبه، وملبسه.. ومرة هبط المدينة التى تليه، وكان صائما في رمضان فلقيه شخص يعرفه معرفة غير مكينة، فدعاه للافطار، فلبى الدعوة.. ولما قدم الافطار اذا به منَّوع الألوان والأصناف، واذا بعدد من المدعوين، ومن الذين اعتادوا أن يتناولوا الافطار في هذا البيت.. فأفطروا، وقال: ان موعد العشاء بعد صلاة المغرب، وكان هذا الضيف يظن أن ماقدم هو العشاء لوفرته وتعدد أصنافه، ولما ادوا الصلاة جاءوا ليقدم العشاء مالذ وطاب، ولما انتهوا قال له: ياأخ اننا لانتكلف، وهذا طعام دائم مقدم لك ولغيرك، فما دمت هنا فأنت ضيف لنا.. وظل هكذا اليوم الثانى والثالث.. ولما هم بالرواح سأل أحدهم، قال: هذا فلان، اننى أعهده متوسط الحال، أو أقرب الى الفقر، وقد تغيرت حاله بعدى فما الذى كان؟.. قال سبحان الله أما تعرف ان فلانا الثرى الكبير قد توفى ولم يرثه سوى ابن صغير

وامرأته، فتزوج صاحبك هذه المرأة وولدت له ابنا، ومات ابن الثرى الكبير، فانحصر الارث في ولد صاحبك هذا وفي المرأة، ليصبح ثريا كبيرا وسخيا أيضا، يعطى المال حقوقه، وينفقه في طرقه، حتى اننا نسميه (قضاعا) لكثرة مايقضع من المال أى لكثرة ماينفق.. فجمعُه الأول البخيل وخلفه لقضاع ينال منه حمدا في الدنيا وأجرا في الآخرة.. ألم تسمع الى الشاعر العربى الذى يصف البخيل ماذا يقول.. انه يصفه هكذا:

كَكَلْبِ الصَّيد يَتْرُك وهو طاوٍ فريسته لِيَأكُلَها سِوَاه

وكان صاحبنا الضيف بطل القصة على كثرة ثرائه ليس له الا ولد واحد، فخشى من قصة الثرى البخيل، وقصة القضاع.. انها تنطبق عليه.

فعاد الى بلاده، وقبل أن يعود الى بيته قصد السوق فبعث بأحمال الحطب، وأصناف المأكولات، والمشروبات، والملبوسات أمامه، وفتح بابه للأضياف، والمحتاجين، والأقرباء.. وجعل ينفق مما أعطاه الله بطيب نفس وطواعية خاطر.. فقالت امرأته: ماهذا التحول ياأبا فلان، فقال:

نَبِى نَبِيْد المال قَبل يَبِيْدنَا قَبل يَجى للمال قَضَّاع يَاكِله
سُوَاة من قَبْلِه جَمَع مال مَاكَلَه مِنَّه حَرَم نفسه لَذِيْذِ مَوَاكِلِه
جَمَعْها من الأخْطَار بالبيع والتَّعِب ماآسْدَي جميل ولاكسِب منه طَايِلَه
جزى الله بِنوٍّ الخير من شَاف سِيْرته تَصَوَّر بِنَفْسه كل مابَقِى صار له

يَتُوب بسبب ثُعْبَان

لو قيل أى صنف من الناس تكاد تجتمع فيهم النقائض، وتصطحب فيهم الأضداد، وتختلف فيهم الظنون لكدت أقول انهم اعراب الصحراء، هؤلاء الذين جاءوا بالمعجزات وخرقوا العادات.. فانك لواجد فيهم جفاء الطبع، وغلظة القول، وخفة الأحلام، وقسوة البطش، ورقة الدين، وشدة الطمع.. وانك لواجد فيهم أيضا فرط الذكاء، وشفافية الاحساس، وصفاء الذهن، وسرعة الخاطر، وكرم النفس، والشجاعة، والغيرة، والصبر، وشدة الأسر والوفاء.. كل هذه الصفات وغيرها تجدها في الاعرابى، ولكن صفات الخير ودواعى الفضيلة تغلب دائما فيه الصفات الأخرى.. وبأدنى قيادة أو ترويض يدعوانه الى الفضيلة تجده يترك مالديه من عادات سيئة ويشرب قلبه الحب بشكل غير معهود، وحسبنا وقائع التاريخ ودروس الزمن فانها خير شاهد على مانقول.. والا فمن يصدق أن (حجرفا) الذويبى أحد زعماء قبيلة حرب الكبار، والمعروف بالسطو على أموال الآخرين، وتزجية الاغارة اثر الاغارة على من عرف وعلى من لايعرف، حتى كانت القبائل منه في هلع يصبِّح واحدة ويُمَسِّى أخرى، وكان من هم على شاكلته من عشاق النهب والسلب

وأهل شريعة الغاب متمسكين بغرزه ومتعلقين بركابه، وله عليهم القيادة والسلطة.. من يصدق أنه ذات يوم من أيام غاراته وفي حشد من حشود طائفته المتهيئة للكر على قوم آمنين يأوى به المسير الى كهف صغير منزو عن المارة واذا على بابه ثعبان عظيم الخلقة، متغضن اللحم، متشقق الشدقين، وقد ترك منه طول الدهر ثاويا شثن الجلد، مقوس الظهر، اعمى العينين، تتردد منه الروح في جثة هامدة.. واذا به يفتح فاه ويتركه مفتوحا ثم تأتى الحشرات والفراش فتقذف بنفسها فيه فيلتقمها، ثم يعود فيفتح فاه لتأتى أخرى وأخرى، وهكذا حتى شبع وعاد الى جحره.. أما صاحبنا (حجرف) فقد استوقفه هذا المرأى، وأُخذ بهذا المشهد وظل حائرا مبهوتا متعجبا لامن هذا المرأى فحسب ــ وان كان فيه منتهى العجب ــ بل من الانسان صاحب العقل والادراك والحول والطول.. ثم لايمنعه ذلك من أن يضيق برزقه ذرعا، وتتسلط عليه نفسه طمعا وهلعا، ويصبح ويمسى من هم قوته في هم ومن طرد دنياه في ألم.. ثم لاتقف به الحال عند هذا المدى ولاتقنع منه نفسه بهذا المنتهى، بل انها لتجره الى ماهو أدهى وترديه في هاوية لامزيد عليها من انحطاط وتدهور.. تجره ليتجرد من دينه وانسانيته، ويتناسى كل شيء في سبيل طمعه وجشعه.. فيأتى أخاه غارا آمنا فيسفك دمه ويوتم أولاده، ويرمل نساءه، ويستاق ماله تهزه النشوة، ويسكره النصر ويفرحه الطمع.. كانت هذه الخواطر التى استبدت بتفكير

(حجرف)، وهذه الأحاسيس هى التى راودت نفسه وأنسته كل شيء يفكر فيه ماعدا هذا المشهد العجيب.. و بعد أن سار القوم غلوة، ولما يلحق بهم صاحبهم أخذوا بأعناق المطى، واستوقفوا الركب وظلوا في انتظاره، ولكنه لم يأت فعادوا أدراجهم ليجدوا صاحبهم منكس الرأس، ينكت الأرض بسوطه مستغرقا في التفكير فهالهم مارأوا منه.. وقالوا مالك ياحجرف؟، فقص عليهم القصة، ثم قال من فوره: أشهدكم انى تبت من عملى هذا، وسوف لاأطلب رزقى مازلت حيا عن هذه الطريق المعوجة وأردف:

يَرْزِقْنَى رَزَّاق الحَيَايَا بِجُحْرِها   لاخَايَلت بَرِق ولاهِيْب حَايِلَه[1]

فشأنكم وأنفسكم، وها أنا أعود من حيث أتيت.

و يعود حجرف الى منزله، و يرى منه أهله وعشيرته مسلكا واتجاها غير ماذهب به من عندهم، فقد اختفت تلك الشرة، وخبت جذوة ذلك الحماس والاندفاع نحو الشر والغدر.. وهذا مارأوه منه ابقاء على نفسه، وضنا بمهجته طالما وضعها على كفه ليبيعها بأرخص الأثمان.. ولكن أنى لهذا البيت المبنى على نشز من الأرض ليراه الأضياف من مكان فيقصدونه ويجدون فيه الضيافة وحسن الاستقبال، وأنى لهذه النار الموقدة ليل نهار

(١) خايلت : برق شامته. حايلة : منتقلة

تنادى الطارقين أن هلموا فهنا القرى وحسن الضيافة، وانى لهذه العشيرة الضاربة حول هذا البيت تعيش في كنفه وتأوى اليه.. انى لهذا كله مورد يدر عليه، وقد جف ذلك المورد، ونضب ذلك المعين الذى يجىء به كل غارة كأنه أجزاع النخيل من النعم والغنم والسلب.. وكان ماتنبأ به هؤلاء فلقد نضب المورد، وجف الريق، وطفق يستدين ممن حوله، و يعرض كل يوم حر وجهه على رجل أعطاه أو منعه، واذا بمن حوله ينفضون عنه، و يتركون ذلك البيت قائما كأنه هضبة واحدة، ولطالما احاطت به بيوت العشيرة والجيران احاطة السوار بالمعصم، وبينما هو ذات ليلة من ليالى الشتاء الباردة الممطرة يسامر همومه، و ينادم هواجسه وقد مضى هزيع الليل الأول، واذا بجانب بيت الشعر يتحرك حركة قوية، واذا جلبة حنين تحف بالبيت هجمة من الابل السود تبلغ الثمانين ساقها القدر الى بيته، وظلت تحك رقابها فيه، ولايعلم من أين أتت ولامن هى له.. فظل يشرب و يسقى أهله وأضيافه من البانها و يأكل من فصلانها، وتنمو لديه نماء عظيما و يبسط له في رزقه، وتأتيه الدنيا وهى راغمة كأوفر ماتكون، رغم محافظته على جوده وسخاء نفسه، و يعود ذلك الفريق الذى انفض عنه ليجد ماكان يجده من قبل وأكثر منه.. واقرأ:

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا، و يرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا).

الجوار وإكرام الضيف



الأَدْنَى .. بالأَدْنَى

للعرب عادات وتقاليد يصعب عليهم تخطيها، و يكبر عندهم التهاون بها، درجوا عليها خلفا عن سلف، وتوارثوها عن الأباء والأجداد، وانتزاعها منهم أو قلعها من نفوسهم أمر ليس بالسهل.

هذا (جهنى) أخواله (عنزة) جماعة الشيخ (الأيدا) تغرب زمنا، ولما قدم من غربته ومكث عند أهله مدة، جاء لز يارة أخواله من عنزة في مضاربهم.. وعادة العرب اذا جاء ضيف ان لايتخطى البيت الذى يليه الى غيره، الا اذا كان لأمر مهم أو لحاجة ملحة.. ففى مثل ذلك يتسامح معه.. أما هذا فليس له عذر قائم يجعله يتخطى البيت الأول.. فأناخ عنده، وحالا ذبح له كبشا، ولما علم أخوال الجهنى بقدوم ابن اختهم جاءوا للسلام عليه.. فكان أول مابادرهم به صاحب البيت، واسمه ونيديس الربينى أن قال: الله يحييك ياضيفنا، وأنت عان لغيرنا يوم أن ولد اللاش خلا لوازمه.. يسمع أخواله هذا الكلام، فثارت الأنفة في نفوسهم، واستحكم الغضب معهم، وأصروا على أن يأخذوه قبل أن يأكل ضيافته.. واصر صاحب البيت أن يبقى، فشهروا السلاح، وكادت تكون فتنة فقال أحد عقلائهم:

نرجع الأمر للعارفة (واسطة يتحرى حل المشاكل)، واصلاح ذات البين بطرقه الخاصة (وحينما يوجه الأمر وجهته يسمح الكل بتوجيهه) فأحضروا العارفة حالا، وعرض كل من الطرفين حجته ووجهة نظره، ولكى يأتى بحل فيه اقناع للجميع.. أتى بغريب من الأمر، فقال صاحب البيت الأول له حق، والأخوال أيضا لهم حقان.. حق الخؤولة، وحق القصد أنه جاء قاصدا لهم.. ولكن اذا استطاع الأخوال أن يركبوه على راحلته وهى معقولة، ويكون قرن الدخان ــ السبيل ــ في يده مولعا وعليه جمرته، ثم يحملون الراحلة والراكب فوقها، حتى يوصلوه بيوتهم بدون أن تسقط جمرة ــ السبيل ــ .. فهنا الضيف ضيف الأخوال، والجماعة يأكلون ضيافة صاحب البيت.. فاجتمع الأخوال، وكانوا اشداء عمالقة فأركبوه راحلته بعد أن عقلوها، وحملوها الى بيوتهم ولم تسقط جمرة السبيل.. وقيل إنها اهتزت وتدحرجت على اصبع الضيف، وظلت تأكلها حتى وصلوا، ولم يبد ايما حراك.

هذه من عاداتهم التى لايتحولون عنها، ومن انفتهم عندما يغمزهم غامز، أو ينال منهم متنطع..!.

مُسْقِي ظَوَامِي قَصِيْرة

اكرام الجار، وحماية الذمار، والذب عن الديار.. من ابرز خصال العرب التى يحافظون عليها، و يرونها واجبة لا يتخلون عنها، ولايتساهلون فيها.

والتومان بطن من قبيلة شمر، معروفون بالمواقف المشرفة، والصبر وتحمل دروب المروءة الشاقة، ومن رؤسائهم آل عايش هجرس، وكردى، ووقيان.. نأى بهم طلب الكلأ في الربيع الى مكان قفر، بعيد عن الديار والمناهل.. فاستمرأته ماشيتهم، وطاب لهم المكث فيه.. وكلهم أهل ابل ماعدا جارا لهم فانه صاحب غنم.. وظلوا في مكانهم حتى بدأ النبت يصوح، والعشب يذبل، وبدأت مقدمات الصيف ترسل فحيحها الحار.

وفي يوم انطلقت عليهم رياح النعامى ــ الهيفية ــ وهذه تظمىء الماشية في ساعات، والماء عنهم مسافة يومين تقريبا لسير الابل.. فما بالك بغنم الجار انها ستفنى لامحالة.. فقالوا لجارهم نحن واردون الماء وبُعدُه كما تعلم، فما النظر بالنسبة لغنمك والوضع كما ترى.. قال: انها هالكة لامحالة.. فالذى أرى أن تذبحوها وتحملوا لحمها وتأكلوه بدلا من أن تأكلها السباع، قال

ابن عايش رئيس القوم: بل أسر بها هذه الليلة في اتجاه المنهل الفلانى، وأنا أعهد في منتصف الطريق ثمدا، ربما يكون حيا فنسقى غنمك منه، وتحملها هذه الشربة الى المنهل.. فساروا بابلهم، ووعدوا صاحب الغنم مكانا معروفا، فسار بغنمه طوال الليل.. أما ابن عايش وجماعته، فانهم حينما وصلوا مكان الوعد جمعوا حياضهم كلها ومزاداتهم وآنيتهم عند الابل، وأخذوا يحلبونها حتى ملأت كل ما لديهم من آنية.. ولما وصل صاحب الغنم بغنمه جعلوا يرسلونها على اللبن ارسالا حتى رويت وضربت بعطن، فأيقن حينئذ صاحب الغنم بسلامة غنمه، ومن ثم ساقها الى المنهل فوصلت كلها سالمة.. وهكذا يفعلون في اكرام الجار.

وفي هذه القصة يقول معاشى بن جحران من الطوالة شيوخ الاسلم يمدح ابن عايش بطل هذه القصة:

يَارَاكِب اللَّى مايُعَوْق مَسِيْرَه مِن سَاس عِيْرَات هِمَامٍ خِفَاف[1]

تَلْفِى عَلى مُشقِى طَوَامِي قَصِيْره بِالمَقْطَعَة مِن دَرْحِم الشّعَاف[2]

قِل له سلام من(مُعَاشِى)عَشِيْره لِرَاعِى الصَّخَا مِشْبع عِيَالِ الضَّعَاف

(١) ياراكب اللي : التي. من ساس عيرات : من أصل جيد عيرات : نجيبات.

(٢) المقطعة : القطيعة. درحم الشعاف : در رؤوس الشعاف. وفي التعبير كناية.

ابن صُوَيْط وحِفْظِ الجِوَار

آل صويط شيوخ قبيلة الضفير، وذوو مكانة في مكارم الأخلاق سامية، وأخلاق عربية أصيلة، وفضل وسمو مكانة.. وكان بجوارهم أسرة من آل عريعر شيوخ بنى خالد.. هذه الأسرة من آل منديل، نبغ منهم شاب يدعى عبد الله في الفروسية والقيادة والغزو والكسب.. وكان قبل يغزو هو ومن معه من جماعته.. ولما اشتهر بسداد الرأى واستمرار التوفيق لم تخفق له غارة، ولم يرجع مرة خائبا، ويجد كل من يتبعه نصيبا من المغنم وفيرا.. جعل الضفير يتبعونه في غزواته، ويتركون شيخهم ابن صويط.

ومرة اتفق مع ابن لابن صويط على أن يغزوا جميعا.. ولما جد بهم السير في غزوهم كره ابن منديل أن يتأمر على ابن صويط وهو صاحب الرئاسة في الضفير، وابن منديل لايعدو أن يكون جارا عندهم.. فقال له: أنى لاأكون أميرا في قومك ولافي قوم أنت فيهم، ونحن بين مسألتين: أما أن أكون تابعا لك، واما أن تسمح لى أنا وقومى بالانخزال عنك، ولم يزل به حتى وافق ابن صويط على أن ينخزل ابن منديل بأصحابه، ولم يدر أن القوم كلهم سوف يتبعون ابن منديل من أجل خصائص القيادة

التى تـتـوفـر فيه.. فلما اتجه كل أمير الى جهة انصاع القوم كلهم في اثـر ابـن مـنـديـل، وتـركـوا ابـن صو يط وحده.. فاضطر لأن يـلـحق بابن منديل، وأن يكون تحت قيادته، ولكنه قد أضمر له سوءا.. فأغاروا على من أغاروا، وكسبوا كسبا كبيرا، ومع ذلك فـقـد احـتـفـظ ابـن منديل لابن صو يط بمكانته.. فلم يأخذ منه ولامـن حـاشـيـتـه نـصـيـب الـقـيـادة الذى اتفق العرب عليه في عـاداتهم، بل ترك نصيبهم موفورا.. ولما عادوا الى مضاربهم وجاء ابـن منديل لز يارة الشيخ ابن صو يط أبى الولد الذى صحبه في الـغـزو.. فـحينما رآه ولد بن صو يط مقبلا أخذ بندقيته وكمن له في الـبـيـت الذى يلى والده، ولما استقر به القرار على القهوة سدد الـشـاب بندقيته الى ظهر ابن منديل.. فخر منكبا على النار، ولم يـزد على أن قـال: (جـاركـم وعلى نـاركم) وقضى.. فكبر الأمر على ابن صو يط الشيخ وأحضر آل صو يط ليستشيرهم في الأمر، فـكـل أدلـى بـرأيـه.. أمـا الـشـيـخ فقال: لايغسل عار هذه عند الـعـرب.. الا أن أقـتـل ولدى[1]، فقالوا: الأمر لك، فقال لأخيه عـم الـشـاب: قـم وأقـتـلـه أمـا أنت يافلان فقم واردد والد ابن مـنـديل الذى احضر ركابه وهم بالرحيل: وقال: جهزوا الاثنين مـعـا، واجـعلوا قبريهما متجاور ين لكى نغسل عارها، ونبقى دائما مرفوعى الرأس موفورى الكرامة..

---

(١) وقيل : إنه ابن أخيه.

وهكذا يفعل العرب في سبيل حماية شرفهم، والبقاء على مكارم أخلاقهم.. وذهبت هذه القصة مثلا عند العرب.. وركبها الشعراء يمثلون بها، و يأتون بها في معرض الفخر والشرف.

يقول أحدهم معرضا بآخر ين:

لَعَل ماأنتُم مِن قَدِيمِيْن الأفعَال اللّى فِدَا بُشرَة فُوآده بِجَارِه

و يقول الآخر:

تَلْقَى هَل الفَرْدَة هَلَ المَجْد والثَّنا ماخَفَّوا الأَنْزَال هُمْ مِن ثِقَالِها
أفْعَالهم تَشْهدَ على الطّيب وَالنَّقَا قصيرهم ساقوا عنه من عيالها

و يقول ثالث :

عيال الصويط اللى هم ذكر وأفنان أفْعَالهم تُذْكَر ولاَ هِى خَفِيِّه
بِالجَار ماسَاقوا مَخاسِيْر وَاثْمَان ذَكّوا وَالذْهُم مِثل ذَبْح الضَّحِيّه
والحُنْرُبِى فَكُوْه من سَبع سِلْفَان وذَوْد الفِرَاوِى جَابِليَّا دِعِيِّه

تحامته العرب.. فأجارته حرب!

عنزى، أصيبت ابله بالجرب، وأين ماوجه بها طرد مخافة أن يعدى مرضها إبل الآخرين.. والجرب داء خبيث يصيب الابل، فلايزال بها حتى يبيدها وعدواه تسرى سريان النار في الهشيم.. فضاق هذا العنزى ذرعا بابله، ولم يدر مايصنع بها ولامن أين يسقيها فقرب من قبيلة حرب لما يتوسمه فيهم من الخير واكرام الجار.. فكان أدناهم اليه بطن (بنى علي) قبيلة الشيخ الفرم، فجاء الى أقربهم جوارا منه (خالد القرن)، و(ابن ذو يبان).. فقالا: تعال واسق ابلك، وجاور لدينا حتى تبرأ ان شاء الله، ونحن نتوكل على الله، ولن يصيبنا الا ماكتب الله لنا.. فجاورهم فظلوا يساعدونه على معالجة ابله، ويسقون له، ولايرضون أن أحدا يتعرض له بسوء أو يسمعه كلاما يسؤوه حتى برئت ابله، ووجد من جوار هؤلاء الكرام مايسره.. وعلى الرغم مما بين حرب وعنزة من عداء في الزمن السابق أيام الغارات، والناهب والمنهوب شريعة ذلك الزمن لاأعادها الله.. إلا أن هذا العنزى أنصف جيرانه حربا ومدحهم في قصيدة جيدة بما هم أهل له، فقال:

قَالوا عَلاَمِك يَوم تَبْكِى على حَزب　　تَـبْـكِـى عليهم قَوْم مايَنْبَكُوْنِ[1]

قِلت البُكَى ماهو على البِعْد والقُـــرْب

أبكِـى عليهم عِقِب ماقَاصَرُوْنِى

آزبع سنين وكـل مَرْحُـوْلَنا جُرْب　　مَاآوِمؤا عليها بِالعصا يَطْرُدُوْنِ[2]

عن دَرْبِنا ياليت مَاجَالهُم دَرْب　　وِلا هَـلّـت العَبْرَة عليهم عيونى

ياعَنْك ماهُمْ من هَلِ الهَزْب والـــزَّرْب

ولاهُـم لِـغِـرَّة جَـارهـم يَـنْظُرُوْنِ[3]

رَبِع على الشَّطَّات والهُوْن والكَرْب　　بِـاشْـمُـوْنُـهـم وافْعُوْلْهُم يُمْدَحوْن

تَنْشر هـم بَيْضا مـن الشرق والغرب　　ولأنِيْب لاحِق فَضِل مَن قَدَّرُوْنى

بَامْوَالِهـم ذَوْدِى يُقَدَّم على الشُّرب　　ومَـرْحُـوْلنا يِقْدِم وهُـم يَقْـهَـرُوْن[4]

وان حَلِ عند قِطّيهن لِلْقَنا ضَرْب　　يَتْـلُون ابو جَـلاَّل حَـامِى الظعون

تَـلْقَى دِمَا الفُرِّيس مِنْهم لها سَرْب　　هـذا طِـرِيْح وذا غَـمِـيْق الطعون

---

(١)ماينبكوني : مايبكون.

(٢) كل مرحولنا جرب : كلها جرباء.

(٣) ياعنك : تالله. الهزب والزرب: أهل الملامة والتزريب.

(٤) ذودي : ابلي. مرحولنا : ابلنا.

هكذا.. يعاملون الضيف .. !

عنزى حل ضيفا على شمرى، فصادف أن صاحب البيت غير موجود، وأن البيت خاو ليس فيه مايطعم، وصاحبه ذهب يمتار من المدينة، فوقعت المرأة صاحبة البيت في حرج، وطفقت تقبل وتدبر ولا تعلم ماذا تعمل.. ففطن لها هذا الضيف مع رفقته الذين كانوا معه تابعين له.. فقام اليها داخل البيت وقال: انني أشعر أن البيت ليس فيه طعام.. فحلفت له بالله أنه ليس فيه مايقدم لكم فاعذروا، فقال: لاضير ولاغضاضة.. فهذه أمور دائما تقع ولا تتأثرى، فنحن عاذرون وشاكرون.. اعملى على اعطائنا قليلا من الدهن ان كان موجودا، لتظهر آثاره علينا أمام الفريق فقط، وأوقدى على القدر ليرى الدخان.. فعملت ذلك ومشوا شاكرين ومقدرين ليسمعوا جيرانهم.. وحينما قدم صاحب البيت أخبرته زوجته أن صياح المرتعد شيخ قبيلةاليمنة من ولد سليمان من عنزة قد حل ضيفا علينا، وهذا ماصار، وانه انصرف مثنيا وشاكرا.. فأسف صاحب البيت، وأحضر بعض جماعته، وأحضر ذبيحة وقال: أشهدكم أن هذه الذبيحة ومايلزم لها أمانة في ذمتى لفلان ــ يقصد ضيفه صياح ــ وعلى أن انميها وأحوطها بالرعاية حتى

أسلمها له.. وهكذا حتى اصبحت هذه الذبيحة بالتنمية غنما، فساقها اليه.. ولما جاء ليسلمها له قال صياح: ان الضيافة ليست لى وحدى، وانما ثلثها لرفقتى، وثلثها لصاحب البيت وثلثها لى.. ولم يزل به صياح حتى أقنعه بهذه القسمة.. وهكذا تم.. فقالَ الشمرى منشدا:

يَالْمرتَعِد وَاجِبْك حَق وصَايِب ... حَق على اللّى يَفْهَمُوْن المَوَاجِيْب(1)
وَسَمْتَها بِخضُور كِل القَرَايِب ... ذَبِيْحَتِك يامَنْقِع الجُوْد والطّيْب(2)
لَومَا بَغَيْنا ماعَلَيْنا غَصَايِب ... لاشك ضَيْف البَيْت له حَق ومُصِيْب
جَمَّلْتَنا ياشَوْق ضَافِي الجَعَايِد ... ذِى عَادِةِ الطَّيِّب بِسَتْر المَعَازِيْب(3)
يَفْدَاك من هو ضَارِي بِالسَّبايِب ... اللِى يعَلّق بِالمُعزَّب كَلاَلِيْب(4)

فأجابه صياح المرتعد ضيفه بقوله:

الطّيْب بِخجَاج المُشَبَّب وَهَايِب ... طِيْب الفق من عند ربه مَوَاهِيْب(5)
ثِلْث لَنا وثِلثٍ لبيتك حَلاَيِب ... مَقْسُوْم بين الضيف هو والمَعَازِيْب
ومُعَزِّ بِتْنَا يافتى وَأَنت غَايِب ... نَشْمِيّةِ تَسْوَى كَثير الرَّغَايِب(6)

---

(1) اللي : اللذين.
(2) وسمتها : وضعت الوسم عليها.
(3) ضافي الجعايد : مسترسل الشعر. المعازيب: المضيفين.
(4) السبايب : السبأب. علق الكلاليب: علق به عجرا ويجرا.
(5) المشبب : الناضج.
(6) معزبتنا : ربة البيت. تسوى : تساوى.

نَشْمِيَّة تَشوَى كثِير الحَبَايِب	لَو غِبْت مَايَدْخِلْك شكٍّ ولارَيْب
مِن جَرّب الدنيا وشَاف النُّوَايِب	تَرَاه مايَشْنَا ولايِطْرِى العَيْب
واللّى يَسِب لِشَبْعِة البَطن خَايِب	أَصل القِرازَيْن النَّبَا وَالتَّرَاحِيْب[1]

(١) واللي يسب : والذى يسب. لشبعة البطن : من أجل شبعة البطن.

وهكذا يُكرِمُون الجار . .

المطارفة أحد بطون عنزة، عرفوا بالشهامة، والمروءة، والشجاعة ومكارم الأخلاق، ولهم قصص مشهورة، وأخبار مذكورة، وفيهم شعراء مبرزون، ورواة أدباء.. جاورهم شمرى صاحب غنم، وهم أصحاب ابل وأهل الابل، حينما يصلهم نذير، أو يعلمون أن قوما سوف تصبحهم يتصرفون، و يستاقون ابلهم طردا بالليل، وحينما يداهم العدو مضربهم لايجدها، فيعلم أنهم قد انذروا، فيرجع خائبا هذا اذا علم اصحاب الابل أنهم لاقبل لهم بالعدو المغير.. أما اذا كان في امكانهم مصاولته ورده.. فانهم يستعدون له، و يعقلون ابلهم و يبقون حيث كانوا.. وهذه المرة علموا أنهم لاقبل لهم بالعدو المغير.. فقرروا أن يركبوا الليل نفورا من العدو.. ولكن كيف يعملون بجارهم الشمرى صاحب الغنم؟، هذا ماحيرهم.. فأحضروه، وقالوا: اترك الغنم هنا، ولك على كل شاة ناقة نجمعها لك، فأبى الشمرى وأصر الاغنمه.. ومع ذلك قال:

شِيَاهِى مُزَّبنْهِن عن اللّى يرِيْدِهِن   زُحُولِ الرِجّال آهَلِ الفَعّال المطَارِفَة

فكانت هذه من الشمرى احراجا وعنادا أهوج.. وكانت

للمطارفة الزاما والتزاما ولو فنوا عند نعاج الشمرى المشئومة.. فقرروا أن تساق الغنم مع الابل، وهي بطبيعة الحال سوف لاتعانقها، ولكن الخطة اذا لحق الأعداء أن تنقسم خيل المطارفة الى قسمين: قسم يكون في مواجهة الأعداء يشاغلونه بالطراد، وقسم يحملون الغنم على ظهور الخيل، و ينأون بها عن ميدان المعركة، و يعودون لشد أزر القسم الآخر حتى تقرب المعركة من الغنم، فيعودون لحملها ثانية، وهكذا.. فعلوا ونجوا بأبلهم وغنم جارهم من العدو المغير.. وبقيت سيرة للمطارفة خالدة، وموقف جوار يضرب به المثل.. وفي ذلك يقول شاعرهم:

يَوم العرب غَاير ونَاير بَالأَشْوَار وكِلٍ على فِعْلِه يُسَوِّى تَمَائِيل[1]

رَبْعِى هَلِ العَشْوى بَعِيْدِيْن الأَذْكار اللّى يَشِيْلُوْن الضَّوَايِن على الخيل

قَصِيْرهم مايَجْدَعُوْنه على الدار في رأس عَيْطانَايِفَات الشَّهَالِيْل

يَوم الصُّوَيْطي يَدَّبِ القَوْم واغَار جَتْهُم سَرَايا الخيل مثل الهَمَالِيْل

سَامَوا شَيَاهِه سَوْمة الصِّدْقَ بأبْكَار وعَيَّا يَبِيْع وصَاح يَنْخَى هَلِ الخيل

رَدُّوا هَلِ العَشْوَا سَبَب صَيْحِة الجَــار

نَفْوَة رجَال كل ابُوْهُم حَلاحِيْل

عند الغُفَيْشِى هَيَّةٍ تَشْتَعِل نار في ساعة وقت الضحى تِقِل بالليل[2]

---

(١) غاير ونابر: مقبل ومدبر. يسوى ثمايل: يعمل الأعمال.

(٢) الغفيشي هية تشتعل نار: عند هذا العلم غارة متكدرة.

صَاحَوا عليهم صَيحةٍ تَجلى الآفرَار يَشْبَع بها ذيب الخَلاَ بالرجاجيل
مِزكَاضُهُم ذِلٍ من العَيْب والعَار يَبُوْنُها تُحكَى لِجِيْل بعد جيل
يَم الجُرَيْبَا جَدَّعوْهن بالأذْكَار بِخسَابَهم كِل المضَارِيْع والحِيْل
يَرْعُوْن نَبْت الرَّوْض من عِقِب الآخْطَار مِن ضَرْب رَبْعِي كاسِبِيْن التّنَافِيْل
خَيَّالِة العَشْوَى على الكُوْد صُبَّار مايَقْبَلُوْن لِجَارِهُم يَلْحَقِه مَيْل
واشْهُودهُم شَمَّر على كل ماصار وهَرْج بَلا فِعْلٍ يُسَمَّى تَهَاوِيْل

يَقْتُلُ أَخَـاه .. حِمَايةً لِعِـرْضِـه !

وقعت حوادث هذه القصة قبل ثمانين عاما، ولكن قبلها بثمانين قرنا أو تزيد كان العربى يفتخر دائما والى الآن بالوفاء والمحافظة على العهود.

ومع ذلك فقد خرج اثنان من تجار القصيم هما: ابن قبلان، وابن مسكب، وهدفهما هو الاتجار بالابل وشراءها، ولما كان الطريق الذى سيسلكانه يخترق بلاد عتيبة وبلاد مطير، فقد أخذ من كل منهما رفيقا يحتميان به من لصوص قبيلته، ويدفعان له مقابل ذلك ــ اخاوة ــ حسب ماهو معتاد في ذلك الوقت.

كان العتيبى من الروقة، أما المطيرى فهو من الجشوش.

وذات ليلة، وبعد أن اطمأن التاجران على حصيلتهما من النقود ووضعاها في حرزها أوى الجميع الى النوم.. غير أن الطمع حال بين المطيرى وبين النوم، فظل ساهرا يدبر خطته اللئيمة لخيانة ميثاقه، والاستيلاء على نقود التاجرين.

وبدأ الخطة بأن اطلق الرصاص من بندقيته عل زميله

العتيبى فأرداه قتيلا في مرقده، وسمع التاجران صوت الطلقة فانتبها مذعورين، وعند ذلك قال لهما المطيرى: ان شيئا لم يحدث، ومرجع ذلك الصوت الى مطية ضربت بخفها الأرض فأزعجتها.

رجع التاجران الى مرقديهما وخطا المطيرى خطواته الثانية فكانت فاشلة، اذ اطلق الرصاص على أحد التاجرين فلم يقتله، وعند ذلك هب التاجر ورفيقه ليبحثا عن مصدر النار اذ ظنا عدوا مغيرا عليهما من بعيد، وثبت هذا الظن في أذهانهما أن المطيرى أخذ يعدو هنا وهناك متظاهراً أنه يبحث عن القاتل، وانتهز المطيرى فرصة انشغال التاجرين بدفن العتيبى القتيل، فجمع النقود التى معهما كلها وأسلحتهما، واختار اسرع ركابهما فامتطاها وولى هاربا.

لنترك التاجرين يعزى احدهما الآخر بعد أن دفنا العتيبى، ولنذهب مسرعين مع المطيرى الذى مالبث بعد أن وصل مضارب عشيرته أن ظهرت عليه آثار النعمة والثراء شيئا استغربه قومه، اذ لم يعهدوه فيه ولاكانت هناك دلائل تشير بأنه نال هذه الثروة عن طريق معروف، وكثر الهمس الى أن وصل الى مسامع المطيرى نفسه.. وعندئذ خاف أن تنكشف جريمته، وأكد له ذلك أن التاجرين أخذا يتجولان في تلك الديار ويتسقطان الأنباء عنه، وحين وصل التاجران الى أرض قبيلته

تكشفت جلية الأمر أمام الجشوش عشيرة الجانى، واسودت وجوههم من الخزى والعار الذى ألحقه بهم، وذهبوا سراعا يطلبونه فاذا به قد استجار بابن هنود شيخ بنى عمرو من حرب، ولم يكن من السهل على شيخ كابن هنود أن يسلم جاره ولو كلفه ذلك نفسه وأمواله.

وعبثا حاولت قبيلة الجانى اغراء ابن هنود بتسليمه، ولكنه أصر على المحافظة عليه عند ذلك لجئوا الى وسيلة أخرى اذ اتصلوا بالجانى نفسه وشوقوه الى أهله وبلاده وماله، وذكروه مغانى صباه، ومسارح لهوه، وهونوا عليه الجريمة التى ارتكبها، وأوهموه أنه يستطيع الافلات من العقاب اذا استعان بقبيلته في جمع دية العتيبى ورد أموال التاجرين، ومازالوا به الى أن استأذن من ابن هنو في السفر معهم، فاذن له واثقا كل الثقة أن الانتقام من الجانى واقع لامحالة، وفعلا حدث ذلك، فما أن اختفت القافلة عن بيوت ابن هنود حتى اجتمع حول القاتل عمه براك أبو شيبة وأخوه وجمع من عشيرتها وأوثقوه أسيرا، واقتادوه الى أن وصلوا مضارب عشيرته وعشيرتهم، وحينئذ أركبوه على حمار وجعلوا وجهه مما يلى قفا الحمار، وطلوا وجهه بالسواد وطافوا به على بيوت الحى مرارا، وأغروا به الأطفال سخرية وتنكيلا، ثم بعد ذلك كله تسابق اخوته وأقاربه كل يريد أن يتولى قتله، وكان ذلك من نصيب أخيه الذى

ارتعشت يده وتردد في قتله، فقال له عمه: لئن لم تقتله لأقتلنكما معا.

ولايستغرب القارىء اذا علم أن مشايخ مطير عرضوا على أقاربه وعشيرته الجشوش عددا ضخما من الابل والنقود مقابل العفو عنه، فرفضوا ذلك رفضا باتا، وقالوا: لانرضى أن يقال عنا أن واحدا منا ارتكب هذا الفعل الشنيع ثم بقي حيا فرحم الله القتيل والقاتل والوفاء.

عادات كريمة

جُرْعَة طِفَل . . !

يحترم العرب عاداتهم وتقاليدهم، ويقفون عندها ولايتخطونها.. بل وتجرى حلول مشاكلهم ومشاحناتهم على أساسها.

ذهبت قافلة من قحطان لتمتار من (وادى الدواسر)، وفي طريقهم مروا بابل لرجل من الدواسر، يدعى (أبافلح)، وكان في القافلة أمرأة مرضع نضب ثدياها، وبقى طفلها يتلوى من الجوع، فطلبوا من راعى الابل أن يحلب لهم من ابله من أجل هذا الطفل، ففعل. وذهبت القافلة.. وفي اليوم الثانى أغار ركب من قحطان على هذه الابل فأخذوها وذهبوا بها، ولم يتمكن الراعى من اخبار قومه الدواسر أصحاب الابل الا بعد يأس من طلبها.. غير أنه يعرف أن المغيرين من قحطان، وأنه قبل أخذها بيوم مرت قافلة من قحطان، معهم طفل جائع، فحلب له من الابل.. هكذا أخبر قومه.

واذاً فالذين أخذوا الابل قحطان، وفي بطن طفل من قحطان مذاق من هذه الابل.. واذاً ليحرم عليهم أخذها، وسوف يطالب قحطان بأدائها. فذهبوا لشيخهم ابن شفلوت، وأخبروه

بالخبر، وطالبوه بأداء الابل. واذا بالذين أخذوها هم المسارده من قحطان على رأس رئيسهم نهار بن شري. فطالبهم الشيخ ابن شفلوت فامتنعوا، فأرجعهم الى مبادىء العرب وعاداتهم.. وقال فراج بن ريفه القحطانى قصيدة يهيب فيها بالمساردة أن يؤدوا الابل، ويحملهم عارها اذا أبوا، ويقول ان العار لايقف عندكم، بل يتعدى الى سائر قحطان. قال:

ياراكب ثنتينٍ عُوْص تبارَى	تَلْفَح سَفَايِفْها وفيها خَنَانِيْق
تَنْصَ ابن سُوْده زَبن راعِ الثَّبارى	ماعِندنَا له لاذمُوْم ولالِيْق
الدّم في تَركِ الحُدُوْدِ الجَهَارَا	حِلٍ نَشَد مابَيْن طَمّاع ومُفِيْق
عند آل شَرْيٍ مُوْدِيْن المَهَارا	اللّى يَرَوُوْن الغَلَب في المَلاَحِيْق
تِرْ دُوْد ابو فِليح عليهم غَيَارا	اللّى لها بوجيه رَبْعى مَوَاثِيْق
عَار على شِيْبَانَا والصّغارا	وعَارٍ على اللّى يَلْبَسُوْن العَوَالِيْق
وَالله لَو رَاحَو لِهَضب الشَّرَارا	والا بَنَى له في قَفَارٍ دَوَارِيْق
حَلَفْت انا لاقْلط عليهم جِهَارَا	وافْعُولَنا تُعْرَف الى نشَّف الرِّيْق
تِرْحِنْ لكم سِمٍ على الكُبْد جَارَا	يَفضِى العِظَام ويَفْضَخ الكبد لِى ذِيْق

وعندها أدوا الابل لأهلها، وانتهت المشكلة.. وهكذا يأبون الا المحافظة على تقاليدهم والا اجتناب سبل العار. وحماية الحقوق المكفولة لديهم.

قصة صدق..

الصدق مبدأ من المبادىء الكريمة التى يتمسك بها عرب الجزيرة ويرونها وسيلة للشرف، وسمو الأخلاق من ناحية، وعملا صالحا لدى ربهم لايجرؤون على انتهاكها والتحلل منها.

هذا محمد بن حماد بن وعلة من الوادعين الدواسر، صاحب ابل كثيرة، يرتاد لها المراتع الطيبة، ويمشى في هواها اين مااتجهت.. وسنة اخصبت بلاد يام، واجدبت بلاد الدواسر وهى تحاذى بلادهم من الجنوب، وكان ابن وعلة متجاورا مع فريق من قحطان آل عاطف قوم ابن سعيدان.. فمر بهم رجل عرجانى ورأى جدب ديارهم، بينما أرض قومه (يام) مخصبة.. فقال للفريق آل عاطف.. سوف أرفقكم لدى قومى (أى أنتم في جوارى ورفقتى في بلاد قومى لايمسكم سوء.. وان كان بين القبيلتين عداء) — اذ أنهم اذا اصبحوا بجوار واحد من القبيلة لا يصح لأحد أن يعتدى عليهم — (فاتجهوا بابلكم الى أرضنا، فهى خير لها من أرضكم المجدبة) وفعلا أصبحوا في جواره، وساروا الى بلاد يام، فعانقهم الدوسرى بابله.

والجوار في الحقيقة لم يشمله، ولكن أحب أن ينغمس فيهم

كأنه واحد منهم وما علم أن أهل الشر حريصون على تنفيذ مخططهم في كل زمان ومكان.. ولما توسطوا من بلاد يام كان الدامر (العقيد) المشهور يضرب في الأرض يمنة و يسرة للكسب والنهب بمن معه من قومه العجمان.. والعجمان من صميم يام وان كانت مساكنهم شرق الجزيرة مما يلى الاحساء.. الا أن اليامية تجمعهم، والاتجاه والمشرب واحد.. فقيل للدامر أن بين هؤلاء القحطانيين الذين في جوار العرجانى رجلا بابله ليس منهم، ولم يدخل في جوار العرجانى، مما يبيح للدامر أن يأخذه.. فأغار عليه، وسأل الراعى: هل أنتم في جوار العرجانى كاخوانكم القحطانيين؟.. فقال: نعم.. الا أن الدامر لم يصدقه، وجاء بصاحب الابل.. فقال له: احلف بالله انك في جوار العرجانى.. فقال: لابالله ياولدى لست في جواره، وانما (تاهمت) من أجل مصلحة ابلى، فافعل مابدا لك.. فتتبع الابل فأخذ كل ماكانت عليه سمة الدوسرى، وساقها بصاحبها حتى حاذى بلاده السليل أو الهدار.. فقال الدامر للدوسرى: أنت مخير بين أمرين.. أما ان احملك معى الى الاحساء لئلا تستصرخ قومك فيلحقوا بك لتخليص الابل، واما أن تقسم لى بالله أن لاتخبرهم إلا بعد أسبوع، فأتركك أنت وولدك وأعطى كلا منكما راحلتين.. فحلف له بالله أن لايخبر قومه، وأعطاه ماوعده به وذهب بالابل.. فجاء الدوسرى الى قومه، وقالوا له: ماهذه

الرواحل معك؟.. قال: هذه كانت ضائعة فوجدتها.. وبعد أسبوع أخبر قومه بالحقيقة، فجمعوا له ابلا تبرعا منهم.. وكل ذهب في سبيله.

فلو أن الدامر حينما أدرك صدق هذا الدوسرى واختيار وجه الله على الأبل ـــ وان كانت الابل أغلى عند العربى من كل شيء ـــ أقول لو أنه شام عنها، لبقيت له سجلا خالدا في التاريخ.. وماأحق الدوسرى بالشيمة، وهذا وضعه.. فالأعمال الكريمة تبقى، والحطام ينفد.

هكذا يتم الزواج

ركب الشيخ نايف أبا الكلاب من شيوخ العجمان هو وصاحب له، يدعى علوشا، وأناخا على الشيخ وقيان الغييثات من الدواسر، وكانوا متقاربين في المنازل وقت الربيع.. فاحتفى بهما وقيان وأكرمهما، وقضيا لديه ضحوة يومهما ذلك.. ولما هما بالانصراف قال علوش صاحب نايف: ياشيخ وقيان الشيخ نايف جاء اليك زائرا وخاطبا فلانة ابنتك فما رأيك؟.. قال البنت الذى يحول دون زواجها حائل عن نايف ليست بمباركة، قد وافقت في الحال بدون أخذ ولارد.. فهما بالانصراف على أساس يجهزان المهر، و يبعثان به، ويحصل الاستعداد للزواج، وهكذا.. ولكن وقيان قال: كل هذه أمور شكلية، المهم العقد، وهذا هو إمامُنا قريب يعقد للشيخ الآن وزواجه الليلة، ولاشيء غير هذا.. فسمع ذلك النساء من خلف الستر فضججن.. كيف يتم ذلك في ساعة قصيرة.. فرفع صوته عليهن وأسكتهن.. وقال: هذه الليلة عندكن جزور سوف أنحرها للفريق كله، فأسرعن في تجهيز أمركن، أما أنت ياأم فلانة فجهزيها للعرس هذه الليلة.. فدعا برجاله وأصدر أمره عليهم — كل فيما يخصه — وتمت الوليمة على مايرام، وتم الزواج تلك الليلة.. وفي الصباح أدنى لها

جملا وحمل مايلزمها عليه، ووضع الهودج فوق جمل آخر، وحملها عليه، ومضت بصحبة زوجها.. وعند توديعه قال: ياانايف هذه امرأتك معك اذا وصلت أهلك فاعطها ماتشاء من المهر، وأنزلها حيث تشاء من المنزل.. أما أنا فيكفيني أن جاءني كفء لها فزوجته اياها.

وهكذا تكون عادات الكرم في الزواج.. هدفهم الكفء قبل كل شيء، أما ماعداه فلا يعبأون به، ولايرفعون به رأسا، وليس من شيمهم ولا من مكارم اخلاقهم.. بخلاف الذين يبيعون بناتهم بيعا، و يرهقون الزوج بضخامة المهر وكثرة التكاليف والجعجعة الفارغة.

ان أبرك النساء ايسرهن مهورا.. وصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول: «اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

النصيحة .. مرآة ..

مات والده وهو طفل، فاحتضنه عمه ورباه تربية طيبة، ولم يكن لعمه من الأولاد الا بنتا تقارب الغلام في السن، نشأ معها منذ الصغر، ودرجا في حياة رتيبة وعيش مطمئن، بعيدين عن المؤثرات الاجتماعية والاحتكاك بالآخرين.. لايعرفان الا الغنم يرتادان لها المرعى، ويردان بها الماء.. ومثل هذه التربية تجعل النشء بعيدا عن ملهبات العواطف، ومحركات الأحاسيس.. لذا كان الخجل والاستحياء يمتلكانه حينما أفضى اليه عمه بأنه يريد أن يزوجه من فلانة، رفيقة صباه، وأليفة عيشه.. كيف يكون هذا؟، مع بنت عمي التى هى بمنزلة اختى.. ولم يلبث العم حتى عزم على التنفيذ ونفذ، ولكن الغلام قد اصبح بعد ليلة الزواج وكأنما فعل جريمة، أو ارتكب منكرا.. فهو لم يعد يقوى أن ينظر الى عمه، ولا الى أهله، ولم يسعه رحب الأرض.. فلماذا لايهرب بخطيئته الى حيث لايراه من يعرفه ابدا.. فهرب وجعل بينه وبين أهله عرض الجزيرة، حيث استقر به المقام لدى بيت صاحبه اصيل المحتد، عريق الشرف، أمين الطوية.. فعرف في وجه الغلام البراءة، وأدرك الأمانة وسمو النفس، فجعله في أبله، فوجده مصلحا أمينا فظل عنده بمنزلة ابنه خمسة

عشر عاما.. بعدها تحركت فيه عاطفة حب الوطن، والحنين الى الأهل والأسرة، فلم يعد ذلك الغلام الخجول، وأدرك أن ماكان، ماهو الارجع لنوع من التربية، ينأى بالشاب عن ميادين الحياة والتحرك ضمنها، وهى تربية على مافيها من محافظة، الا أنها تخمد في النشء عواطف هى من مقومات الحياة.

افضى الى صاحبه بعزمه على العودة، ورغم المحاولات التى بذلها صاحب الابل لبقائه الا أنه مصمم على العودة لأهله.. وماكان يعلم عن أجره مدى هذه المدة كلها، الا حينما دخل صاحب الابل ابله، فحاز قطعة كبيرة منها، وقال هذا هو أجرك.. فاذهب بسلامة الله الا اننى سوف انصحك: البلاد مخوفة، وذهابك بهذه الابل تطوى عرض الجزيرة أكبر خطر عليك وعليها، فابق الابل عندى، وعد الى أهلك، وحاول أن تجترهم الى جهتنا حينا، ومن ثم تدخل ابلك مع ابلهم وتكون في حماية الجميع.. فوافقه على نصيحته.. وقال أيضا بدافع المحبة سوف امحضك نصحى في ثلاث نصائح ارجو أن توافق للأخذ بها، وهى:

أولا : لاتبت في بطن واد أبدا.

ثانيا : احذر مصاحبة الأحول (الأثط) الأجلد الذى لاينبت ذقنه شعرا.

ثـالـثا : اذا هممت بأمر اليوم فلا تنفذه الا الغد، فخمير الرأى خير من فطيره، واذهب بسلامة الله.

ذهـب وفي الـطـريـق التقى بقافلة تحمل تجارة ثمينة، وحينما باتـوا في بـطـن واد، تـركـهـم وأوى الـى ربـوة بعيدا عن مجرى الوادى.. فداهمهم السيل واستأصلهم ومامعهم.

وبـعـد مـدة وهـو في طـريـقـه لـقيه صاحب النعت المحذور، فـصاحـبه وهو على ريبة منه، وعندما نام ليلة من الليالى تسلل عـلـيـه الأحـول الأثـط لـيـقتله ويأخذ مامعه، وكان حذرا منه، فـاعـانـه الله عـلـيه وطرده الى غير رجعة.. وحينما قدم أهله ليلا، وجـد رجـلا آوى الـى الـبـيـت، فـظنه أجنبيا فهم بقتله، ولكنه استشعر نصيحة صاحبه بأن لاينفذ أمرا حتى يغب.. وفي الصباح أدرك أن هذا الرجل الذى دخل البيت هو ابنه الذى ذهب من أهله وهى حمل به.

فـكـانـت حياة هذا الرجل كلها دروس وعظات، مما يعطينا أن الـبـقاء دائما في عيش رتيب، ومجتمع واحد لايمكن أن يعطى للشـاب الـتـجـربـة الحـقـيـقـيـة للـحـياة، ولا أن يثقفه التثقيف الاجـتـمـاعـى المـطـلـوب.. فـالحـيـاة كلها دروس، ودروسها في الـتـقـلـب في مناكب الأرض، ودراسة واقع المجتمعات.. والأخذ من كل تجربة درسا، ومن كل واقعة عظة!!.

متفرقات

حوادث الدّهـــر

كـان فـهـد الهـتـيـمـى أحـد جنود عبد العزيز بن متعب آل رشـيـد، وكان شابا وسيما طوالا، لديه من الملاحة والجاذبية وفتنة الـشـبـاب مـالـدى نصر بن حجاج ذلك الذى تغنت به الغيد في الخدورو وخـشـى الـفاروق من الفتنة فقص لمته فازداد جاذبية، فـأجلاه عن المدينة.. لذا لم يكن بدعا أن تأكل الغيرة قلب عبد العزيز بن متعب فيدبر حيلة يتخلص بها من فهد بدون أن يشعر أحد بقصده.

لـقـد كـان بين حائل مقر امارة عبد العزيز بن متعب وبين قـبـيـلـتـى بنى صـخـر والحـويطات موماة يظل بها القطا ويحاربها الخريت خلو من الأناسى مقفرة من الماء.. وكانت حمارة القيظ قد جـعـلـت منـهـا جـحـيما يـذيـب دمـاغ الـضـب ويـصـطـخد فيه الحرباء.. واذا بعبد العزيز يخلو بجنديه المطيع فهد ويسر اليه أنه يـنـوى الاغارة على بنى صخر والحويطات، ولايحب أن يطلع على سره الا هـو فقط، فهو يريد منه أن يسافر وأن يخفى قصده عن كـل أحـد حتى عـن أهـلـه، وأن يأتيه بالخبر اليقين عن مضارب القوم، وعن أموالهم واستعدادهم الحربى.

ولم يكن له بد من أن يسمع و يطيع أمر أميره رغم مايعرفه عن الطريق وأهواله والأخطار التى تنتظره.. أما عبد العزيز فقد تلفت في الابل التى حوله ليجد المطية التى تقصيه ولا تدنيه، لقد اختار له علكوما غلباء، جمالية مكتنزة الجسم، سرح اليدين، صكاء ذعلبة من قاطعات البيد ومدنيات البعيد.. ليوهم فهدا أنه قد اخلص له في انتقاء هذه الناقة، ولكنه يعلم عنها مالايعلم (فهد).. انه يعرف أنه يزعجها ظلها، وتنفر من صفير الصافر، ثم لايمكن لصاحبها أن يدركها الا بين اخواتها في المكان الذى رحلت منه.. لقد استوى فهد في كورها بعد أن تزود بالزاد والماء، وتركها تفرى نحور البيد ظلمة ليله ذلك وغده.. الى خمس ليال، حتى اذا توسط هذه المفازة واكتنفته اخطارها عَنَّ له سرب من الظباء، فأراد أن يتزود في سفره بلحم فنزل عن ناقته مسرعا وصوب بندقيته الى نحر طريدته فقتلها وجاء يحملها نحو ناقته، ولما أبصرت الناقة قرنى الظبى يطلان عليها من على كتف صاحبها جن جنونها، وانطلقت هاربة كالقطاة فقذف صاحبنا بصيدته واتبع اثرها، وكلما دنا منها نفرت واشتد عدوها، وهكذا طيلة يومه ذلك، وقد بلغ منه الاعياء مبلغه وتركه الظمأ فاقد الوعى مشرفا على الهلاك ولما توارت الشمس بالحجاب، وخشى أن يخفى شخص ناقته في ظلام الليل رأى أن أنجع وسيلة يعملها هى أن يعقر الناقة ببندقيته و ينقذ نفسه بما عليها من ماء وزاد.. ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا..

وهكذا نفذ فكرته وترك ناقته تشحط في دمها، ولما انقذ نفسه حمل ماءه وزاده الى تل قريب منه وبقي يسامر النجوم في ليله، ويلوذ بجذع غضاة هنالك عن حرارة الشمس في نهاره، وهكذا أياما وليالي قضاها يرقب نفاذ صبابة الماء لديه ليودع الدنيا بعيدا عن أهله وذويه، مستسلما للقضاء المحتوم.

وذات يوم، وقبيل أن يذر قرن الشمس أوهمه سمعه أن قد سمع نأمة أشبه ماتكون بصوت البندقية، فتنبه ذهنه، وتيقظ احساسه واستعد لعله يسمع ماقد شك في سماعه، اذا بأخرى تنطلق فيسمعها كأقل مايكون السماع الا أنه أدرك انه صوت بندقية، كما أدرك الجهة التي وصل اليه الصوت منها.. ولم يكد يسمع هذه حتى أخذ الحثالة الباقية لديه من الماء وشربها وانطلق شطر الصوت، وبعد جهد جهيد رأى شيئا يبدو له تارة ويختفي أخرى، فأخذ يشتد في عدوه ويدنو منه، واذا برجلين جالسين يسلخان ظبيا، واذا بجملهما مناخ حولهما، انها لمفاجأة غير منتظرة، وأمر ماكان يدور بخلدهما.. أيصح أن يوجد في هذه الأرض شخص مفرد، مطيته رجلاه، لايحمل ماء ولازادا؟.. ماكانا يظنانه الاجنيا.. لقد فزعا منه الى سلاحهما.. واذا به يتنمر ويتهدد ويتوعد أن بدر منهما نحوه شيء أن يقضي عليهما ببندقيته.. وطفق يقول لهما ألستما من الغنمي ــ صلبة الشمال ــ الذين يدينون لمن أنا جنديه المبعوث من قبله عبد العزيز بن رشيد يدينون له بالولاء والطاعة.. لقد عرفها من سحنتها

ولفظها ومهنتها التى هى قتل الصيد و(جليه) أى تقديده وتيبيسه وبيعه واهدائه.. فما كان منها الا أن تراجعا وهدأ روعها وطلبا معاهدته على المصاحبة والاخلاص فتم ذلك بينهم وأقبلا عليه يستجليان خبره، فقص عليهم من حديثه ماكان محل العجب والغرابة، ثم انطلقا به الى مضاربها التى بنيت حول (دحل) يستقى منه القطين، ثم يخفونه عن الأعين بتغطية واعفاء ما حوله من أثر لئلا يعرفه الناس فيردوه.. والدحل: تجويف صخرى كبير في باطن الأرض له فوهة ضيقة تنحدر منها السيول، وتختزن في هذا التجويف، وتظل مددا طويلة، وقل أن يعثر عليها الناس للاستفادة من مائها وهى موجودة في الصمان بكثرة.. لقد كان وجود هذا الدحل هنا فرصة للغنمى حيث عثروا عليه في أرض أبعد ماتكون عن وجود الماء وهى تمور بالظباء وأنواع الصيد.

أما فهد فبعد أن استيقن الحياة وسكن روعه، أخذ يستعرض قصته الغريبة، وكيف قتل راحلته، ثم طفق يقول:

عَـزِّيل مَن مِثلى ذَلُوله نَخَلّيْه	فَفَت كَمَا الرَّبْدَا وَأنا ازْكض بَاثَرْها[1]
قَشّى عليها يَوْم هي جَلَّعَت فيه	لاوَاحَـفَـا رِجْـلِـى ولاوَاجَـمَـزْهـا[2]
فِـي سَـهْـلةٍ ما فيـه زَوْلٍ أرَاعِيْه	ولا مِزْنَةٍ أرجِى الرَّوَى من مَطَرْها

(١) عزيل : عزى لمن مثلى . الربدا : النعامة.

(٢) قشى عليها : عفشي عليها.

قَعَدْت له بِاللّى ظِرِيْف مُسَوِّيْه   لِيْمَا قَطَعْت بَطَانَها مَع نَظَرْها[1]

رَاحَت تَخُب الخِرْج والدّم غَاشِيْه   عَزَّ الله انـه مـن يَـمِيْـنى عَثَرْها

ولم يـشـعـر عـبـد الـعـز يـز بن رشيد الا والغنمى يفدون اليه بجنديه ليقص عليه قصة حاك خيوطها ونسجها بنفسه، ولكن لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها.

وهـكـذا تـكـون ملاحة فهد سببا عليه في جر الأذى وغوائل الـردى، ولم تـكـن لـه يـد في ذلـك غير ماأبدعه الله في تكوينه، وكـل ذى نـعـمـة محـسـود، وكـم نعمة جلبت نقمة ولله في خلقه شئون!!

(١) باللي ظريف مسوية: بالبندقية الظريفة. ليا قطعت بطانها مع نحرها : حتى قطعت بطانها ونحرها.

الابـن سِـر أبيـه

عـرفـت البـاديـة مـنـذ فـجـر التـاريـخ بـفـصـاحـة اللغـة وسـلامـةالـفـطـرة، وامـتـاز رجـالهـا بالشجاعة والفروسية والكرم، واتـصـف نـسـاؤهـا بالاباء والأمانة والحياء.. ومرد ذلك كله بلا شـك الـى نـقـاء مجـتـمـع الـبـاديـة وتـنـزهه عما يشينه من مثالب الحـضـارة. فـهـو يكسب نقاءه وشموله لتلك الحسنات، من صفاء السماء التي يستظلها، وطهارة الأرض التي يفترشها وجمال الطبيعة المحيط به.

ولـقـد عـرف الأقـدمـون للـبـاديـة فضلها، فعمدوا الى ارسال ابـنـائـهـم اليـهـا ــ ولمـا يـدركـوا شـيـئـا عما حولهم ــ ليعيشوا في مـرابـعـها ومراتعها برهة من الزمن، تنمو خلالها أجسامهم متمتعة بالغذاء الشهى، تتفتق ألسنتهم بفصيح اللغة، وتتفتح عقولهم على الخـصـال الحـمـيـدة.. حتى اذا ماشبوا عن الطوق، وصاروا فتيانا يافعين، ثقفتهم البادية وطبعتهم بعاداتها الأصيلة، وصقلتهم تجاربها الجـادة.. عـادوا الـى أوطـانهـم في الحـاضـرة ملء السمع والبصر تتناقل ذكرهم الركبان. ويمثلون العروبة باحلى مظاهرها..

فـالـبادية اذن.. هى مصدر العروبة الحقة، ومنبع خصائصها

النبيلة، والحديث عنها ذو شجون.. ولكننا نخرج منه بالقصة التالية وهى غيض من فيض زاخر، ومجة من بحر هادر..

نشأ (طلال) في كنف أبيه (فهيد القحطانى) في بحبوحة من الرزق، وبلهنية من العيش، فقد كان والده صاحب ثراء طائل، ولايكاد يحصى مايمتلكه من اذواد الابل وقطعان الغنم، وقد عمد الأب ــ كغيره من حكماء البادية ــ الى أن يربى ولده على التقشف ومجالدة الحياة، والاعتماد على النفس، فما أن اشتد عوده، وظهرت بواكير الرجولة عليه، حتى استدعاه اليه، وأقطعه شيئا من الماشية وزوده بنصائحه السديدة، وأوصاه بالرحيل الى طرف من الأرض بعيد.. ينتجعه و يكون نفسه.

فتوكل الفتى على الله.. وودع أهله وذو يه، واستاق أمامه مامنحه والده.. وقطع في سفره ماشاء الله له من مسافة، حتى أظله الليل، فبات حيث أدركه الظلام، وأوقد الرعاة النار، وقام هو بتهيئة الطعام لهم، ثم ناموا في انتظار طلوع فجر اليوم الجديد.. وفي الصباح استيقظ مبكرا وطوف بالأرض حوله ــ كعادة البدوى ــ ليختبر مافيها من الماء والكلأ.. وأثناء تجواله، رأى منظراً استوقفه ولفت انتباهه، وهو وجود كلب طاعن في السن، متبلد الاحساس يربض في كهف مستتر، وكان يأكل من خروف سمين، ملقى بين يديه.. عجبا!! ان هذا الكلب لايكاد يتحرك من فرط شيخوخته ووهنه.. فمن أين له هذا؟..

وعزم الفتى على أن يعلم الحقيقة، وما تَلَبَّث غير قليل حتى رأى عن كثب ذئبا ضاريا يسحب صيدا جديدا، ويلقيه قريبا من سابقه، وينزوى الكلب العجوز في طرف الكهف، حتى إذا ماأكل الذئب قليلا من صيده تركه ميمما وجهه ناحية من الأرض.. عاد الكلب الى ماكان فيه من الأكل والاسترخاء.

كان هذا المشهد كافيا لاقناع صاحبنا بالعدول عن خطته في فراق الأهل والعشيرة.. والضرب في الآفاق بحثا عن الرزق وهو مكفول موفور.

وفى اليوم الثانى كان يمثل بين يدى والده الذى اعترته الدهشة لهذا الاياب العاجل.. فقص عليه مارأى، وافصح له عما تركه في نفسه من أثر.

ابتسم الشيخ المهيب، ونظر الى ابنه طويلا، ثم تكلم: اختر لنفسك يابنى أن تكون كلبا تعيش على فتات صيد الذئاب، أو ذئبا ترتع في خيره الكلاب!.. وقد كان اختيار الفتى الذى رجع ادراجه، دون أن يصطحب معه من مال والده نقيرا.. ولم تمض سنتان الا وقد صار اسمه مشهورا لايجهله أحد في مضارب البادية.

وطني لو شغلت بالخلد عنه

لماذا منطقة ــ نجد ــ تغص بأمهات قبائل العرب وتضفي
عليها هذه الكثرة الكاثرة من الرجال ذوى الشجاعة والنجد
هيبة وعظمة. وتضفى عليها هذه الثروة الكبيرة من الانعا
ونتاجها قوة ومنعة.. وهى بلاد قليلة الماء، قاسية الجو، شحيح
الانتاج.. بينما سواد العراق ومشارف الشام وشطآن الفرات
تفيض خصبا ونماء وماء وكلأ، ثم لايكون فيها من الرجال ذوى
الوفرة والكثرة ومن الأنعام ذات الانتاج والخير مثلما في قلب
الجزيرة؟!.

هكذا قالت السلطنة العثمانية أو (الرجل المريض) ابان
ولايتها على الشام والعراق، وضعفها على أن تمد سلطانها على
قلب الجزيرة العربية.

ولكن الا يكون من السياسة الحكيمة أن تتخذ من الطرق
مايغرى عرب الجزيرة بالهجرة الى أطراف الشام والعراق.
البلدان التى تدين لها بالطاعة ولو على سبيل الانتجاع وطلب
المرعى وقتا ما.. حتى اذا عرفوا الأرض وخصبها والمعيش

ويسرها كان ذلك كافيا لاجتلابهم واغرائهم بالهجرة الى اطراف هذه الأرض واستيطانها.

ان هذا مافكرت به تركيا ثم وضعته موضع التنفيذ، على أن تكون التجربة الأولى لدى أكبر القبائل عددا واوسعها نفوذا واكثرها مالا.. ولتكن قبيلة عنزة هذه القبيلة الواسعة الصيت القوية الشكيمة.. الضاربة في كبد نجد وخيرة مرابعها ومناهلها في مابين الحمى والرمة حيث الرياض الغناء والسهول الفيح والمناهل العذبة.. لقد كانت هذه القبيلة أول من استقبل محمودا.. محمودا المتقمص شخصية التاجر المغامر والثرى الكبير الذى يرحل مئات الابل بالقهوة والسكر والهيل والبر والشعير والاقمشة، ويلقى بها تلولا واكداسا بين خيام قبيلة عنزة ومضاربها، ويبيعها عليهم باثمانها في البلاد التى قدم منها أو بأقل ليفهم هؤلاء بأن تلك البلاد غنية بتلك الموارد، وانها لاتكلف ساكنيها مؤنة كبيرة في الحصول على معيشتهم. حتى اذا استحصل على ثمن بضاعته القاها اكياسا مفعمة بالفضة، وجعل يربط فيها طنب خيامه، ثم شرع في شراء الابل والغنم والخيل من هذه القبيلة بأغلى أثمانها، وساقها الى البلاد التى أتى منها.. أما شخصيته الأخرى فهى تلك الشخصية المأجورة المجربة في مثل هذه المواقف، والنهازة للفرص كلما وجدتها مؤاتية لبث فكرة الهجرة والدعاية لها بالقول والفعل.

ولم يزل بهؤلاء حتى لمس بوادر نجاح دعوته، والاستجابة لها من أفكار صافية، لكنها مرنة غير معقدة تتأثر بما يلقى اليها ولاسيما أن كان فيه شيء من المنطق.. فلم تتكرر هذه التجارة في الظاهر أو السفارة في الباطن أكثر من أربع مرات، حتى اجمع القوم امرهم على الرحيل وترك بلادهم وبلاد آبائهم يحلها قوم آخرون..

أما شيخ مشايخ هذه القبيلة ــ (مشعان بن هذال) ــ فقد أقلقته هذه البادرة، وضيقت الدنيا في عينيه، وملكت عليه تفكيره.. يالقومه الذين يملكون أحسن بقعة في جزيرة العرب، ولهم مركزهم الكبير بين القبائل.. سوف ينساقون خلف فكرة فردية، ويهجرون بلادهم الى بلاد لايعلمون ماذا يواجههم منها من حيث صلتهم بقبائلها وطبيعة جوها، وكيف تأثير مرعاها على ماشيتهم.. ثم مافى أجسام قومه من قوة وصلابة وشجاعة كونتها الصحراء.. ومافى عقولهم من صفاء ونقاء ونفاذ هذبتها أرضهم الصافية النقية.. ألا ترتخى تلك الأجسام الصلبة، وتلين تلك العرائك المستحكمة، ويخالط العقول الصافية بعض الأخلاط الرديئة التى تصدىء صقالها وتفل نفاذها بحكم طبيعة الأرض الجديدة وأثرها في تكوين أهلها.

كان هذا مايفكر به شيخهم، ويجهد نفسه في اقناعهم به، ولكنهم عنه في صمم والى ماغرسه محمود فيهم من دعاية لهذه

الهجرة منساقون.. ولم يطل الأمد حتى رأى هذا الشيخ اظعان قومه مدبرة يخفيها السراب و يبديها.. فاتبعها أنات حرى، وزفرات متقطعة مع كل شطر من أبيات قصيدته الآتية:

يالله يالمطلوب ياخير مَعْبُود   يَاعِز عَبْدٍ بالخَفِيَّة شَكَالَه
يَاخَيِّرٍ مَدَّك على الناس ماجُود   ولاخاب عبدٍ كل يوم يَسَاله
تَرثى لِقَلْبٍ به مَجَارِيف ولُهُوْد   ومن الرَّفَاقَة ضِيَّق الهَمَّ بَالَه
عَزِى لِرَبْعٍ طَاوَعُوا شَوْر مَحْمُود   مَدْرى بَلاهُم غَيْظ والاجَهَاله
والابَلاَهُم هَفْوَة الحَظْ وَخسُود   اِيْلَى صَار مَخْدٍ خَاسِرٍ من حَلاَله
مَحَاكِي فيها على الرَّجل مَنْقُوْد   ومَجَالِسٍ مافِيْهِن الا الرَّذَالَه
والله يَمِيْن الحَق مَشْهُوٌ مَنْشُوْد   انِّى مُدَوِّر عِزّكُم بالعَدَالِه
والاً فَلاَ لِى من هَوَى النَّفْس مَقْصوْد   الا مَعَزَّتكم على كل حَالَه
يَقْمَح صَبِّى بِنَشْوَتِه ماأدْرَك الجُوْد   وَلاَ رَزْ هَوْمَات المَرَاجِل سَبَاله
هذاك لاَيُنْعِى ولاهو بِمفْقُوْد   وِذَك مَعَ الخَفْرَات يَلْبَس جِلاَله
الـمِرْجَلة حَبْلَه طَوِيْلٍ ومَمْدُوْد   يا كُوْد مِن تَقْصر عن المَا حِبَاله
واللَّى يَرِيْد الجُوْد ماهو بِمَزْدُوْد   كم وَاحِدٍ اَلهفَى مَقَامِه فَعَاله
يَامْشِيْر بالفِرْقى ظَلَّت وجهك السُّوْد   دَرْب المَرَاجِل ماعليها كِفَاله
اللَّى يَرِيْد الجُوْد ماهو بِمزْدُوْد   شُوْف العيون ولايَعَوْز الدَّلاَله
يَرْخِص بِعُمْرِه ثم يَرْوِى شَبَا العُوْد   الا ولايَشِّح باغطَاي مَاله

يَالعَبْد لايَطْغِيْك في نَفْسِك الزُّوْد   دِنـيَـاك مِـثْل الفُى عَجْلٍ زَوَاله
دِنْيَاك مَادَامت لِسعْدُون وسَعْوُد   وعبد العزيز اللّى عَرَفْنَا فعاله[1]
دِنْيَاك لو تَغطِيْك امانات وعْهُود   خَـوَّانَـةٍ مـايـأمـن الـقلب جَاله
الاّ ولادامـــت لِـكِـشـرَى وداود   كَـم نَـفَّـذتَ حَـيٍ تَـحِطّه بجاله
صَـلاةِ رَبّـى عِـد مـاراح مَـشْدُوْد   يَمّ الجَبَل والبيت مَسَّت حباله
على النَّبِى مِقَلّط الحُوْضِ لِوْرُوْد   اللّـى يُـشَـفّـع لِامَّـتِه من جَلاله

وبعث بهذه القصيدة مع مندوب له في أثر قومه لينشدهم اياها، ولم يكد يفرغ من انشاده حتى عاجوا رءوس مطيهم ورجعوا أدراجهم نازلين على رغبة شيخهم.

وهكذا يلعب الشعر دوره في نفس العربى لما له من تسلط على عواطفه وهيمنة على شعوره.. حيث استطاعت هذه القصيدة أن تهدم مابنته السياسة التركية زمنا طويلا.. ولكنها لم تزل معششة في ادمغتهم حتى استأنفوا الرجوع مرة أخرى وبقوا هنالك الى اليوم.

---

(١) عبد العزيز وسعود هما عبد العزيز بن محمد بن سعود وابنه سعود من حكام الدرعية الأوائل.

وماذنبُ أعَرابِيَّةِ !!

هذه بنت صنيتان بن راجح شيخ البدارين من حرب، ذات جمال وكمال، زَوّجها أبوها من ابن نيف من بنى علي (حرب) أهل العوالى بالمدينة المنورة، وهو معروف بالكرم والمرؤوة والشمم.. فأنزلها في قصره وأغدق عليها من العطاء، وعاشت لديه زمنا في بلهنية وخفض عيش وطيب اقامة.. الا أن البدوية لاتلتذ بالحضر، ولايطيب لها أن يغلق عليها باب تقيم خلفه أياما وأياما، ولاتطرقها ناسمات الرياح، ولاينطلق بصرها الى نهاية مداه في فضاء رحب وفلوات قفر.. فتذكرت البادية، وتذكرت عيشها بها وان كان خشنا أحيانا ومتعبا دائما، الا أنه لديها لذيذ، والى قلبها قريب.. جلست ذات يوم أمام نافذة ترى من الفضاء بقدرها، وجعلت تغنى ظانة أن زوجها لايسمعها:

يَامَن لِقَلْبٍ كِن في دَاخِلِه نَار ... نَار لَها بِمْصَلْفِقَات الهَبَايِب

عسى وَطنْهُم مَا تُسَقِّيْه الأَمْطَار ... حَطَّوْن فيها واصبح الراس شَايِب

صَكَّوا عَليَّه بين ضِلْعَان وَاجْدَار ... مِثْل الرَّبِيْط اللّى بَعِيْد القَرايِب

يَامَن يُدَنِّى لي مِن الزَّمِل مِذْعَار ... اشْقَح من القِعْدان مَشْيه نَهَايِب

أبـا تَـنـحَّـرِ دار شَـبَّـابـة الـنـار عمِّى وابُوْيه ناطِحِيْن النَّوَايِب
لو كان شَوْقى لِلْمَوَاجِيْب صَبَّار مَـهُـوْب مَـشْـبُوْرٍ يَبِيْع الصَّلايِب
يَفْرَح الى جَو رِبْعَتِه له بِمشْيَار وان غَاب وَصَّالهم اذا كان غَايِب
يارَب عِظْنِى في عَشِيْرَى وَبَاخْتَار قَرْمٍ يَفِك الجَيْش يوم الحَرَايِب

فـكـانت هذه الأبيات كلها في اذن زوجها.. ولما كانت قد مدحتـه في ابيـاتها هـذه، قال لها: «كل ماتر يدينه حاصل». دخـل بهـا السوق واشترى لها الجمل الذى تتمناه للذهاب عليه، واشـترى معـه آخـر حملـه بغالى المتاع والكساء والهدايا، وقال: «اذهبى لأهلك بسلامة الله، وعسى أن تلقى من يطيب لك من الأزواج، والصلة التى بينى وبينكم صلة المصاهرة لن تنقطع ان شاء الله».

ولـيسـت هذه بملومة، فقبلها كثيرات من البدو يات اللاتى استوبأن الحضر، فخصلن شعرهن منه، اقرأ لأخرى:

ومـاذَنْـبُ أعـرابـيـةٍ قَـذَفَـت بهـا صُرُوفُ النَّوى مِن حيثُ لم تَكُ ظَنَّت
تَـمَـنَّتِ آحَالِيْب الرِّعَاء وخيـمةً بِـنـجـدٍ فلايُقْضَى لها ماتَمَنَّت
اذا ذَكَـرَت مـاءَ الـعُـذَيْبِ وَبَرْدَه وَبَـرْدَ حَـصَـاه آخَـر الليـل أنَّت
لهـا أنَّـة بَـعْـد الـعِـشَـاءِ وَأنَّـةٌ سُـحَـيْـرًا ولـولا انـتـاهـا لَجُنَّت

هَـلْ مات ؟!

عـرفه شجاعا فاتكا، لأتلين له قناة، ولايفل له حد، تحاماه الفـرسـان، و يـفـر مـن طـر يقه الأقران.. ومات الفارس، وجاء رجـل مـن قـومـه حـل ضـيـفا على ابن عم لهذا الفارس.. فسأله بـسـبب معرفته لهذا الشجاع هل له أبناء؟.. قال: نعم له أبناء. قـال الـسـائـل: لالـيس له أبناء فقال الضيف: اننى أعرفه تمام المـعـرفـة، وأعـرف اولاده وأسماءهـم، ومـع ذلك تغالطنى وتقول: لـيس لـه أبـنـاء ان امـرك لـعـجـب.. قـال: يـابـنـى ليس المراد بـالأبـنـاء، هـذه الهـيـاكل الجوفاء، التى يخلفها من يخلفها لتعيش نـكـرات في الحـيـاة، وامـعـات في المجتمع، وز يادة أرقام في عدد الأمـة.. أنـا لاأعتد بهذا اللون من الأبناء، فهم غثاء.. أماتسمع قول شاعرنا:

اذا بَـلـغَ الـفَـتـى عـشـر ين عام	ومـايَـنْـطَـح وَجـيْـه الـمُـوْجِـبَات
فَـلا تَـرْجِـيْـه اِن كـان حَـي	ولاتَـبْـكِـيْـه اِن كـان مَـات

أو لم تسمع أيضا ماقال الحكيم رميزان:

مَوْت الـفَـتَـى مَـوْتَيْن مَوْت مِن الفَنَا	ومَوْت من اخْلافِ الدَّرَارِى جُدُوْدَها
مَن مات مَاارَّث مِن ذَرَارِيْه مِثْله	فَـهُـو مِـثْـل نَـارٍ جِـرْعنها وَقُوْدها

ان فلانا الذى أسألك هل أنجب ابناء أو لم ينجب. ذهبنا مرة على خيلنا في مجال الغارات والكسب والنهب، فأغرنا على قوم قد شعروا بنا قبلُ، فقابلونا بعنف واستماتة، فجرحوا من جرحوا منا، وأخذوا ركابنا ومامعنا، وتركونا مجردين على نيرانهم بعد أن رحلوا وماشعرنا الا بفلان هذا الذئ احدثك عنه قد لحق بنا، ورآى ماصنع القوم بنا.. فقال: «أوهكذا يفعل من يتحدثون في المجالس بأنهم فعلوا وفعلوا؟!. أف لهذه الوجوه» ثم ركز رمحه وجرد سيفه، وركض فرسه، وأغار على القوم.. فطرد الرجال، وجاء بالابل والهوادج، وأمرنا أن نسوق الجميع كأننا رعاة.. ولما قربنا من أهلنا أرجع النساء، وأعطى كل واحدة منهن من الابل والمتاع ماأعطاها، وتركهن يرجعن لأهلهن.. أما الابل، فبعد أن وصلنا قومنا نادى فيهم من أمسك بشيء فهو له.. فعجوا فيها، وضجوا.. وكان يوما مشهودا في الشجاعة والكرم.. ثم قال الراوى: أرأيت مثل هذا الرجل.. هل له عقب يخلفونه في مثل هذه المواقف!! الجواب معروف.. انه لاعقب.

وهكذا يراد من الشباب أن يكون في سلفهم قدوة، ولهم في عظمائهم أسوة.. والا فالخلف والعقوق.

شَارع بن قُوَيْد يَبْكي شَبَابَه ..!

بكى الشباب قبلك ياشارع أجيال وأجيال، أذالوا عليه ساخن العبرات، وتابعوا متلاحق الانات.. فما أغناهم ذلك شيئا، وماكانت الا هذيان محموم، وتعلات مكظوم..

شيئان لو بَكت الدِّمَاء عليها عينـاى حتى يؤذنا بذهاب
لم تبلغ المعشار من حَقَّيْهِا فَقْدُ الشباب وفرقة الأصحاب

.. و:

وَطَرى من الدنيا الشبابُ وشَرْخُه فاذا انقضى فقد انقضت أوطارى

.. و:

آلةُ العيش صحة وشباب فاذا وَلَّيَا عن المرء ولى

.. و:

ألا ليت الشباب يعود يوما فَأخبرَه بما فعل المشيب

ومع ذلك ، فقد مضوا لسبيلهم ليحل محلهم آخرون، وهكذا: أفرأيت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ماكانوا يوعدون ماأغنى عنهم ماكانوا يمتعون.

وشارع بن قويد شيخ الدواسر، البطل والشجاع المعروف..

امتدت به الحياة، وسئم تكاليفها، واحوجت سمعه الى ترجمان، وظل أنينه يسهر و يشكو عقابيل الثمانين.. ولو أن الشجاعة تعجل بموت أحد، لعجلت بموت هذا وأقرانه من فرسان أهل نجد، أمثال: محمد بن هندى، وراكان بن حثلين، ومحسن الفرم، ومصلط بن ربيعان وغيرهم وغيرهم كثير.. ولقد صدق سيف الله خالد بن الوليد حينما قال: لقد شهدت ثمانين زحفا، وليس في جسدى موضع اصبع الا وفيه طعنة، أو ضربة، أورمية، وهاأنذا أموت على فراشى كما تموت العنز.. لانامت أعين الجبناء!!.

أغير على قوم شارع بن قويد فخف القوم يتسابقون ظهور الخيل في مثل لمح البصر، وكل واحد يعتلى ظهر جواده يركظها برجله، ويمر أمام الشيخ، و يعتزى: «خيال الخيل مسعرى!!»، وهكذا حتى داخلت النشوة رأس الشيخ، وداخله غرام الشجاعة.. فصاح بأعلى صوته: «عطونى فرسى!!، عطونى فرسى!!.» ونسى أنه مقعد، وانه فارق الفرس وفارقته.. فقالت امرأة عنده: أنت عود مهذرى مالك وللفرس.. فراجع نفسه، وتنفس أنة يسمعها كل من حوله، وأتبعها بهذه القصيدة:

بَكِيْت مَا بين الجبل والنُّفُوْد وَذَكرت آنا لِى مَنْزِل قد حَمَيْناه
وَافْكَرْت أنالى ذى مَنازل جُدُوْدِى في عَصْرِنا مَاقَط حَيٍ نَزل ماه
واليوم شِبْتَ وَوَهَنَتْنِى عُضُوْدِى مع العَجُوْز ومَرْكَب الجَيش عِفْناه

بين الحَنَايا والكَتَب والعُمُوْد | ويَاوِيْل مَن قل الجَهَد مِنه عَزَّاه
يَبْكَن فِغلى نَاقِضَات الجُعُوْد | لِى زَرْفَل المظْهُوْر واللأش خَلاه
لأزَرْفَل المَظْهُور قدم الجُرُوْد | كَم وَاحِدٍ بَاظرافهن قد طَرَحْنَاه
وانْ هَجْ زَمْل مُوَرَّسَات الخُدُوْد | كَم وَاحِدٍ من شَوْف رَبْعِه قَطَعْنَاه
نَنْطَح شَبَاهَا والقَبَايل شُهُوْد | وان لاَح بَرَّاق مِن الوَسْم زِرْنَاه
والى رَكَبْنا كِل قَبَّا عَنُوْد | يَامَن بِنا المِضلاح لَو طَال مَفْلاه
كِله لِعَيْنَى كِل وَضْحَا سُنُوْد | والا خَلُوْج بَوَّهَا قِد رَمَيْنَاه
نَرَعَى بها في نَازِحَات الحُدُوْد | لِى زَبَّر الوَسْمِي سَقَى النَّبت مِن مَاه
بَاولاد مِشعَر بالمَوَاقِف زنُود | يَاسِعْد مَن هُم مِخْزَمِه بِالمُلاقَاه

مـن حَفَـرَ لأخيه بـئرًا .. وَقَعَ فيـه ..

عـاشـا على الـسـلـب والنهب واللصوصـية ، وظلا يرصدان الطـرق، ومخـابـىء الأرض، وممـرات الجـبـال الـضـيـقـة، وموارد الأثـمـاد، والاحـسـاء، والقلات.. وكل من رأيا لهما مطمعا فيه اغتالاه أو أخذا مامعه، وهكذا.

وفي يـوم كـانـا يكـمـنـان في مضـيق طريق، وقد أقبل عليهما صاحـب راحـلـة فـوق راحـلـتـه، ومعه سلاحه، فتشاورا بأن هذا لامطمع فيه الا أن نحتال عليه احتيالا فلو حاولنا اخذه وهو على راحـلـتـه فـتـك بـنـا بسلاحه وانهزم عليها.. ولكن لنأخذه بالحيلة يسـقـط أحـدنـا على قـارعـة الطريق واذا وصل صاحب الراحلة يقـول الآخـر ان هـذا صـاحـبـى قـدرا الله عليه ومات البارحة، فـأعنى عليه جزاك الله خيرا لندفنه.. فاذا أهوى ليحملنى قفزت واخـذت بـرقـبـتـه، وتساعدنى انت على اغتياله.. هكذا خططا.. ولما قرب منهما انطرح احدهما بحيث لايراه صاحب الراحلة، مثل نـفـسـه مـيـتـا.. فـأهاب به صاحبه أن يعينه على مواراته، فرقت نـفـسـه لـفـعـل الخير، وانـاخ راحـلـتـه، واقبل ليحمله كما يقول.. فـحملاه، وكان هذا منتظرا ان يقفز و يأخذ برقبته، واذا به جثة

هامدة قد فارق الحياة منذ انطرح على الأرض.. ولما أدرك ذلك صاحبه جعل يصيح ويخمش وجهه، ويحثو التراب على رأسه.. فذهل صاحب الراحلة مما أخذ يفعله هذا الرجل، وقال له: انك قبل لم تبك ولم تتأثر كحالتك الآن.. فلماذا جاءتك مصيبتك الآن؟!. ان أمرك لعجاب.. فقال : اجلس لأحدثك بقصتى أنا وصاحبى هذا.. فقص عليه القصة، واخبره بما اضمر له، وبما درجا عليه منذ سنين في الفتك والنهب والاغتيال.. فقال لعل هذه موعظة لك.. فان الله يمهل ولايهمل ويملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته..

انها لعبرة للمعتبر وآية للمتدبر!!.

إذا لم يكن إلاّ الأسِنّه ؟!

كاد الفقر أن يكون كفرا.. فكم عزيز اذله، وكم همة قعد بها دون مرادها.. كان حمد المخور من المغايرة الروقة عزيز قوم في سماحته ومروءته.. وقد التوت به الحال، وقسا عليه الزمن، وضن عليه وقته بقوته، الى جانب شيخوخته وعجزه.. وكان ابنه سهيل شابا ناشئا، لم تحكمه التجارب، ولم يرضه الزمن.. فما كان له ــ ووضع والده، ومن تحت ايديها هكذا ــ الا أن يطلب لهم قوتهم بكل حيلة ووسيلة، ولو بالسرقة والنهب.. راض نفسه على ذلك، وانجرد يروع كل حين آمنا في ماله، حتى ضج من حوله، وجأروا بالشكوى الى الحكام.. فما ثم الاسهيل المخور، الذئب الاطلس، الذى لايمنع عنه ممتنع، ولا ترد سطوته يقظة.. فاحتالت سلطات الملك عبد العزيز (رحمه الله) على القبض عليه، وجلبه الى الملك بنفسه.. فلقد أخل بالأمن، وأخاف السبيل.. ولما مثل بين يديه.. قال له: مالذى حملك على هذا العمل المشين في بلاد اعز ماتفخر به الأمن وأغلى ماتحافظ عليه دماء الناس وأموالهم وأعراضهم؟.. قال: والله ماحملنى الا الجوع عندى عجوز وشيخ هدهما الكبر، ورعى جسميها الجوع، فهما شبحان ليس بهما الا روحاهما، يطويان

الليالى والأيام، واذا رأيتها بكيت وبكيت حتى لم يبق في عينى قطرة لم أرقها.. فأنسى سلطة الأمن، وانسى عار السرقة، وانسى كل شىء في سبيل الحصول على لقمة اضعها بين ايديهما.. فاقض ماأنت قاض فلأن أفارق الحياة اهون على من أن اتذكر وضع والدى، فتذوب نفسى حسرة وتتقطع كبدى حرارة.

فبكى الملك عبد العزيز لهذا البيان الذلق الحزين.. وقال اذهب، فأنت طليق بر والديك، ولك علّى أن لايجوعا بعد اليوم.. فقطع الفقر عنه وعنهما بمقرر دائم وعاشا بخير.. إلا أن المنية لم تمهل سهيلا ليتمتع بالراحة وبسطة الرزق فأخذه الموت.. وادخل الشيخ جده العاثر في مصيبة يهون عندها ماقبلها، فطفق يقول:

اِلَى بَدَا نَجْمِ اليَمَنِ قِمْتَ اَخِيْلَه	وحَارَبْت مِمَا شِفْت بَاقِي رَقَادِي
والنِّجر عَقْب سُهَيْل آنَالِيْش اَشِيْلَه	جِـعْـل الدِّلاَل وَنجْرَها لِلنَّفَادِى
أتلَى العَهَد بِه يَوْم رَبْعِى تَشِيْلَه	مُدَخَّلٍ وَسْط الهُدُوْم الجِدادِى
عَلَيْه فيِّ الصُّبْح يَرْجِع ظَلِيْله	وفِيِّ العَصَرَ مِن يَمَّتِه بِالبَرَادِى

الى آخر ماجاء في قصيدته الحزينة الباكية..

وعبرة القصة معالجة الحاكم لاحوال رعيته، ومعاملة كل بمايليق به وله..

وَوضْع النَّدى في مَوضِع السيفِ، بِالعُلا
مُضِرٌّ، كَوَضع السيفِ في مَوْضِع النَّدى

رحمك الله ياعبد العزيز، فكم لك من اياد لاتنسى ولاتحصى!!.

وإنَّما نأخُذُ ما أعْطيْنا .. !

تزوج مبكرا رغبة في حياطة نفسه، ومحبة في ان يولد له ولد ربعي يعانقه مبكرا.. وهكذا شأنهم قبلُ، يؤثرون البدار.. ألم يقرأ قول الشاعر:

إلى صِرْت مِنْ رِبْعِي الأوْلاد مُفْلِس   صَيْفِيّهُم يَأتِي عَلَيْك وَبَال

وماقال الحكيم العربى قبلُ:

إن بَنِيَّ صِبْيَة صَيْفِيُّوَن   أفْلَح مَن كَان لَه رِبْعُيُّون[1]

ولكن هذا ولد له بكره بنتا، فرضي أولا بما قسم له، ولكن البطن الثانى والثالث إلى السابع.. كلهن بنات.. ولما أصبح في انتظار المولود الثامن قال لامرأته: «ان كانت بنتا فسوف افارق البلاد بمن فيها، بما في ذلك انت وبناتك الثمان.. أأظل حياتي وقفا على تربية ثمان بنات، وكلما كبرت واحدة ذهبت إلى زوج تخدمه، وتقوم بشأنه، ويكون نصيبى منها العناء؟! لا لايكون هذا» فهدأته المرأة، وقالت: هذه ارادة الله، ومايدريك

---

(١) البيت لاكثم بن صيفي وقيل لسعد بن مالك بن ضبيعة

لعله خير لك.. ولكنه صمم على عزمه.. فولدت البطن الثامن بنتا، فنفذ عزمه وذهب الى حيث لايُدرى مكانه، وجعل يضرب في الأرض هنا وهنالك.

وأحد الأيام كان يجلس لدى صاحب حانوت صغير يتلهى صاحبه به، ويبيع مالايسمن ولايغنى من جوع، ولكن من أجل السلوة وتزجية الوقت.. فهو شيخ قد هده الكبر، وبلغ منه عتيا.. فانس به هذا الغريب أبو البنات، وجعل يعاود الجلوس عنده، فقال له الشيخ يوما: انك غريب.. قال: نعم.. قال: وكئيب.. قال: نعم.. قال لماذا يابنى؟!. فقص عليه خبره كله.. فضحك الشيخ، وقال: انها لمصادفة عجيبة، لعل الله ساقك اليّ لتأخذ منى العبرة.. قال: وكيف. قال: انت مدعو عندى هذه الليلة للعشاء، وهنالك سوف ترى العبرة تطبيقيا.

وفي المساء ذهبا جميعا الى دار الشيخ ليجد الغريب أمامه عجوزا، ضامرة، محدودبة.. هى زوجة الشيخ، ولاأحد لديهما في هذه الدار فظل الغريب بينهما يرى ويسمع، ولاحركة لعشاء ولااستعداد لاستقبال ضيف.. وفي موعد العشاء.. جاءت امرأة تحمل مالذ وطاب فوضعته ودبت الحركة في الدار بعد أن قبلت الشيخ والعجوز ودعت لهما بخير، وقالت لعل فلانة لم تسبقنى اليكما.. وبهذه الأثناء دخلت الأخرى تحمل خيرا كثيرا، فقدم الطعام تتخلله الأحاديث الطيبة، والترحيب بالضيف.. وبعد أن

فرغا، قال له الشيخ: ولد لى من الولد عشرة: ثمانية بنين، وبنتان.. أما البنون فكل مضى لشأنه وأولاده ودنياه، ولااراهم الا لماما أنا ووالدتهم التى ترى.. وأما البنات فانهن يتعاقبن فينا صباح مساء، يغسلن وينظفن ويطبخن، ويقمن بشأننا كله، مع رقة ورحمة ودعاء وشفقة وعبرات، ودموع أحيانا.". فلماذا يابني يحزنك أن لايولد لك بنون.. ألك الخيار حتى تختار لنفسك؟.. أم أن لديك ثقة على أن البنين خير من البنات؟.. وهل تعلم مايكنه الغيب لك لكى تتصرف هذا التصرف؟ عد الى بلادك وأهلك وبناتك، فان لهن رحمة في القلوب، وعاطفة متأججة، وقربا كبيرا الى النفوس.. فالى من تتركهن؟.. هل قسوة قلبك تبلغ الى هذا الحد؟! ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

فعاد الغريب الى وطنه، ورضى بما قسم الله له ورزقه بعدئذ بنين، وأغناه بعد عيلة.. وماهذا الا كأهبل آخر يدعى أبا حمزة ولد له بنات، فقاطع امرأته لايأتيها جزاء لها حينما لم تلد ذكورا، فبعثت اليه بهذه الأبيات:

مَالأبِى حمزة لايأتينا يَظل في البيت الذى يَليْنا

حَرْدَان أن لانَلِد البنين وإنما نأخذ ما أعْطِينَا

وبقضاء الله قد رضينا !!

هكذا يحلّون مشاكلهم

لم يكن عهدهم الذى كانوا يعيشونه ــ بما فيه منْ جاهلية، وبعد عن العلم، واضطراب في الأمن، وتحكم الأقوى في الاضعف ــ لم يكن خلواً من نصفة ومراجعة نفس، ومخاطبة ضمير، ووقوف عند حدود.. بل كان الكثير منهم كذلك.. وكانوا يختارون من يتوفر فيه العقل والذكاء، والفراسة، والامانة.. يختارونه حكما يحل مشاكلهم، ويصلح بينهم، ويقارب بين ذات البين منهم بطرقه التى يختارها، وبالقرائن التى وقعت لغيره، وبالفراسة والذكاء من اجل اطمئنان نفوسهم للمصالحة وقبولها للوساطة.. فكثير من المشاكل المستعصية، والفتن المتأججة يلجأون فيه الى مايسمونه العارفة أو الفارض، فيستعمل ذكاءه وعقله، ويجتهد في حل المشاكل.

فمما وقع من ألوف الأمثلة: رجلان.. اختلفا في حوار ناقة، وكل يدعيه لنفسه، وكيف وقع ذلك؟: إن ناقتين لقحتين ضلتا، ومكثتا زمنا لايدرى عن حقيقتها شيء، وقد نتجتا ومات حوار أحداهما، وظل الآخر باقيا فرامتاه جميعا وأخذ يرضع الاثنتين.. وكل واحدة تحدب عليه وتحتضنه على أنه ولدها..

فهو حوار محظوظ.. وبعد مدة عثر عليهما رباهما، وقام الاشكال في الحوار لمن يكون؟!.. وايهما يكون الحوار ولدها الحقيقي؟.. مع العلم أن فحلهما واحد، فجعل كل واحد منهما يدعيه.. فأوصلا المشكلة الى العارفة.. فاستعمل ذكاءه وفراسته في حل هذه المشكلة.. فليذهب العارفة بالناقتين الى مرتعهما البعيد، حتى اذا جاء وقت وردهما الماء عقل الحوار، وذهبتا لورد الماء ولما لم تر ياه لحق بهما، عادتا اليه مرة ومرتين وثلاثا.. وفي الرابعة انطلقت التي ليس هو بحوارها الحقيقي الى الماء.. أما أمه الحقيقية فبقيت حوله تتلوى من شدة الظمأ، وحينما أدرك ذلك العارفة أطلقه، ثم انطلقت به لا تلوى على شيء حتى وردت الماء.. فحكم به لصاحب الناقة التي بقيت عند الحوار.

وهكذا يستعملون الفراسة، والذكاء، والتجربة في حل مشاكلهم.

بين البخل .. والتدبير

ماأحسن ماقاله ابن الوردى:

بين تَبْذِيرٍ وبخل رُتْبَة　　وكِلا هذين إن زَادَ قَتَل

الوسط من كل شيء، وفي كل شيء.. هو الاعتدال، لاسيما في المال وتدبيره.. فله حال ممدوح حث عليه الشرع والعقل، وندب الانسان أن ياخذ به.. وله حال مذموم حذر منه وأنذر.

ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا.. وماعال من اقتصد.. ومن انفق ولم يحسب هلك ولم يدر..

وقد يظن بخيلا من ينزل الأمور منازلها، و يدبر معيشته تدبيرا حكيما.. وقد يظن سخيا من يخبط خبط العشواء، و يفرط بدون حساب ولا تدبير.. وقد قيل: في جانب كل اسراف حق مضيع. ولهذا سمى بطل هذه القصة باليابس اتهاما له بالبخل.

أصاب ابن عم له عوز وعلقه دين، فتذكر ابن عمه

(اليابس)، ولكن كيف يذهب اليه والناس يبخلونه.. انه يخشى من ذهاب يثمر المذلة، ومن ثم يعود صفر اليدين.. ولكن ليجرب، فلا ضير عليه اذا جرب.. ركب راحلته وتوجه شطره.. وحينما أقبل على بيته، واذا به أمام البيت يجبّر رجل (حمل) ولد البارحة فوطأته دابة فكسرت رجله فجعل يجبرها.. فكانت صدمة لهذا.. أيأتيه يطلب منه رفدا وهو منكب على حمل يجبره؟! هذا ماكان يخشاه.. مكث لديه ماشاء الله، وعاد ولم يفاتحه في شيء.

وفي السنة التى تليها راودته نفسه ان يعاود ابن عمه ففعل، ولما قدم عليه وظل معه حول القهوة، واذا بابنة صاحب البيت تعود بعد ماذهبت بغنمها للرعى، تقول لأمها: انها ضيعت ابرتها، وتريد غيرها.. فغضب الأب لماذا تضيع الابرة، فقام وعاتبها. فكانت هذه أيضا وازعا يزعه ان يفاتح ابن عمه في رفده، فمكث لديه ماشاء الله ومضى.. وجاءت السنة الثالثة يحمل املا جديدا، فوجد الاب يوزع الأبر على بناته، كل واحدة منهن يعطيها ابرة، و يوصيها بأن تحافظ عليها.. فكانت هذه ثالثة الاثافى.. ولما هم بالرجوع عازم على أن لايعود: قال له صاحب البيت: انك جئتنى ثلاث مرات كل سنة مرة، ومااراك فاتحتنى في شيء يعينك على شئون دنياك؟! قال له: يابن عمى في كل مرة آتيك وانا معوز جدا، ولكن تصرفاتك التى شاهدتها تجعلنى احجم عن مفاتحتك في شيء، وقص عليه خبر الحمل والابر..

فضحك وقال: يابن عمى مثل هذه الأمور ينبغى أن تجعلك تحجم عن قصدك.. إن مافعلته بالحمل هو اننى أعرف أنه لولا حقير المال لما يأت كبيره.. فالذى وجدتنى اجبره تلك السنة هو الذى ذبحته لك البارحة، صبرت عليه حتى كبر، ثم انفقته في وجه انفاقه.. وعملى مع ُبناتى في قصة الابر لالبخل، ولكن للتربية والتنشئة.. فمن اضاع الصغير اضاع الكبير والذى يفرط في الحقير يتساهل في الأثير.. ومثل هذا لايسمى بخلا، ولايمكن أن يكون حائلا بينك وبين قصدك.

ولكن انظر الابل هذه التى تسير خذ منها الجملين الاولين، فقالت أم صاحب البيت: لاياولدى يكفيه واحد.. فقال: خذ الناقتين اللتين خلفهما معهما، فصاحت الأم ونهرته.. ولم يزل به حتى اقتطع قطعة كبيرة من ابله واعطاه اياها!!.

فأخذها وانشده:

سَمُّوك بِاليَابِس وَهُم كَاذِبِيْن　　اليَابِس اللّى مَايَعْرِف المَوَاجِيْب

كانوا.. فبانوا..!

للعرب في جزيرتهم مضطرب ومنتجع وتموجات.. تبعا لتتبع مساقط الغيث، وارتياد مواطن الكلأ، واستمرار المراتع.. وتبعا ايضا لسعة النفوذ، وتكامل القوة وهيمنة الغلبة.. ففى الازمنة القريبة أى منذ حوالى القرن الثامن الهجرى فما دون، تتابع على قلب نجد عدة قبائل: بنولام، وعنزة، ومطير، وقحطان، وعتيبة.. ولهذا تقول المطيرية:(١)

نَجِدٍ خَذَيْنَاها من آوْلَاد وَايِل   والـيَوْم عَدَّوْنَا سَكَّن وادى الرَّاك

اِمَّا حَمَيْنَاها بِضَرب السَّلايِل   والإِعْطِيَـنا الشَّاة ذَوْلا وَذَوْلاك

كانت قبيلة الضفير في وقت ماقاطنة على العيينة، من اعلى وادى حنيفة، بلاد بن معمر بعد ذلك، وكان الضفير وقتها ذوى قوة ومنعة فرت بهم قافلة من عنزة مع شيخهم عبد الله بن ماجد بن هذال، ومسلط الرعوجى الشاعر شيخ العمارات من عنزة.. وكانوا قلة لايتجاوزون الاربعين.. فخف آل سويط وجماعتهم الضفير لقتال عنزة، وحصل بينهم يوم انكد جرح فيه

---

(١) هي من يسمونها (مويضي) البرازية من برزان مطير وهي امرأة رجلة برزة لها فراسة في الرجال فلا تدنى منهم الا الحقير ولذا يسمون اشباه الرجال (رجال مويضي).

الشيخ فيصل بن سويط، والشجاع محمد بن منديل، وقتل فارس يقال له القاز من شجعان الضفير.. واستطاع العنزيون أن يصدوا هجوم الضفير بعد هذا.. ونجوا بابلهم ومتاعهم.. ولكن الضفير اعادوا الكرة مرة أخرى، وتجالدوا وانخزل من العنزيين قسم نجو بابلهم ولكن الباقى ثبت وناضل حتى نجوا، وفي ذلك يقول مسلط الرعوجى ذلك اليوم:

التِّسْعةِ اللّى عَنَّزَوْهُم عَلى الجَال	والرَّبْع قِدَّام الدَّبَش يَشرْفُوْنه
ودِّك تُخَيِّل بِيْضهُم[1] يابن هَذّال	والنَّذْل عن رِكْب الفرس تَفرِدُنه
قِلْتِه واناكاسٍ حصَانِى كِما الشَّال	رَمْحِى بِدَفَّة شَيْخهُم يَمْشعُوتَه
ابن سُوَيْط اللّى خَبِيْرٍ بالافْعَال	اللّى كَسَت خَيْل المعَادِى ظُعُوْنه
والمُنْشَرِح من ضَرْبَة الوزِع مِهْتَال	(والقَاز)رِغْيَان الغَنَم يَشهَجُوْنه
خِلِّى دِمِيّه بَين الآمْتَان هِمّال	لِغيُون مِن كِن المَطَارِق قُرُوْنه[1]

ومسلط الرعوجى هذا معاصر للشاعر الشهير محسن الهزانى، وله معه قصة عسى أن نتمكن من ايرادها ضمن هذه المجموعة من القصص.

(١) تخيل بيضهم : تعطى نساءهم الخيل فهم أحق بها لأنهم جبناء.

(٢) يعبرون عن شعر رأس المرأة بالقرون كما يعبرون عن ثناياها احيانا بالانياب وهو اصطلاح ولامشاحة في الاصطلاح.

وَهِيَ البَهَايِم !!

الدغيرات فخذ من شمر، ذوو شرف ومكانة.. وقديما تنازع امارة هذا الفخذ رجلان كريمان، كلاهما اهل للامارة، وموضع للرياسة والنفوذ.. وظلت الامارة بينهما تتأرجح.. والعربى لايحرص على الامارة من اجل طمع أو مصلحة مادية تعود عليه.. وانما من اجل مافيها من الثقة التى يضعها فيه قومه، وما فيها من أن يكون وجها للقبيلة يقصده القصاد، ويختلف على بيته الرواد.. وبالجملة فهو يريد شرف الامارة ومنزلتها الاجتماعية الكبيرة وان كانت تقتضيه ماله وتكلفه طاقة من جاهه، وتعرضه للمشاغل والمشاكل.. فلقد قيل للأحنف بن قيس سيد تميم وزعيمها: ماالسيادة ياأبا بحر؟! قال: هى الذل يابن أخى فهل تصبر له؟!.

وهكذا أرادها ابن سعيّد له، وأرادها ابن غازى له.. وفي النهاية لسبب أو لآخر أصبحت لابن سعيد.. مما دعا ابن غازى أن يفعل ما فعل فنفاه ابن رشيد الى غير أرضه.. وما أمر النفى عن بلاد أحبته وأحبها، وسكب فيها ريق شبابه، وأنيطت عليه تمائمه بها.. وهى هى بعينها الذى يقول فيها من قبله ممن أحبها، وتمكنت مودتها في شغاف قلبه:

أحَبُّ بلاد الله مابين(مَنْعِجٍ) إلَى و(سَلْمىٰ) أن يَصُوْب سَحَابُها
بلادٌ بِها نِيْطت عَلَّى تَمائِمى وأول أرضٍ مس جِلْدِى تُرَابُها

لقد ذهب ابن غازى ساخن الدمع، أسيف القلب، متوقد العاطفة.. فبكى بهذه القصيدة الباكية وماأمر شكواه وأحرها:

يالله يَامُجْرِى هَبُوْب النَّسَايِم تَجْلِى صَدَى كَبْدٍ بَراسَه لَجَاجَه
الله مِن كَبْدٍ بها المِزْ زَايِم قَامَت تَصَغْفَق وِدَّها بانْزعَاجِه
الله على العَيْرَات(١) والحَظْ قَايِم تَفْضَاة بالٍ مَع خَطَاةَ الزَّرَاجَه
لِى رَوَّحَن مِثْل اخْتِبَاط النَّعَايِم مُتْحَرِّيَات الكَسْب وَسْط المَدَاجَه
جِبْنَا عَلِيْهِن مالَ نَاسٍ هَمَايِم مُرَبِّعٍ في نِقْرَة مِن هَبَاجِه
تَطَابَقُوا بِقْشُوش جِذْبٍ صَمَايِم والخَيْل من حَمْو البَوارِيْد مَاجَه
ضَرَبْتَها لِغْيُون زِرْقِ الوَشَايِم اللّى صِخيْف الرُّوْح(١) يَضْحَك حِجَاجَه
يَاشِيْب عِيْنِى وَاهَنَى البَهَايِم مَامَيَّزُن طِرْق الخَطَا والعَوَاجَه
هَنِى دِيب طُوْل الأيام نَايِم ماله حِذا ماحِظ بِالبَطِن حَاجَه
شِبْنَا وَحِنَّا مِثْل سُوْد اللَّثَايِم ماضَال من حَاجَاتِنا رِبْع حَاجَه

(١) العيرات : الهجن.
(٢) صخيف الروح : ضامر البطن.

لئلاّ تُجْرَح أمانَتُه . . !

اصطحبا منذ زمن طو يل، وانعقدت بينهما صلة اخوة وصداقة وثقة وأمانة، وليس أنجح في امتحان الرجال واظهار خفاياهم من مرافقة السفر، وتحمل عنائه، ومشاقه، وركوب صعابه، وتلون اهابه.. فهو محك يبين فضل الرجال ومقياس توزن به الصحبة و يعرف به الخيم، لذا لم يبق ثمة خفية بين هذين مستورة ولاخلق لم يظهر ولكن الأحداث وتقلبات الزمن وحر بائية الدنيا تجدّ بما ليس في الحسبان وتظهر بشتى الألوان.

كانا يتجران في الابل، يأتيان بها من البادية من بعيد وقر يب يبتاعانها فرادى ومثنى وثلاث ورباع.. الخ، ويهبطان بها الأسواق ليصرفاها بر بح معقول، ثم يخرجان للاتيان بغيرها، وهكذا.. فهما شركاء في الصحبة والذهاب والاياب، ولكن مال كل منهما على حدة.

خرجا ذات مرة بعد أن صفيا بضاعتهما في السوق، وأودع كل منهما ذهبه في منطقة تمنطق بها لها مخابىء تختزن الذهب، ومن الصدف أن منطقتيهما من صنف واحد ولون أحمر فاقع ابتاعاهما معا من محل واحد.. و بعد أن ضر با في الأرض وأوغلا

في السفر أدركتهما القيلولة ذات يوم، فقالا تحت شجرة، وكان الوقت حارا مما دعاهما أن يتخليا عن بعض لباسهما وعن مناطقهما التى تثقلهما وتزيدهما حرارة.. جعل أحدهما يعمل القهوة والطعام، ووضع منطقته على بث راحلته، أما الآخر فوضعها على شجرة صغيرة قريبا من رحله وذهب يحضر حطبا، فأدركت الحدأة غرة من هذا الذى عند الرحال، فاختطفت منطقة الذى ذهب يحطب واختفت بها خلف الأفق.. ياللمصيبة أطائر يختطف هذه المنطقة، ويذهب بها؟ أن هذا مالايصدقه صاحبى قطعيا، بل سوف تقع الظنون، وسوف أكون هدفا للتهمة، وسوف ولاشك تجرح امانتى، وهذا ماأخشاه وأحذره.. فالأولى ان آخذ منطقتى وأجعلها مكان هذه المنطقة التي اختطفتها الحدأة، فهما من جنس واحد، والمبلغ الذى بهما متقارب.. فأسرع ونفذ خطته قبل أن يأتى صاحبه بالحطب.. وجاء فأكلا وشربا، ولكن من وقعت عليه المشكلة تمارض وأظهر الإعياء وقرر أمام صاحبه العودة، ورغم مابذله صاحبه من محاولات لصده عن عزمه الا أنه لم يفلح، سار هذا راجعا، وسار هذا نحو قصده، ومضى هذا الذى ذهنه خال من كل شيء ليلته تلك وضحوة اليوم الثانى، وادركته القيلولة تحت شجرة اخرى، وجعل يحترف في شأنه واحضار الحطب لصنع طعامه، واذا بعش طائر في هذه الشجرة يتدلى منه شيء أحمر ملفتا للنظر، فتناوله بمحجنه، واذا بمنطقة حمراء تسقط عليه، واذا

بها بجراء بما في داخلها، ففتحها ووجدها مفعمة ذهبا.. ولكن أليست هذه تشبه منطقته تماما؟.. بل انها هى، وأن النقود التى بداخلها هى نقوده عدا وجنسا.. سبحان الله ماهذا؟!.. فعاد الى منطقته التى هو متمنطق بها، فاذا بها منطقة صاحبه بعينها، فبهت لغريب المصادفة، وعجب الامر.. ولم يحتج الوضع الى طول تفكير فقد أدرك أن هذه الحدأة التى هذا عشها قد اختطفت منطقته وصاحبه يراها ومضت بها، فخشى صاحبه أن يظن أنه قد خبأها فوضع منطقته مكانها اذ لم يكن هناك مجال لأى احتمال غير هذا، فدرأ عن سمعته بتصرفه هذا، ياللمشكلة!!، ولكن سوف أفاجىء صاحبى بمفاجأة سارة يسر بها و يبتهج.. لقد ابتاع بذهبه ابلا جيدة ووضع سِمَتّه عليها، وجاء بها مع ابله، ليفاجأ صاحبه بهجمة من النياق عليها سمته، وليقص عليه قصة الطائر والشجرة والمفاجأة.

وهكذا.. فكل من هذين ينافس في الجود، و يبارى في جميل الصحبة وخالص الصداقة.. فرحى لهذه الروح تفيض بالخير، وتسارع الى الأمانة والصدق والمروءة.

بـاع نَفْسَـه !!

رفقة فيها(غازى الطوير) مولى ينتمى الى قبيلة(مطير) شهم أبـى حـاذق مجـرب مـتـمرس صقلته البادية وحنكته وأنجبت منه ولاجا خراجا لايعز عليه مطلب ولايتأبى عليه هدف.

ضـربـت هـذه القافلة في البيداء وحملت معها حصيلة مالديها مـن المـال نـقـدا لتمـتـار بـبـعـضه ولتبتاع مقتضيات الحى ولوازمه بـالـبعض الآخر.. وكانت البصرة قصدهم وكان الطريق مابين حـدود المـمـلـكـة والـعـراق مخـوفـة يضطرب اللصوص في أرجائها و يـتـخـطـفـون المـارة والسفر ماوسعهم الأمر فلا بد من أن يجمع مـال الـقـافلة عند قوى أمين يحوطه برعايته و يرعاه بحذره و يفرغ نـفـسـه لحـفـظه والسهر عليه.. الا أن الرقيبة تغفل ويجور سلطان الـنـوم على الـيـقـظ الحذر ومن طلبه خصمه أدركه أن عينا ليلية واذنـا واعـيـة كانت تراقب حركات القوم وسكناتهم وتعد عليهم أنفاسهم.. ولما أخذ النوم بمعاقد الأجفان بعد سير وسرى ومقاساة لـوعـثـاء الـسـفـر وعقابيله كانت عين اللصوصية ترقبهم وكان فن الـقـرصـنـة والخـطـف يـتـابع الأنفاس لينسل مذربا مدربا كأنه الذئـب الـسـاغـب و يـسـل مـزود الـنقود من تحت رأس (القوى الأمين) الـذى لم يـصـح الا على نـبـث الـتـراب والحـصـا كـأنـه

شؤبوب رائحة.. ليقفز هذا فزعا مرعوبا تحس يده (أول ماتحس) مكان النقود ليجده حفرة لاشيء بها فيصيح فزعا لكن الصياح لايرد فائتا. نقودهم جميعا مضى بها اللص تحت جنح الليل.. وانعقدت حلقة الركب لينظروا ماذا يرون أو يرجعون وهم من البصرة قاب قوسين؟!.. ايمضون وهم صفر الأكف فارغو الوطاب لاعارفين ولامعروفين.. انها مشكلة وامر حازب لازب يقتضي رأيا فاصلا وفكرة نافذة تضعهم حيث يتصرف الرجال و يقدح زند الفكر الحى النافذ.

طلب الكلمة (غازى الطوير)، وكان مضمونها أن طلب اليهم النوم والحل السليم القويم سوف يكون غدا اذا اجتمعوا حول القهوة وأكد طلبه، فتلافتوا فكانت اشارات الرؤوس تومىء بأن نعم فصاحبهم ليس غرا ولاخلاء الفؤاد، ولكنه من عرفوا يصمت حتى يكون للكلمة موقعها ثم يطلقها سهما يطبق المحز و يصيب شاكلة القول.. فناموا ليصحو (غازى) على أول نفس من الصبح فيؤذن للصلاة و يؤم رفقته فيقرأ في الركعة الأولى الآيات من سورة الطلاق: ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه.. وفي الثانية سورة الانشراح: فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا.

فكان فألا مباركا ممهداً لما سوف يأتى وقضوا مائدة التسبيح

وانصرفوا الى موقد القهوة يتحلقون حوله، وقد مر في مخيلة كل وحد منهم شريط من الأفكار والتخرصات ليلة البارحة عماذا سوف يفاجئهم به غازى.

أما غازى فكانت فاتحة حديثة: ألست رجلا أسود اللون، وملامحى تعطى متوسمى لأول وهلة، اننى زنجى من أولئك الذين يجلبهم القراصنة على أسواق النخاسين فيبيعونهم بما علا وغلا من الثمن، وفوق ذلك فأنا لست جديدا على البادية، ولست اخرق لأعرف الصنعة، ولااعجم لاأعرف لغة القوم، ولاغض لاأعرف الخشونة.. لابل اننى حاذق صناع، ولغتى سليمة، وجسمى عركته البادية، فتركت فيه ندوبها وخدوشها وتلويحها.

كانت هذه المقدمة تمر على اسماع الرفقة وتزيدهم بالموضوع جهالة وبالحديث غرابة.. فما علاقة هذا بما نحن فيه؟!.

إلا أنه أردف قائلا: ليأخذنى فلان الذى قد ضارب في أسواق النخاسين وباع واشترى في العبيد المماليك، وليذهب الى سوق النخاسين في البصرة، وليبعنى بما يقدر له من ثمن، وليشترط لمن يريد أن يبتاعنى اننى اجيد القهوة واستقبال الضيوف وخدمة الرجال.. فاذا تسلم ثمنى فليوزع قسمة بينكم بنسبة حصة كل واحد منكم من النقود المفقودة، واقضوا بثمنى حاجاتكم وعودوا لأهلكم، واذا عدتم فابعثوا بكامل ثمنى الّي لكى اخلص نفسى من اسر الرق.. انهى غازى حديثه والقوم

كأن على رؤوسهم الطير، والتفت بعضهم الى بعض ليقرأوا انطباعات الوجوه ومدى تفاعلها مع الحديث، وادركوا من الملامح انها فكرة بكر ومركب مناسب وان كان وعرا.. ليجمعوا ان هذه اقرب وسيلة وحيلة حين لا تكون إلا الحيلة.. سبقهم اليها (غازى) وقور الرفقة وعلمها وكبش نطاحها ولكن ليكن.. فاذهب انت يافلان يامن وقع عليك سهم غازى فبعه بثمنه، فاشتراه النخاسون بثمن غير بخس، وقال الذى اشتراه من البصرة لأهله اكرموا مثواه فهو خليق بأن ينفعنا.. ومكث عنده ليالى فاذا به درة ثمينة وصفقة سمينة، فمنطقه بخنجر ذهبية، والبسه الجوخ، وحلاه ليكون وجه النادى وتلبية المنادى وكان اسمه الجديد مسعودا، فجعلت كل القوم تسأل عن مسعود بشوشا ضاحكا رشيقا رزينا امينا وعلق لايباع ولايعار.

ظل مسعود هكذا يزداد كل يوم جدة ولايزيد الا حدة حتى انساب عليه ذات ليلة رسول يحمل كامل ثمنه الذى اشترى به، فاخبره أن راحلته معقولة هناك في طائفة المدينة تنتظره ليترك البصرة ورقها والقهوة ومن يطرقها، وليضع النقود في حقيبة من غرفته وليكتب فوق ظهر الحقيبة كامل القصة، وان بضاعة سيده اعيدت اليه وليذهب الى حيث راحلته ورفيقه، وليتركا الدار ومن بناها و يذهبا حيث الحرية وحيث الأهل والوطن.

وَطَنِي لو شُغِلْتُ بالخُلد عنه   نَازَعَتْنِي اليه في الخُلْدِ نفسي

ومرحبا بغازى الطو ير يقدم حر يته من أجل رفقته، و يأبى إلا أن يكون حرا في تفكيره وحرا في تدبيره، ولقد أحسن الخروج كما أحسن الدخول، وهكذا يفعل الرجال.

الجِوَار .. ولا العــار !!

لم يكن (حمد الوائلى) حينما جعلَ يُعَرِّج على مزرعة (سيف الغنيمى) في طرف (بلدة حرمة) ذات الظل والماء العذب والمستراح للمجهد بعد طرد الصيد والعناء في سبيله.. لم يكن إلا اسير ولع ورب هواية.. تأصلت عادة القنص فيه وشغف بالرماية واعطى نفسه هواها في هذا السبيل، يغدو مغلسا و يفارق عامر قريته ونجوم ليله حية متقدة حتى يحمله وما ادركه من تعب ونصب ليجد مزرعة (سيف الغنيمى) الشمرى الجار لدى اهل (حرمة) الذين يحفظون له حق الجوار ويخصونه ببرهم وعنايتهم وعطفهم.. ليجد الوائلى هذه المزرعة ادنى مزرعة تلى البر ية واعذب ماء وابرده واندى ظل واطيب مقيل فكيف يجتازها من حاله كحال الوائلى.. انه يمر بها فيشرب و يستظل و يستريح ومن ثم يستأنف سيره لبلده وداره وهكذا.. أما هذه المرة فكان اليوم يوم جمعة وادركه الوقت في مزرعة الغنيمى ولم يدرك الجمعة وكان معه مز يد من صيد وكان القانص يستعيب أن يمر بأناس يرون صيده ثم لاينيلهم منه وهذه عادة معروفة عند العرب فأخذ الوائلى ظبيا وطرحه لعائلة الغنيمى وكان هذا ذاهبا يصلى الجعمة ولما عاد وجد الظبى عند أهله وكان قبل

يرى الوائلى في ذهابه وايابه يمر بمزرعته فارتاب الغنيمى لتكرار المرور وزاد ر يبته هذا الظبى الذى تركه الوائلى عند عائلته وكان لديه بنات ذوات جمال وملاحة فلم يطق أن يتحمل مابلغ به الأمر إلا أن يتبع ماهداه تفكيره اليه.

لقد كانت الكرمة (شجرة العنب) التى يستظل عادة بها الوائلى عندما يعود من قنصه هى ضحية تفكير الغنيمى ومن ثم تنفيذه فلماذا لايجتثها و يستر يح من الوائلى فهو اذا رآها مجتثة سوف لايعود ولكن قد لاينهاه اجتثاث الشجرة وحده فهناك ماهو انجع واكثر اثرا وابلغ تأديبا فسوف يأخذ هذه الشجرة بجذرها ويجرها على بعيره و يطرحها في سوق (حرمة) لينظر أهلها هذه الشجرة وتثير انتباههم ان وراء الأمر خبرا، وفعلا تسابقوا لاستكناه الخبر واستجلاء الأمر ليبثهم الغنيمى مالديه و يفضى بدخيلة امره و بائح صبره. وليجتمع رجال البلدة أهل الحل والعقد فيها و يدرسون الامر ماجزاء من يفعل هذا بجارهم اهو الضرب أم الطرد أم ماذا.. انهم لايرضون أن يذيع الخبر و يشيع لدى الناس ثم لايؤثر انهم عملوا شيئا تجاهه.. ولكن القضية قضية تهمه والوائلى تعرف استقامته وشرفه ثم هو ليس بالرجل النكرة انه صاحب (الضبوح) البندقية المفوهة المشهورة وصاحب المواقف المشرفة اذا جد الجد وبلغ الحزام الطبيين وخسارة الوائلى في هذا البلد أو اغضابه أمر ليس بالهين ومثله في أى بلد يغالى فيه ويحترم و يكبر موقفه اننا كل حين نقابل عدوا ونجابه

مغيراً فن مثل الوائلى سوف يقوم مقامه و يقف موقفه.. انه في امكاننا ان ينتهى ابدا عن التعريج على مزرعة (الغنيمى) مدة حياته وفي امكاننا أيضا ان نسترضى الغنيمى بأية وسيلة ثم لانبقى في حرج ونحن نعرف شرف صاحبنا واستقامته.. كان هذا رأى طائفة من وجهاء البلدة أما الرأى المقابل فهو: قد ولدت حواء مثال الوائلى كثيرا و بلدة مرهونة حمايتها بشجاعة ورماية شخص واحد بلدة خاسرة وفي امكاننا أن نجد عوضا عنه ولكن ليس في امكاننا أن نجد عوضا عن شرفنا اذا فقدناه.. وسوف يلوك الناس السنتهم ويمضغون اعراضنا مضغ اللبان تجاه جارنا وقصته هذه وماعرفنا في يوم من الأيام مغمزاً لغامز، أو مقدحا لقادح.. اضربوا الوائلى في السوق يوم جمعة حيث يجتمع الناس واطردوه من البلدة لئلا يساكنكم فيها ولو كان يأوى الى ركن شديد و بيت عتيد فهم احرص على اعراضهم واشد غيرة على بلادهم.. فتغلب هذا الرأى على ماقبله ونفذوا مااجمعوا أمرهم عليه فضرب الوائلى وطرد حماية للشرف وابعادا للنقيصة وهكذا يفعلون.

اما هو فذهب عف الازار طاهر المسلك نقى العرض ليجد أهلا بأهل وجيرانا بجيران وليبعث بقصيدة عامرة الى قومه ومواطنيه نقتطف منها:

الى حَيْث بان العَيْب لى من كِبَارِنا   بَيَان لِكُل العَالَمِيْن شَهِير

عـلَى بَالِهم ماعيْش في غير دَارِهم ... ولامِـن سَـدَى خِـيْـط الكلام آنير

قد شِفْت مَغْمُوز البَنَانِيْن عندهم ... كـبيْر وكَسَّابِ الجَمِيْل حَقيْر

و(سَيْفَ الغُنَيْمِى) عِنْدَهم راس مَغْنَم ... مِن عِقب مايَنْقِل سقَاه خضِيْر

فكم نَثَّرت يُمْنَاى مِن سَاخِن الدِّما ... الـى ثَار مِن عن(الضَّبُوْح)ذَخِيْر

قَوْمِى عن العِلْيَا بِعَادٍ وشَبْرَهم ... عَن الجُوْد عِند المِلْزِمَات قَصِيْر

أنا اظِن مِن قَد باعنى غير رَابِح ... الى طِقْ في بعض المَوَاقِف زِيْر

فلابد في يَوْم الوَغى تَذْكُرُوْنَنِى ... الى شَبْ في حرب الرَّفَاقَة كِيْر

بَعِيْدٍ عن الهَسَّات وانا ابن وَايل ... وماذِرْت في عُمْرِى حَرَم قَصِيْر

تَزَيَّنـوْا بِى خَارِبِيْن الحَمَايِل ... وقـالـوا لـعـلـه في قرارَة بِيْر

المحتـــويات